دليل المعرض

نرشح لك **100** كتاب

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

العدد 3

رئيس مجلسى الإدارة والتحرير **محمد الباز**

24 يناير 2024 — الأربعاء

12 رجب 1445

15 طوبة 1740

ننفرد بنص محمد السيد عيد

عصابة الشياطين

مسرحية تحاكم بايدن ورفاقه

لماذا لا تطبع هيئة الكتاب الأعمال الكاملة لـ«صلاح عيسى»؟

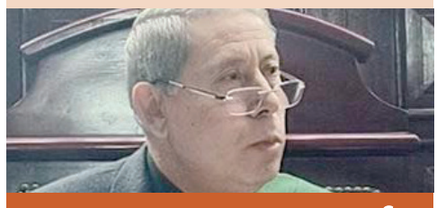

أديب القضاة

مذكرات المستشار بهاء المرى فى «المحاكم»

«مناب الغايب» قصيدة جديدة لـ«إبراهيم عبدالفتاح»

الصفحة الأولى

خبر سار للناشرين المصريين... قطع الطريق على مزورى الكتب نهائيًا

لسنوات طالت عانت صناعة النشر فى مصر من مافيا التزوير.

قبل ثورة يناير ٢٠١١ كان تزوير الكتب يتم فى الخفاء، من يقدم على ذلك يتخفى، فهو يقوم بعمل ضد القانون، عملية سرقة مقننة، يسطو أحدهم على كتاب أصدرته دار نشر، وبمنتهى انعدام الضمير يقوم بضرب الكتاب- اسم الدلع للتزوير- ثم يدفع به إلى الموزعين الذين يقومون ببيعه على مزاجهم الخاص، فقد حصلوا عليه بسعر أقل من السعر الذى تحدده دار النشر، وعليه فأى سعر يبيعونه به هو مكسب.

كان المزورون قبل ثورة يناير ينفون عن أنفسهم هذا العمل الشائن، لكن بعد الثورة توحشوا، أصبح بعضهم يتباهى بما يفعل، كانوا يعلنون عن أنفسهم ببساطة ويعرضون كتبهم دون خوف من قانون أو خشية من عقاب، بل بدأوا يدافعون عن أنفسهم بأنهم يوفرون الكتب بأسعار مناسبة للقراء الذين تستبد بهم دور النشر الرسمية.

كان توحش مافيا التزوير ترجمة واضحة لحالة الفوضى والاضطراب التى عاشتها مصر فى أعقاب يناير ٢٠١١، فقد اختل الميزان وتشوهت القيم، أصبح الباطل حقًا والصحيح خطأ والتزوير شطارة.

زادت سطوة المزورين بسبب انشغال أجهزة الدولة المختلفة بمواجهة تحديات تتعلق بالأمن القومى، فقد فرضت الأحداث المتوالية على الجميع الاصطفاف فى خندق واحد ضد محاولات سرقة الدولة واختطافها.

عندما انتبهت الدولة إلى خطورة ما تقوم به هذه المافيا، وضرر ما تفعله على صناعة مهمة كانت حتى وقت قريب أحد مصادر دخلنا القومى، بدأت تطارد المزورين، لكن ولأن من يقومون بالتزوير أصبحوا دولة داخل الدولة فقد نجحوا فى الإفلات من الرصد والتعقب، طوروا أدواتهم وسلكوا طرقًا مختلفة ليحافظوا بها على تجارتهم الحرام.

كانت شكوى الناشرين المصريين من مافيا التزوير لا تنتهى، أحدهم قال لى إن ما يحدث خراب بيوت، وسيأتى الوقت الذى يمكن أن نتوقف عن النشر، فكلما صدر كتاب مهم يلقى رواجًا تقوم مافيا التزوير بضربه، بل إنهم وصلوا إلى ضرب الكتب فى نفس يوم صدورها، حيث يحصلون عليها بطرق ملتوية من المطابع أو بعد إيداع نسخها مباشرة فى دار الكتب، وهذا ملف أعتقد أنه فى حاجة إلى اقتحام جرىء ومحاسبة من تورطوا فيه.

كان الحل بسيطًا، ففى مناقشات ممتدة مع عدد من الناشرين، كانوا يقولون إن الدولة يمكنها أن تحمى هذه الصناعة بقرار بسيط، وهو إلزام شركات شحن الكتب أن تحصل على موافقة من دار النشر الأصلية التى نشرت الكتاب بتصديره، وكانوا يتعجبون من عدم إقدام الدولة على اتخاذ هذا القرار الذى يحفظ لهم حقوقهم، ويحافظ على صناعة النشر.

منذ أيام صدر هذا القرار بالفعل، فلن تستطيع أى شركة شحن تصدير أى كتاب إلى الخارج إلا بعد الحصول على موافقة رسمية من دار النشر التى أصدرت الكتاب، لأنها- وهذا منطقى- صاحبة الحق الوحيد فى التصرف فى كتابها، وهو ما يعنى أن مزورى الكتب لن يستطيعوا تصدير الكتب التى يقومون بضربها.

لقد انتبهت الدولة لخطورة ما كان يحدث، أدركت أننا أمام عملية إضرار كاملة ليس بمستوى النشر فقط، فالذين يقومون بتزوير الكتب لا يهتمون بجودة الكتاب، وهو ما أدى إلى تراجع سُمعة الكتاب المصرى فى العالم العربى، ولكن بالاقتصاد المصرى، فالكتاب سلعة مهمة يمكن أن يعود تصديرها علينا بالعملة الصعبة، وهو ما دفعها إلى اتخاذ هذا القرار، الذى- وكما علمت- سيتم تنفيذه بمنتهى الصرامة.

لقد أورثتنا سنوات الفوضى التى عشناها بعد يناير ٢٠١١ خللًا كبيرًا فى مفاصل الدولة المختلفة، وهو ما يعترف به الجميع.

هذا ليس مهمًا، المهم... أننا انتبهنا لمواطن الخلل وبدأنا فى علاجه.

الباز

إبداعات الجنوب

أشعار وقصص أدباء أسوان

عادل عصمت: لن أكون بيست سيلر

يستحق عادل عصمت أن تتوقف أمام ما يكتبه دائمًا، لا تستطيع أن تتجاهله أو تمر مرورًا عابرًا على منجزه الأدبى.. ومثلما أدهش قراءه فى أعماله السابقة ها هو يغوص فى «جمال الكتابة» بكتابه الجديد «كتابة القصص وبناء الأعشاش.. تأملات فى فن الكتابة» الصادر عن دار الكتب خان.

هذا الكتاب اعتبرته الدار وقفة مهمة فى لحظة تاريخية سائلة لا تؤمن بالكتابة كفن، لكن تسعى لتحويلها لسلعة استهلاكية.

أما كيف فعل عادل عصمت هذا نقرأه معًا فى حواره التالى..

إيهاب مصطفى

■ بداية كيف ومتى جاءت فكرتك عن هذا الكتاب؟

– الفكرة جاءت ما قبل الورشة التى قدمتها في دار «الكتب خان» عام ٢٠٢١، وفى عام ٢٠٢٢ أعددت الورشة فى «الكتب خان» بعنوان «أسس الكتابة الروائية»، والحقيقة أنه قبل أن أُعلم الناس يجب أن أتعلم أنا، فلا بد من الرجوع وأحاول قدر إمكانى أن أستبطن وأعرف محتوى المصطلحات الأدبية مثل الحبكة والقصة والمكان وغيرها، وبدأت أكتب كتحضير لكن الأمور زادت، وبدأت أكتب أمورًا من رحلتى الشخصية، وكيف كتبت بعض الموضوعات وكيف كتبت روايتى «صوت الغراب»، وأحضرت أمثلة كحدث من حادث من الجريدة وحاولت إكمالها كمرشد عملى لكل ما كتبت، ومنذ عام ٢٠٢١ كنت أنقح الكتاب وأطوره وأحذف وأضيف.

■ بعد انتهائك من الكتاب هل وجدت أنك استخدمت نفس الطرق التى شرحتها فى روايتك الأولى مثلًا؟

– لا بالطبع، أنا أتعلم خطوة بخطوة، وأنا ذكرت هذا فى الكتاب وكيف تعلمت وكيف قرأت أول فقرة وكنت أتعلم خطوة بخطوة بالفعل، كلنا لدينا تصور عن الكتابة، ولكن الممارسة تنضج الأمور، وتنضج الكتابة وفهمك نفسه للكتابة نفسها، إلى أن تكبر وتحصل على خبرة ما.

> هناك سؤال آخر.. هل الآن حين انتهيت من الكتاب وجدت أن أعمالك التى كتبتها تواكب ما كتبت؟

– فى كتابى أنا حاولت شرح الأمور الراسخة فى الكتابة، وهذا واضح فى الكتاب، وهناك أمثلة ذكرتها مثل قواعد لعبة الشطرنج، وهى ثابتة، لكن الحقيقة أن كل دور شطرنج متغير ولا يمكن أن يتكرر، فقواعد الأدب ليست برسوخ وقوة وقواعد الشطرنج، وإنما هى مرنة تتيح للكاتب التنويع والخروج عنها والتركيز على جزء وترك آخر، وهذا كله لهدف الكاتب وتوجهاته وقدرته على استبطان خبرته، هى الطرق التى تساعده على كشف سر الخبرة فى التناول وهذه الطرق أساسها خبرته فى الكتابة والقواعد، الاثنان متضافران مع بعضهما، لأننا لو خلطنا الحابل بالنابل فلن يكون هناك فرق بين مقال ورواية.

وفى مقال الحبكة قلت هذا، قلت إنها مجرد نظام وشكل من أشكال تنظيم المادة الأدبية، ليس مهمًا مطابقة الطريقة الإغريقية في الكتابة والكتب تبدأ بالبداية ثم الوسط ثم النهاية، ولكن أن يكون هناك نظام، وحين تعتمد على نظام تخلقه أخطر مما تعتمد على نظام راسخ، النظام القديم أسهل لأنه مطروق طوال السنين، ولكن خلق نظام آخر هو أكثر خطورة ويحتاج انتباهًا وما يحكم الأمر هو رغبتك فى التعبير عن الخبرة الإنسانية التى اكتسبتها، الفيصل هو امتلاكك لأدواتك، والأدوات محاولة لإبراز هذه الخبرة.

■ من أهم مقومات الكتابة هى اللغة باعتبارها الحامل لكل عناصر الرواية الأخرى، كيف ينظر عادل عصمت للغة وتطويعها لخدمة النص؟

– هذا حقيقى، وذكرته فى مقالى عن الأسلوب، كنت قد انتبهت لاختلاف الطرق، فمثلًا، كما أن للناس طرقًا مختلفة ومتباينة فى الحديث، فإن كل كاتب منهم له أسلوب، أسلوب محفوظ مختلف عن إدريس عن بهاء طاهر عن يحيى حقى، فانتبهت للأسلوب وأهميته لأنه تعبير عن صوت المرء الداخلى، كل إنسان كما أن له طريقة فى الكلام فيجب عليه أن ينصت لطريقته، لأن الأسلوب لغتك وقاموسك، الأسلوب هو بصمة لروحك، وهو صورتك الحقيقية.

■ ماذا عن رؤيتك للزمن الروائى خاصة أن هناك أكثر من زمن للرواية؟

– الزمن من أعقد الأمور سواء فى الحياة أو الرواية وهو الشىء الوحيد الذى نعيش فيه وليس له تجسيد مادى، هو خيال نحن نسيل فى تياره، الزمن فى الرواية هو زمن المفروض أنه واقعى يرتد للخلف والأمام؛ حتى حين تكتب رواية تاريخية تكتبها كما لو أننا رجعنا فى التاريخ، فمثلًا تكتب أن السلطان الغورى نام وقام، فكأننا نشاهد السلطان نفسه، وهنا زمن النص حاضر، ومن الممكن أن نتعرض لذكريات الشخصية التاريخية وطموحاتها ومشاكلها، بالتأكيد الزمن غاية فى الأهمية بالنسبة للشخصية الروائية وبالنسبة للروائى.

■ على ذكرك لهذا الأمر.. هل ترى أن كل هذا الجنوح للرواية التاريخية نوع من التحايل على الواقع؟ هنا نرجع لمقولة نجيب محفوظ: «الرواية فن ماكر»، وهى بالضبط كما قال. فى رأيك إذًا ما هى الأسباب الحقيقية لهذا الجنوح الكبير للرواية التاريخية والهروب من الرواية الأخرى بأنواعها؟

– أنا معك تمامًا أن هناك جنوحًا للرواية التاريخية، وكنت فعليًا أبحث عن الحاضر والواقع فى الروايات، فحتى الروايات التاريخية أقرأها أحيانًا للمتعة، وحتى ما يسمونها بالفانتازيا المفترض أن تحمل معنى أعمق من حوادثها، نحن نحتاج لإعادة استقراء التاريخ، وفى تصورى يمكن أن تكون الأمور بمعنى عدم فهم الواقع بالنسبة لنا، وعدم قدرتنا على تفسير الألغاز التى نعيش فيها، وإن كنت تريد الكتابة التاريخية فلا بد أن تقول شيئًا ما خارج إطار السرد التاريخى، وهنا يمكن أن نقول لك هل الكاتب لا يملك القدرة للتعبير عن هذا الأمر واقعيًا وبسرد واقعى يواكب الفترة الحالية؟، وبعد القراءة سوف تسأله، لو أنك تكتب عن الخيانة، فالأمثلة الحالية هل لا يمكنها التعبير كما كتبت؟

مثلًا قراءتنا لتاريخنا فى العصر العثمانى كان شائعًا أنه منذ خمسين عامًا أنه عصر ظلامى، ثم جاءت مدرسة تاريخ الجامعة الأمريكية ومنهما خالد فهمى ونيللى حنا وبدأوا يكتبون عن تفاصيل حياة المصريين فى القرنين السادس والسابع عشر، فبدأوا ينتبهون إلى أنه كانت هناك حياة أخرى بخلاف ما نعرف، وكان مدخلًا آخر بخلاف الرؤية المعتادة.

أبطالنا القوميون أنفسهم نقوم بتقديسهم، مثل أحمد عرابى، لكن رأى الإمام محمد عبده فى عرابى أنه خرب مصر، لو أننا نكتب عن أحمد عرابى، فمن المفترض أن نقول المختلف، فن الرواية يعلمنا هذا، أحيانًا أشعر أن الكتابة فى التاريخ فيها قدر من الهروب من مواجهة مشاكل الحياة، ونحن بالفعل نحتاج لكتاب يبصروننا بأزماتنا.

■ هل هناك تسطيح للرواية الحالية وأننا سوف نجد جيلًا من غير الفاهمين لأسس الكتابة باعتبار السواد الأعظم مما ينشر؟

– أنا أعرف أنها فترة وأن كل هذا سوف يغربله الزمن والزمن كفيل بهذا، حتى وإن كان القراء لا يستطيعون الآن التفريق بين الغث والسمين، فسوف تقابلهم فى حياتهم الشخصية أسئلة عميقة، قطعًا سيجد إجابتها فى إحدى روايات محفوظ مثلًا أو غيره، وبمرور الوقت تتم الغربلة، فى الستينيات كان هناك كتاب مشهورون وأكثر شهرة من محفوظ، الزمن غربلهم تمامًا، وكتاب آخرون يكتبون بشكل جيد ولم يصمدوا أمام الزمن، لأنهم لم يراعوا التأملات فى روح الإنسان وقضاياه وأسئلته، الإنسان يحتاج كتابًا يفتح له أسرار ومشاعره الشخصية، لماذا هو فى ورطة، لا أقلق من هذا لأن الزمن يغربل، ما يطلق عليه كلاسيكيات يموت ويصعد غيره، وهناك كتاب آخرون سيموتون ولن يسمع أحد عنهم شيئًا.

ولكن نحن لدينا مشكلة فى السوق، ألا وهى موضوع التحكيم، فقديمًا كانت هناك لجنة فى الإذاعة كان اسمها لجنة الاستماع، وكانت هذه اللجنة تجيز المطربين لسوق الطرب، وفى الجامعة لم يكن أحد يدخل كلية الآداب إلا بإجازة من الدكتور طه حسين، الدكتوراه لا تعتبر شهادة إلا بالإجازة، أنا كدار نشر يجب أن يكون لدى محرر أدبى قوى يجيز الكتاب أو لا يجيزهم، لا أقول إن الأمر سينتشر، ولكنه سيحد من الكتابة الرديئة، وسيأخذ نصيبًا من السوق بدلًا من أن يكتب كل كاتب وينشر، تمامًا كما نفعل فى مواقع التواصل الاجتماعى، التقاليد التى نتخلى عنها تزيد الارتباك فى الرؤية، ولكن سيظل القارئ وأرى من واقع خبرتى أنه سيظل قراؤك موجودين، أنا مثلًا ابنتى قالت ليى إنك لن تكون «بيست سيلر» أبدًا، والحقيقة أنا مقتنع بكلامها، ولكن لدى مجموعة من القراء كتاباتى تناسب فهمهم للحياة وتساعدهم على الإحساس والفهم وهكذا، فى النهاية إن لم يكن لك دور وكتابتك مؤثرة فلن تُكمل.

> الكتابة التاريخية نوع من الهروب من الواقع.. وكتابى الجديد أضفت له من تجربتى

أهلى وجيرانى

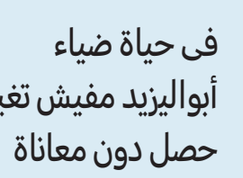

مؤمن المحمدى

ضياء أبواليزيد

زمان، قالوا لنا كلمة حكمة، ناخدها قاعدة فى الحياة: «يُعرف الرجال بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال»، يعنى الحِق ثابت ومعروف، إنما الرجال «البشر» مش كدا، فـ إحنا بـ نقيِّم الناس على مسطرة الحق، ونقول دا سبعة من عشرة، ودا تسعة من عشرة، وهكذا، لكن ما ينفعش نقول إنه ما دام فلان خد الموقف دا، يبقى الموقف سليم.

فى العموم، الحكمة دى ظابطة كتير، حتى مع مراعاة نسبية الحق، إنما فيه ناس نوادر قابلتهم، يحسسوك إنه لأ.. عادى، ممكن يكون فيه إنسان تقيس عليه، ولازم تفكر ألف مرة قبل ما تقرر تراجعه، أو تراجع وراه، من الناس النوادر دول ضياء أبواليزيد، ويمكن أولهم.

عرفت ضياء فى التسعينيات، كان عنده اهتمام كبير بـ السينما، وبـ الفنون والأدب عامة، لكن إسهاماته فى السينما كانت الأكبر، والواقع إنه من الناس اللى اتعلمت من كتاباتهم النقدية فى الصحف المختلفة، وأكتر حاجة اتعلمتها منه هى الدقة.

مفيش كلمة ولا حرف بـ يتكتب سد خانة، أو هباء، وياما اتناقشنا على استخدام مفردة أو حرف جر، ودور دا فى إنتاج الدلالة، وعمرى عمرى ما قريت له جملة مجاملة لـ أى حد كائنًا من كان، ودا بـ الطبع خلانا «كـ بلد يعنى» ما نستفيدش منه بما فيه الحد الأدنى من الكفاية، لـ إن الكتابة بـ النسبة له ما كانتش مجال لـ تنمية العلاقات العامة ولا الخاصة، وطبعًا ما اتعينش فى أى جريدة، رغم إسهاماته لـ سنوات فى الصحافة.

> فى حياة ضياء أبواليزيد مفيش تغيير حصل دون معاناة

اشتغل ضياء كـ كادر إعلامى مرموق لـ سنوات قبل ما يسيب مصر، لكن فضل اهتمامه بـ الدراما، وكان عنده أفكار مش بس كـ نقد لـ الأعمال، إنما ما يتعلق بـ العمل فى السينما عمومًا، ورغم علاقاته الشخصية الوثيقة بـ كوادر مهمة فى الدولة، لكن مفيش حاجة منها اتنفذت، علشان بـ بساطة الأفكار دى مش هـ تحقق مصالح مباشرة لـ حد، إنما لـ الصالح العام.

ضياء كان من أوائل الناس اللى نبهنا، منزعجًا، لـ إنه التهليل لـ ناس وأعمال لـ مجرد إننا بـ نحبهم خطر، وأفتكر إنى كتبت مراجعة لـ ألبوم كان عامله محمد منير، وكنت متحمس لـ الكينج، وشايف إن الألبوم فتح فنى، وكان هو متضايق جدًا من إنى ما اديتش نفسى فرصة الموضوعية لا فى التلقى ولا فى المراجعة، وإنى كتبت بناء على عاطفة من هم فى سننا، وساعتها قاوحته كتير، إنما من جوايا كنت عارف إنه عنده حق، ودى كمان كانت حاجة اتعلمتها منه.

حاجات كتير ممكن يكون ضياء أبواليزيد غيرها فى أفكاره وانحيازاته ومشاعره، «ما عدا تشجيع الأهلى طبعًا» والتغييرات دى حصلت بـ طبيعة الحال، بـ نتكلم عن تلاتين سنة بـ أعرفه، لكن ما كان يدهشنى دائمًا، هو إنه مفيش تغيير حصل دون معاناة، وجهد، وبحث جدى فى أمور مالهاش علاقة بـ شغله، إنما دايمًا تلاقيه مشغول بـ حاجة وبـ يدور فيها وعنها وفى تفاصيلها، وفى الآخر هـ يقول لك اللى ليه واللى عليه بـ منتهى الوضوح اللى يصل بيك لـ الصدمة أحيانًا.

من الآخر، ضياء أبواليزيد، يكاد يكون الوحيد اللى ممكن يقرا لى حاجة، فـ يقول لى: ما عجبتنيش، فـ ما أزعلش خالص، بـ أحاول بس أفهم ليه، وأتعلم.

عدسة: شروق السيد

حكايتى مع الكبار

حتى شيخ النقاد ضبط متلبسًا بالسرقة!

إبراهيم عبدالعزيز

مسلسل اتهام الأدباء والعلماء بالسرقات ليس جديدًا منذ شكسبير بل هناك من أنكر وجوده أصلًا، وطال الاتهام داروين صاحب نظرية التطور، وكذلك أينشتين صاحب النسبية، فكلاهما قد سطا على جهد غيره، وعندنا اتهم طه حسين ود. محمد حسين هيكل ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم، ولكنها اتهامات سقطت لأنها بلا دليل، أما الواقعة التى سأحكيها الآن، فهى شهادة د. عادل النادى أحد أهم الإعلاميين بالبرنامج الثقافى لأكثر من ربع قرن، وهى ضمن شهادات إذاعية ضمنتها كتابى الذى لم ينشر بعد عن تاريخ الإذاعة المصرية، وهكذا حدثنى د. عادل النادى:

«نهاية عام ١٩٨٠ تم تعيينى فى الإذاعة، بينما الناقد الكبير د. محمد مندور توفى ١٩٦٥، وهو ما يعنى أننى لم أحظ بمقابلته، وإن كنت قد تتلمذت على كتبه وأنا طالب بأكاديمية الفنون، وكانت ابنته المذيعة ليلى مندور مديرة لى فى بداية عملى الإذاعى، وفى إحدى حلقات برنامج «مع النقاد» تمت مناقشة أعمال الشاعر على الجارم بحضور ابنه الطبيب أحمد على الجارم، وسألت ضيفى الحلقة د. الطاهر مكى الأستاذ بكلية دار العلوم، والشاعر عبداللطيف عبدالحليم الشهير بأبوهمام، سؤالًا غريبًا: هل سرق د. محمد مندور كتابه «نماذج بشرية» من كتاب «فن النقد» للكاتب الفرنسى جان كالفيه، كما يقول ناقد مغربى؟ وجاءت الإجابة الأغرب الصادمة: أن ذلك كلام قد تم تداوله بالفعل وإن لم يقم دليل عليه، وانقلبت الدنيا فوق رأسى بعد إذاعة تلك الحلقة، وتم عقابى بالخصم من مرتبى، وكان مدير «البرنامج الثقافى» الشاعر محمد إبراهيم أبوسنة، أما رئيس الإذاعة فكان الشاعر فاروق شوشة الذى سألته عن سبب هذه العقوبة، فبررها بأننى أهنت رمزًا ثقافيًا، وما هكذا تعودنا منك وعلى أن أصلح الأمر بحلقة تكريم عن د. مندور. وتناولت كتابًا لفؤاد قنديل عن «مندور ناقدًا» استضفت فيه د. جابر عصفور، ود. أحمد درويش، وقد سألتهما قبل التسجيل عن حقيقة سرقة د. مندور، ففاجآنى بتأكيدها، ولكنهما لا يستطيعان التصريح بذلك لأنهما بذلك يحطمان رمزًا ثقافيًا!، وقد دافع عنى فى «الأهرام» د. الطاهر مكى، وأبوهمام، بينما هاجمتنى الشاعرة ملك عبدالعزيز زوجة مندور، على صفحات مجلة «الإذاعة والتليفزيون» وقالت إن مندور كان يمليها كتابه بحجرة النوم وهو يقطعها جيئة وذهابًا، فرددت عليها: وما أدرانا أنه كان يقطع الحجرة جيئة وذهابًا وهو يمليها بنات أفكاره وليس الكتاب المترجم؟!.

وقد عاتبنى أستاذى د. فخرى قسطندى أستاذ ورئيس قسم الأدب الإنجليزى بجامعة القاهرة، وقال لى إننى أخطأت لاتهامى شخصًا بغير دليل. ورغم أن الرجل كان مسيحيًا إلا أنه كان يبدأ درسه «بسم الله الرحمن الرحيم»، وقد نصحنى إن أردت أن أكون عظيمًا أن أقرأ القرآن مرتلًا ثم أقرأه مجودًا- وضرب لى مثلًا بأم كلثوم وعبدالوهاب- وأنهما لم يصبحا عظيمين فى مجالهما إلا لأنهما كانا يقرآن القرآن- ووعدنى حتى أبرئ نفسى من اتهام د. مندور بلا دليل، أن يحضر لى الدليل حين يسافر إلى إنجلترا، فقد كان أستاذًا هناك بإحدى جامعاتها، ولما لم يجده، سافر إلى فرنسا ليعثر على كتاب المؤلف الفرنسى الذى قدمته لزميلة لنا تجيد الفرنسية اسمها إيناس الغيرينى، لتقارنه بكتاب مندور، وتقدم لى تقريرًا بملاحظاتها، وعادت لى بعد ثلاثة أيام، وكأن صاعقة أصابتها وهى تقول: يا مصيبتى يا مندور، يا مصيبتى يا مندور. فقد ترجم مندور الكتاب الفرنسى نصًا وحرفًا بكل فصوله بدون تصرف، وزاده فصلين من عنده، ونسبه إلى نفسه، وضرب فاروق شوشة بيديه على رأسه قائلًا: يا خبر أسود، ليه تعمل فينا كده يا دكتور مندور؟!- ولكن رغم تقديمى لدليل براءتى، فإن العقوبة بالخصم لم ترفع، كما ظلت ليلى مندور تخاصمنى حتى رحيلها، رغم علاقتى العائلية بها، وحاولت أن أشرح لها أن لا ذنب لها فيما فعله أبوها، ولكنها قاطعتنى، وقالت لى: «لا ذنب لى، ولكن يكفى أنك فضحت والدى وشهرت به- مع أننى لم أكن أقصد إلا الحقيقة الأدبية، فهى غايتى ومطلبى».

ومن العجيب أن د. مندور رغم أنه من تلاميذ طه حسين الذى كان يأمل فيها خيرًا، إلا أنه صدم فيه كما يقول لسكرتيره د. محمد الدسوقى فى كتابه «طه حسين يتحدث عن أعلام عصره»: «أوفدته فى بعثة إلى باريس ومكث فيها اثنتى عشرة سنة، ولم يتمكن طوال هذه المدة إلا من الحصول على درجة الليسانس فى اليونانى، بسبب عبثه ولهوه وعدم إخلاصه للعمل»، ومن ثم يرى طه حسين- عكس كثيرين- «أن الدكتور مندور ليس ذا بال فى الثقافة، وليس له دور فكرى هام فى حياتنا الثقافية»- ولكن طه حسين لا ينكر للدكتور مندور فضائله الشخصية حين يقول عنه: «والذى أحمده للدكتور مندور وفاؤه وحسن تقديره لأساتذته وأدبه معهم فى الجدل والنقاش».

ولأن د. مندور كان ينتمى للتيار اليسارى، فقد حظى برعايته. ويلاحظ أن بعض من نعتبرهم «رموزًا» لعب اليسار المصرى دورًا فى تنجيمهم لانتمائهم إليه حتى لو لم يكونوا أصحاب موهبة حقيقية، فقد كان التيار اليسارى مسيطرًا على الصحافة والإعلام طوال فترة عهد عبدالناصر، وقد حاولوا الحط من قدر نجيب محفوظ ومهاجمته نقدًا غير موضوعى، لأنه لا ينتمى إليهم، ولكن موهبته كانت قد تجاوزتهم، وكانوا يحتفون بكل من يهاجم الرئيس السادات، ومنهم أحمد فؤاد نجم الذى لو كان مقتنعًا بموهبته فعلًا ما سطا على إبداع لفؤاد حداد ونسبه لنفسه.

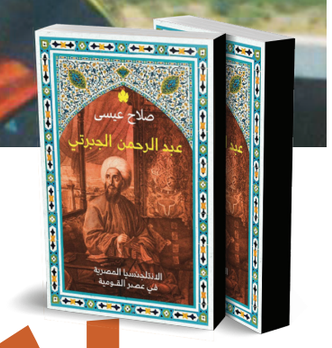

صلاح وأمينة

لا يكف المؤرخ الكبير صلاح عيسى عن إبهارنا، حتى بعد وفاته بسنوات، فقد صدر له حديثًا كتاب «عبدالرحمن الجبرتى: الانتلجنسيا المصرية فى عصر القومية»؛ عن دار الكرمة للنشر؛ الذى ينشر للمرة الأولى.

ويعد الإصدار الجديد الكتاب الخامس الذى صدر للمؤرخ الراحل بعد وفاته، إذ تولت زوجته الكاتبة الصحفية الكبيرة أمينة النقاش جمع محتوياته؛ ومن المقرر إتاحته للقراء ضمن إصدارات الدار فى معرض القاهرة الدولى للكتاب بدورته الـ55.

و«الانتلجنسيا» تعنى النخبة المثقفة، وهم فئة من الأشخاص المتعلمين المنخرطين فى الأعمال الذهنية المعقدة التى لها دور نقدى وتوجيهى وقيادى فى تشكيل ثقافة وسياسة معينة؛ وهى فئة ركز صلاح عيسى على رصد أحوالها فى فترة الاحتلال الفرنسى لمصر، من واقع ما رصده عبدالرحمن الجبرتى؛ الذى عاصر الحملة الفرنسية على مصر وأرخ لتلك الفترة. عن هذا الكتاب، تتحدث الكاتبة الكبيرة أمينة النقاش زوجة «جبرتى الصحافة المصرية» صلاح عيسى لـ«حرف»، عن كواليس إصدار هذا العمل.

حسام الضمرانى

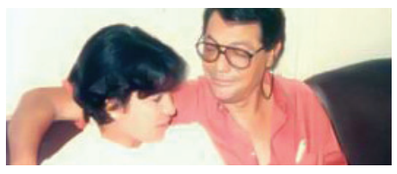

أمينة النقاش: «الجبرتى.. الانتلجنسيا» يؤرخ لأول احتكاك بين الثقافة المصرية ونظيرتها الأوروبية

■ أتفهم طبيعة ما كان يشغل الكاتب والمؤرخ الكبير صلاح عيسى فى تاريخنا الاجتماعى والثقافى.. ولكن لماذا اختار إعادة التأريخ للجبرتى والانتلجنسيا المصرية فى عصر القومية فى كتابه الجديد؟

- أود بداية؛ أن أشير إلى أن هذا الكتاب نشر لصلاح عيسى كدراسات فى سبعينيات القرن الماضى بعد خروجه من السجن؛ وهى جميعًا نُشرت فى مجلات عربية مهتمة بالدراسات التاريخية مثل «آفاق عربية، ودراسات عربية، وقضايا عربية»؛ وهى مجلات ليست مصرية، لأنه كان ممنوعًا من الكتابة فى تلك الفترة، وفصل من عمله بجريدة الجمهورية؛ وكان من الطبيعى بعد صدور أول كتبه «الثورة العرابية» أن يعود إلى الجذور فى تاريخ مصر، كما أنه كان ينتوى جمعها فى كتاب ولكن الوقت لم يسعفه ورحل، وهو ما دفعنى لجمعه وإصداره بعد طلب من دار نشر الكرمة التى تقدر مشروع صلاح عيسى وتحترم القارئ، وأريد أن أؤكد أن صلاح عيسى كان دائمًا ما يؤكد أنه، من لا يعرف تاريخه لن يستطيع قيادة حاضره ومستقبله.

■ من أبرز الشخصيات التى تعرض لها صلاح عيسى من فئة الأشخاص المتعلمين المنخرطين فى الأعمال الذهنية التى أرخ لها عبدالرحمن الجبرتى.. ماذا عنه؟

- هذا الكتاب يضم ثلاثة فصول؛ الفصل الأول يضم رؤية الجبرتى فى الظواهر التاريخية، أما الثانى فيدرس فيه الجبرتى عهد الحملة الفرنسية على مصر، وعنوانه: «روح مملوكية تصارع الفرنساوية»، أما الفصل الثالث وهو عن محاولة فهم منهج «الجبرتى» ففى التأريخ.

أما بالنسبة لشخصيات هذا الكتاب فهى شخصيات العصر التى أرخ لها عبدالرحمن الجبرتى «١٧٥٣-١٨٢٥»؛ ابتداء من الجبرتى نفسه الذى عهد فى طفولته الدولة المملوكية، ثم عهد محاولة محمد على الكبير الثورة على الحكم العثمانى ومحاولة الاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية، ثم عاش فى عهد محمد على، وشهد الحملة الفرنسية، بالإضافة إلى كليبر، ورموز العصر من التجار والمستثمرين وشخصيات مهتمة بالعلم والثقافة والتنوير وقتها.

■ الجبرتى عاصر الحملة الفرنسية على مصر وأرخ لها.. لماذا أعادنا صلاح عيسى لنماذج فى تلك الحقبة بالتحديد؟

- نظرًا لكونها فترة بدأت تتكون فيها ملامح القومية المصرية، التى تطورت فيها مقاومة الشعب المصرى للحملة الفرنسية؛ ثم الثورة العرابية، ثم ثورة ١٩١٩، وهى فترة شهدت صعود ما يسمى بالقومية المصرية، وثانيًا كونها فترة شهدت التأريخ لمصر ما بعد صدور المطبعة، وهى فترة تختلف عن فترة المؤرخ ابن خلدون الذى أرخ لما قبل المطبعة، وكذلك فإنه عند تناول صلاح عيسى منهج الجبرتى فى التأريخ أشار إلى أنها أول فترة تشهد احتكاك الثقافة المصرية بالثقافة الأوروبية، حيث دخلت عوامل حداثة لم تكن موجودة قبل ذلك فى مجتمعنا المصرى، كما أنه رأى أن التأريخ عند الجبرتى من قبيل الرصد دون عقد مقارنات للأحداث أو إبداء لرأى، كما أنها فترة شهدت ما يسمى بالفكر الليبرالى.

■ ما أبرز المراجع التى اعتمد عليها صلاح عيسى فى دراسته المهمة عن عبدالرحمن الجبرتى؟

- أبرزها كتابان للجبرتى «مظهر التقديس لزوال دولة الفرنسيس» والثانى «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار»، حيث اعتمد عليهما، بالإضافة إلى كُتب بعض المستشرقين الأجانب لتلك الفترة، حيث لاحظ صلاح عيسى مدى ظلم هؤلاء المستشرقين للجبرتى، لكونهم درسوه خارج عصره وسياقه بما فيه من إقطاع واحتلال، وبالتالى يرى صلاح عيسى أن الجبرتى أهم من قدم شخصية المثقف والواقع الاجتماعى المحيط بهذه الشخصيات، والظواهر الاجتماعية فى مجتمعنا المصرى فى تلك الفترة؛ ويعتبره من أكبر المؤرخين لهذا العصر.

■ فى كتابه «هوامش المقريزى» أرخ صلاح عيسى لتاريخنا المصرى بداية من عصر المماليك وحتى نهاية ثورة ١٩١٩ وهى فترة شملت الحملة الفرنسية وهو ما أعاد فعله فى كتابه الجديد «الجبرتى».. إذًا ما الجديد الذى يقدمه كتابه الذى أُعلن عن أنه ينشر لأول مرة؟

- الجديد الذى يقدمه هذا الكتاب هو تجميع ما نشره صلاح عيسى من دراسات مهمة نُشرت فى مجلات تاريخية خارج مصر فى سبعينيات القرن الماضى؛ وهو الجهد الذى أبذله لتوثيق أعماله التى كان يرغب فى صدورها وهو حى، لكن كما أشرت، الوقت لم يمهله لذلك، وهو ما أرجو أن أفعله على نحو جيد، حيث نشرت له أربعة كتب بعد وفاته، وهذا هو الكتاب الخامس.

■ بعد وفاة صلاح عيسى توليت مهمة الحفاظ على مخطوطاتَه وأعماله.. ما الذى يزعج أمينة النقاش فى سوق النشر عند التعاقد على أعمال المؤرخ الراحل؟

- أعتبر نفسى محظوظة، لأن دار نشر الكرمة ورئيسها من محبى صلاح عيسى وهو من بادر بالاتصال بى، وكونه متحمسًا لأعماله، ولولا هذه المبادرة لكنت عانيت كثيرًا، وهى دار شديدة الاحترام للكاتب ولما تقدمه وللقارئ، وأود أن أعترف بما تتعرض له صناعة النشر من أزمات. وأظن أنه بعد انتهاء فعاليات معرض القاهرة الدولى للكتاب، ستدعو وزيرة الثقافة الدكتورة، نيفين الكيلانى لمؤتمر موسع، لبحث حلول لما تتعرض له صناعة النشر فى مصر من أزمات، ويكفى أن أشير إلى أنه بالنسبة لدور النشر الحكومية، مثل هيئة الكتاب وقصور الثقافة، فقد نشرت لصلاح عددًا من أعماله وأعادت طباعة بعضها، وهى لم تقصر فى أداء دورها تجاهه، وقدمت خدمات جليلة بتقديم أعماله بسعر رخيص، وهو ما يتيح نشرها على أكبر نطاق، وأؤكد أن الدولة تقوم بدورها فى ذلك، ولكن لدينا بيروقراطية لا بد أن تنتهى فيما يتعلق بآليات عمل صناعة النشر.

■ هل ما زالت هناك مخطوطات لصلاح عيسى سيتم الإفراج عنها قريبًا؟

- نعم، ولأول مرة أعلن عن كتاب كان قد بدأ فيه صلاح عيسى ولم يستكمله لوفاته، وهو عن «فرج الله الحلو»، وهو قائد شيوعى عربى بارز قتل على يد جلاديه وذوبوا جسده بالأسيد؛ وهو لبنانى الجنسية، كان قائدًا بارزًا فى الحزب الشيوعى اللبنانى السورى، وما زال رمزًا للشيوعيين السوريين، واللبنانيين حتى بعد انفصال الحزب الشيوعى اللبنانى عن الحزب الشيوعى السورى، بالإضافة إلى كتابين كانا بمثابة مشروع تاريخى كبير؛ الأول عن تاريخ الحركة اليسارية المصرية، حيث جمع محاضر التحقيقات مع من قدم منهم إلى المحاكمات وسجن، قمت وسلمتها لمكتبة الإسكندرية على أن يتم عرضها للجمهور عبر موقع باسم صلاح عيسى، وهو ما لم يحدث حتى اليوم، وتراث الحركة الإسلامية المصرية وهو المشروع الثانى، وأتمنى أن يتولى الدكتور أحمد زايد، مدير المكتبة تحقيق ذلك، أو يرجع هذا الأرشيف الكبير لى مرة ثانية، وأتمنى أيضًا أن تعمل الهيئة المصرية العامة للكتاب على تجميع الأعمال الكاملة لصلاح عيسى.

«صلاح» اختار «الجبرتى» لأنه رأى أن المستشرقين ظلموه عبر تحليله فى خارج سياقه وعصره

أمينة النقاش تتحدث لـ«حرف»

مناب الغايب

خاص

شعر: إبراهيم عبدالفتاح

أول خبيزك ملح
راحة إيديكى اللى وسعت العجين
هى اللى كبست بن فوق الجرح

الأولة بسم الله
والتانية مناب الغايب
حايشة نصيبه من قبل ضرب العجين
والتالتة لقمة هنية من نفسك المبروك
بتفكى من تحويشة عمرك الضحك والطبطبة
وتوزعى من غير ميزان بالعدل
الرقوة من كفك سبيل
وحجرك منبت الأحلام
صوتك جبيرة لبختى لما يميل
بتغنى فيدوخ القمر وترقص النجوم
تسبقنى دعوتك تنظم الطريق
وتهون المسافة والزحام
تخلى خلق الله يحبونى
وتنسى صاحبتى زعلها
أنا ابتهال قلبك اللى ف قلبى ياعيونى
والفارس المنتصر دايمًا فى حواديتك
لو حاسة باللى أنا فيه
زورينى الليلة فى الأحلام
وهدهدينى لو من شروط الرؤية أنى أنام

ياضحكتك بتلصم الأيام
ياحكمتك بتدبق العيشة
ياململمة القصاقيص من كل شق وخن
ورق/ مشاعر/ زمن/ قماش
اللوحة دى من بواقى المناهج
مولد وكرنفالات ومسرح مباهج
ياناسجة بالأفراح على نولك
سجادة مقدرش الزمن يطويها
ولا حزن يتشعبط فى شراشيبها
مفرودة تشبه عجينة فى إيدك النشابة
سجادة ع القبلة
فى كل سجدة سيول دعا وأوراد
أجمل مافيها مناب اللى غايب
والغربا قبل الحبايب
قصاقيص دى والا ابتسامتك الملهمة العايقة
ودا حضن والا نخيل معبى حنان

تعرفى
باتوسل الوقت يمهلنى يومين
يمكن أحوش
جوة حصالة الزمن تصبيرة
ترطب ريقى من قبل الدوا
تعبت م المسكنات على معدة فاضية
يامهونين الشيلة أنسونى
من فضلكم
سيبوا إيدية معلقة لحد ماتنهار
وتسقط م التعب
وسيبوا عينى ثابتة عند الأسئلة
وقلبى لابيضحك ولابيبكى
من دق إيدى تعبت الأبواب
سيرتى الذاتية فوق كل المكاتب
أنا صاحب النظر اللى متعلق على البترين
لا يشبه الفجر إلا من قضاه حاضر
ولا يشبه الندى إلا أطفال الشوارع
قلبى اتفطم ع اليتم لحد ما بقيت أبوه

اسمى إبراهيم
ليه نارى مش برد وسلام
يمكن عشان أقسمت لا أذبح
ولا أحطم التماثيل
سمونى نوح
يمكن ألاقى مركبى وأعبر لكون جديد
طب اسمحولى أبدل الأسماء
اسمى الفرح موسى علشان مايغرقشى
واسمى حزنى تلج يمكن يدوب
أنا ملك الفراغ
ومفيش فى إيدى من حيطان الدنيا غير حبة فراغ
لو كان نصفنى الشرع كنت أفرش وأبيعهم
أنا لا جلبنى ولا اخترعنى نظام
أنا خط اترمى على لوحة بالصدفة
وأنا البطل اللى عمره ما فاز

تعرفى
قطتنا وهى بتشب على طراطيف صوابعها
ونفسها تمسك لون الفراشة
تشبه محنة البلاغة
وهى بتسقط فى كل مرة تحاول فيها
توصف حضورك
تعرفى
أن الغياب محل شك
من يوم مامشيتى
كل مرايات البيت مابتشوفنيش لوحدى
كل الأغانى بأسمعها بصوتك
أنا الزفير وأنت الشهيق
كل عمرى مترتب مشاهد أنتى بطلتها الوحيدة
أغلب حواديتك قبل النوم ماكنتش بأصدقها
تفتكرى فعلًا شهريار كان مصدق
والا كان غرقان لشوشته بشهرزاد
تعرفى
أنا الجنين اللى اكتمل فى سبع شهور
من لهفته علشان يشوفك
وأنا اللى احلو فى لسانى الفطام المر
واتأخرت عن هجرك
ماكنتش عايز أحبى عشان مابعدش عن حضنك
على فكرة
وأنا بأتعلم أمشى كنت باتلكك وأقع
علشان تسمى وتمسكينى
تصدقى بالله دلوقتى لما بأقع لوحدى
مفيش فى الدنيا غير إيدك بتسندنى

اتطمنى
أنا مش لوحدى
ودى مش ستارة
دى بنت تقريبًا
سايبة الهوى يهمس فى مرمرها
ترقص فى حضنى وقبل ماحضنها
تلم توبها وتجرى من إيدى
أنده
تقول لى: سيبنى مش عايزاك
فى كل مرة أتخض وأجرى الحقها
قبل ما ترمى روحها م الشباك

تعالى نرقص
وسيبى شعرك فى النسيم يسبح
خطوة بخطوة وإيدى ف إيديكى
ماتخجليش وتدارى فى كسوفك
الدنيا لما تشوفنى وتشوفك
دايبين محبة بتحلى وبتفرح
وأنا مش بحبك كلما أمكن
ولا قد ماتيسر
الحب ينقص لما يتفسر
يكفينى أقولك ضحكتك فراشات
لمسة إيديكى بلاد من الدهشة
وحنان عنيكى يدوب الأحزان
مع كل لمسة باتولد تانى
وفى كل حضن محاولة للطيران

فاكر
الصورة دى وقت الغدا
خمس بطون على الطبلية بتصوصو
وأمى غرقانة فى عرقها قدام باجور الجاز
قاعدة بطرفى النهار
من بوكها اللى عمره ماكان مليان
ولا فاضى
يادوب حبة قروش
يرموا فى بطن الوقت تصبيرة
ويطمنوا العصافير

لسه فى مكانها
هناك
على طرف السرير
بتسرح الحنين على خفيف فى نص الليل
وتدكك الحكمة فى طرحة الحواديت
وبتربى المحبة
فى سحبة الغطا مع دخلة يناير
وأنا
على حجرها
بأحلم
ببنت تشبهلها
أحبها
وتحبنى من غير شروط
لسة متشعبط فى ريحتك
كأنى الطفل اللى متعلق فى ديل جلابيتك
تايه من كتر خوفى أتوه
حضنك حدود دنيتى
ومنابى ضحكة رضا تشق ريقى
الصبح ياعياشة
صحن الفطار ده والا حنان مسقى بأنفاسك
كفك العجان رحايا وشادر ذكر
الدنيا فوق راسك مابتقبنش
مين اللى شايل مين
الطاولة والا الحواية
وانا ع الجمر مستنى رجوع الخبيز
أكبر انتصاراتى أنى أفوز بالحنونة
وأنعس على حجرك لآخر الحدوتة

مثل الكثير من الأطباء الذين نبغوا فى الكتابة، يأتى الدكتور أسامة عبدالرءوف الشاذلى ليكون حلقة جديدة فى هذه السلسلة، التى بدأها محمد حسين كامل صاحب «قرية ظالمة» وجاء من بعده محمد ناجى ومن بعده يوسف إدريس، ثم جاء «الشاذلى» بروايتين أثبت فيهما أن لديه قدرات غير عادية، سواء فى طرق البحث أو الكتابة أو الأسلوب اللغوى المتعدد والمتغير والمناسب لعوالمه. ولأنه يعمل طبيبًا جراحًا للقدم والكاحل، فإنه يرى الحالة ويدقق ويفكر ويقرر، وحين ينتهى يفعل ذلك ببراعة، فكل غرزة هنا تغلق بإحكام، هكذا يفعل فى الرواية، فهى بالنسبة إليه، تشبه عملية جراحية يُحضر لها ويفكر فيها وينظر من رؤية شمولية للفترة التى سوف يكتب عنها، ويبدأ فى صناعة الشخصيات ويراقبها ثم يتلبس أرواحها ويكتب كما يرى..

أصدر «أوراق شمعون المصرى»، ومن بعدها «عهد دميانة» وكلتاهما تدور فى حقبة تاريخية مختلفة، الأولى تبحث فى تيه بنى إسرائيل والأخرى فى نهاية العصر الفاطمى.. «الدستور» التقت الدكتور أسامة عبد الرءوف الشاذلى، وكان هذا الحوار..

إيهاب مصطفى

أسامة عبدالرءوف الشاذلى: محظوظ بالجمع بين الطب والأدب.. وأكتب الرواية كأننى أجرى عملية جراحية

■ بداية.. ماذا تقول عن تعاونك مع الشركة المتحدة للخدمات الإعلامية لتحويل «عهد دميانة» لعمل درامى؟

– أنا سعيد بالطبع بتعاونى مع الشركة المتحدة للخدمات الإعلامية لتحويل روايتى «عهد دميانة» لمسلسل تليفزيونى، والرواية صدرت العام الماضى وهى تاريخية تتناول حقبة نهايات الدولة الفاطمية وحققت صدى بين القراء، ووصلت للطبعة الحادية عشرة وكلل هذا الانتشار بالتعاون مع «المتحدة»، لتحويلها لمسلسل تاريخى سيتم إنتاجه قريبًا، وأتمنى أن يراها المشاهد العام المقبل على شاشات التليفزيون.

■ كيف تقيم انتشار الأعمال الروائية التاريخية وارواجها بين القراء؟

– الرواية التاريخية لاقت انتشارًا كبيرًا هذا العام بالفعل، وهناك إصدارات كثيرة فى دور نشر متعددة وربما أفسر هذه الظاهرة أن الجمهور المتلقى يعايش الواقع فأصبحت الواقعية مشهودة وينظرها أمام عينيه، وهو يريد الخيال التاريخى؛ فضلًا عن أن معرفة التاريخ تمنحنا بعض الدروس، تعرفنا كيف كانت الأحداث قديمًا وإلام انتهت، ولأن التاريخ يعيد نفسه فأصبح التاريخ وسيلة تعليمية، ويجعلك تخمن إلى أين ستصل الأمور، فضلًا عن أنها تمثل إطارًا جذابًا جدًا لطرح الأحداث التاريخية.

لا يملك كل الأشخاص القراءة الجادة فى كتب التاريخ وهنا تمنحهم الروايات وسيلة لرى عطشهم تجاه هذا الأمر، وفى نفس الوقت يعايشون أحداثًا درامية تشجعهم على الإكمال وأعتقد أن هذا هو السبب الرئيسى.

حرفية الكتابة التاريخية تختلف، فهى تحتاج لجهد بحثى، وعلى الكاتب أن يلم بالحقبة التى يتحدث عنها، من مناخ عدة مثل الألفاظ والزى والكلام وكل شىء متعلق بهذه الحقبة فضلا عن أن الرواية التاريخية مختلفة فى سردها عن الرواية الاجتماعية والواقعية، الرواية التاريخية تحمل معنى أكبر ويجب أن تحمل قصة درامية مشوقة حتى لا يمل القارئ، ويشعر أنه يقرأ فى كتاب عادى.

■ فى «أوراق شمعون» كانت القصة عن الولد الذى ولد لأم مصرية ويحكى فى أوراقه ومذكراته عن تيه بنى إسرائيل، والحكى هنا بضمير الأنا وبرؤية شمعون المتحكم فى الأمر.. وفى «عهد دميانة» كان الراوى العليم هو المتسيد ومنح الرواية نطاقًا عرضيًا؛ ليكشف تفاصيل كثيرة عن آخر أيام الفاطميين، وكل هذا يؤكد أن أسامة عبدالرءوف الشاذلى يملك مشروعًا تاريخيًا مسبقًا.. ما هى حدود هذا المشروع؟

– بالضبط كما قلت، أنا بالفعل لدى مشروع روائى للكتابة وهو يحتوى على ٣ عناوين رئيسية، الأول هو السؤال عن فكرة الدين ووحدة الأديان والأصل الواحد للأديان وتفنيد وطرح قضايا حساسة أدت إلى الصراع ووضع اليد على جذورها، ومنها مشاكل الصراع العربى الإسرائيلى منذ قديم الازل، فكيف بدأ وكيف كانت هذه الشخصية اليهودية وكيف تكونت الشخصية اليهودية فى مهدها الأول، وما هى العوامل التى أثرت فيها وهذا كان واضحًا من خلال شمعون المصرى الذى رأى هذا الاختلاف بينه وبين بنى إسرائيل، وربما كان السبب فى هذا الاختلاف هو احتواؤه على جينات مصرية لأم مصرية، التى جعلته يرى الصورة أرحب من بنى إسرائيل المتذمرين والمتزمتين والمتعصبين طوال الوقت، وهنا يحاول الولد أن يسأل أسئلة خارج النطاق عن حكمة القدر ولماذا يقسوا الله علينا ولماذا حكم علينا بالتيه، الكثير من الأسئلة الفلسفية، أهمها فى رأيى كان السؤال عن ماهية الأرض المقدسة ومتى تتقدس الأرض، وما المقصود بالأرض المقدسة، وما حقيقة الوعد من الله لبنى إسرائيل، هل لأنها كما يقولون إنها وعد الله لهم بأن يحكموها ويعيشوا فيها بأمان وينشروا دينهم بين الناس، كل هذه القضايا طرحتها فى «شمعون».

أما «دميانة» فكان السؤال عن فكرة الهوية وهى كلمة مطاطة جدًا، فحين نسأل شخصًا ما، ما هى هويتك فسيتردد قليلًا وماذا الذى سيقوله، هل سيقول أنا مصرى أم أنا عربى أم أنا مسلم، هناك حيرة فى السؤال عن الهوية، وحين ندقق فى الانتماءات سنجد أننا ننتمى لعدد لا نهائى من الانتماءات، تجعل الإنسان شخصية متفردة غير قابلة للتكرار، كل منا يحتوى على انتماءات مختلفة ولكن العوامل المشتركة تجمعنا، مثل الأرض والدين والعروبة وهناك عوامل مشتركة صغيرة مثل تشجيع ناد معين وحب الصيف وبعض الأكلات مثلًا، ولكن أهم بوتقة تجمع جميع الانتماءات هى بوتقة البشرية، كوننا إنسانًا ونحيا على نفس الأرض، هذه الانتماءات مهما كانت لا نهائية لكن لها حد هو أننا بشر ونحيا كبشر وهذا هو العصب الذى يربطنا، أما باقى الأشياء فهى مكملة، وبغض النظر عن كل انتماءاتنا الأساسية فنحن بشر، أما فى السماء فننتمى لخالق الكون وكانت هذه فكرة يوسف بن صدقة، حين قال لدميانة «سأخبركم بما وصلت إليه ولم أدركه، وبما وصلت إليه وأدركته، أدركت جوهرى وإن جوهر الإنسان لا يحده وطن ولا دين ولا مذهب فحدوده كون يحيط به ومنتهاه لخالق أبدعه وأنشاه واختار له الأرض موطنًا فقبل الحدود كانت الأرض وقبل التقسيمات كان الإله الخالق، وقبل العائلات كلنا لآدم وكلنا بشر».

فى رواية «عهد دميانة» كان هناك مشهد بينها وأمها «وسن» أثناء الخبيز وأوردت فيه مشهدًا يشبه خبيز الأمهات بشكله المعاصر، وفى مشهد آخر فى نهاية الرواية قلت إنهم يبحثون عن كنوز الفراعين تمامًا كما يحدث الآن أيضًا، هل تريد أن تثبت أن الهم الحالى متجذر منذ القدم؟

همومنا المادية والاجتماعية والجغرافية والشخصية متكررة والإنسان يعيد نفسه مهما تطور، وهو سجين سجنه الجينى الذى يجعله يتحرك فى حدود متكررة وأخطاؤه متكررة وهمومه متكررة ولا زال السؤال عن

ماذا عن معرض الكتاب وكيف تراه وما الذى تتمناه له ككاتب؟

- معرض الكتاب تطور بشكل ملحوظ جدًا فى السنوات الأخيرة، يجب أن أعترف أن المكان الجديد أتاح فرصة أكبر لأن يكون بصورة لائقة رغم انه أضيق قليلًا، ورغم بعد المسافة ورغم عدم وجود جراج لركن السيارات بسهولة، ولكنه أتاح فرصة أن الكتب تعرض بصورة جيدة وأنا سعيد به جدًا، وإن الإصدارات فى تزايد وتنوع ورغم الأزمة الاقتصادية، هناك العديد من الإصدارات وهناك حركة ترجمة، وهناك اهتمام بالكتب التاريخية والتراجم والسير، ودور النشر تتزايد وتتنافس وهذا مهم جدًا للحركة الثقافية، وما أتمناه هو عودة الندوات بصورة أكثر جودة لأن معظم الندوات منفصلة بعض الشىء عن الوسط الثقافى، وأعتقد أنها تحتاج بعضًا من الانفتاح فى الأفكار، وألا تكون محددة فى أمور بسيطة.

د. أسامة الشاذلى يتحدث لـ«حرف»

الكتابة التاريخية تحتاج لجهد بحثى.. وعلى الكاتب أن يلم بطبيعة الحقبة التى يتحدث عنها من ناحية الألفاظ والزى والكلام

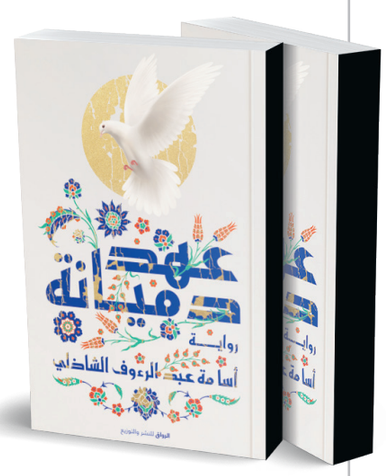

سعيد بتعاونى مع «المتحدة» لتحويل «عهد دميانة» لمسلسل تليفزيونى.. وأتمنى أن يراها المشاهد العام المقبل على الشاشات

اخترت الطب دون أى ضغوط من الأسرة.. لكنه عطلنى عن ممارسة هوايتى فى المجال الأدبى وتسبب فى ظهورى متأخرًا

أحب الصوفية.. لكننى لست تابعًا لطرقها رغم اسم عائلى العائد لـ«القطب الكبير»

الكتابة مسئولية والنشر ليس غرضه الفضفضة أو الدردشة أو إظهار أحاسيس شخصية

الكاتب الجيد هو الذى يتواصل جيدًا مع القارئ ولا يتقعر أو يتعالى عليه بكتاباته

حدث لأول مرة، أنا لا أكتبه ولكنى أستمتع به وكتبت موالًا، وكتبت قصيدة شعرية عمودية، وكتبت أغنية شعبية، وكتبت الزجل.

ومن ضمن ما كتبت على لسان شخصية «يوستينا» فى رواية «عهد دميانة»..

يا سيدى اعذر فى الهوى قلبي
فما حيلتى بين الهجر والذنب
أحلال من تعاف النفس معشره
وحرام من ينير بوصله دربى
فإن كان ترك الذنب مكرمة
فكرمك حل الإثم عن ذنبى

■ كان واضحًا أن كل رواية هى عبارة عن خطة يضعها أسامة الشاذلى.. كيف تحضر للرواية منذ كونها فكرة؟

أنا دائمًا يشغلنى سؤال ويكون المدخل الذى أحاول أن أجيب عنه فى الرواية، شغلنى سؤال ماهية الدين فى «شمعون» وماهية الهوية فى «دميانة»، وفى العمل المقبل ماهية الحضارة والعلاقة بين العلم والحضارة، وهذا السؤال الثالث فى الرواية الثالثة، ثم أجرى منهجية للرواية من خلال «التايم لاين» الذى سأعمل عليه والفترة الزمنية وتتابع الأحداث من الناحية التاريخية، ثم الشخصيات التى سأرسمها ثم أصيغ المشاهد أو الحبكة كما لو أننى أكتب معالجة مختصرة ثم أبدأ فى العمل، بالطبع الالتزام بهذه الأمور يكون مختلفًا فى نهاية الرواية لأن سياق الأحداث يجعلك تغير كثيرًا، فقد تختلف النهاية وتتابع الأحداث ولكن مهم أن تضع خطتك وبعدها تطلق العنان لمشاعرك ولأفكارك وأنت تكتب.

■ حين ينتهى القارئ من أعمالك يجد أن هناك همًا شخصيًا وهمًا عامًا وهو هم الإنسانية نفسها، وما يرد على ألسنة الشخوص من أننا أبناء عالم واحد يجمعنا مشترك الإنسانية نفسها وبالتالى فما الداعى للحروب والخصومات وغيرها؟

– بالتأكيد طبعًا، الأرض هى الوطن والإنسان هو الأخ فى أى مكان بغض النظر عن دينه وعرقه وهذا الهم أنا محمل به وأنا محمل بالهم العام وأسئلة شمعون هى أسئلتى وأبحث لها عن إجابة وقراءاتى واحتكاكى بالناس، ومنهم أبى رحمة الله عليه، لهم الفضل فى الوصول لبعض الإجابات التى كانت تشغل عقلى وعقول كل المراهقين فى ذلك الوقت، هذه الأسئلة ثم قياسها على الهم العام الذى نعيش فيه، والهم الذى يشغلنى هو عيش البشر دون تشاحن لأن الإنسانية هى الرابط بيننا.

■ قلت كثيرًا إنك كنت تحب الآثار.. هل كانت الرواية هنا معادلًا موضوعيًا لما لم تتمكن من تحقيقه وهو دخول كلية الآثار؟

– أنا أحب التاريخ جدًا وحينما نجحت فى الثانوية قلت لوالدى: «سأدخل كلية الآثار» فقال لى: «إن الآثار هواية رائعة، ولكن اختر الطب»، ولأننى كنت متفوقًا فى العلوم العلمية فاخترت الطب دون أى ضغوط من الأسرة، حقيقى أن الأمر عطلنى عن ممارسة هوايتى فى المجال الأدبى، وتسبب فى ظهورى متأخرًا، ولكنى أحب الطب وأحب تخصصى فى جراحة العظام وأحب تخصصى داخل جراحة العظام فى القدم والكاحل وأعتقد أن مهنة الطب لا تعادلها مهنة وأنا محظوظ أننى جمعت بين الطب والأدب، وإن كان همى هو الإنسان فالطب معالجة للجسد والأدب معالجة للروح، ومن هنا بالفعل كان الجنوح لكتابة الرواية رغبة قديمة جدًا.

■ كتبت كثيرًا لكنك لم تنشر ما كتبته فى حينه.. لماذا؟

– هذه نقطة مهمة، الكتابة مسئولية ويجب على الكاتب أن يقرر حينما يطرح أفكاره أنه يجب أن يكون لديه ما يقوله، النشر ليس للفضفضة أو كتابة أحاسيس شخصية وإنما يكون جادًا ويثير الفكر والعاطفة، وليس دردشة أو ملء ورق بالكلمات.

أنا بدأت الكتابة منذ فترة طويلة وهناك مجموعات قصصية وروايات ولكننى اعتبرها تمارين للكتابة وحتى إذا طبعها لا أوزعها إلا لمعارفى يقرأونها ويقولون رأيهم.

على سبيل المثال أول رواية كتبتها كانت «ست الملك والحاكم بأمر بالله»، طبعتها فى مطبعة خاصة، ووزعت ٤٠٠ نسخة لأصدقائى، إلى أن جاءت «أوراق شمعون المصرى» فرأيتها تستحق النشر بصورة جيدة.

والكثير تم نشره وكانت هناك مجموعة قصصية فى ٢٠١١، وكان هناك كتاب فى ٢٠١٠، وكل شىء بأوان بالتأكيد.

■ منذ ثلاث سنوات خرجت «أوراق شمعون»، والعام الماضى خرجت «عهد دميانة».. هل هذا السياق يشير إلى أنه ليس هناك عمل أدبى هذا العام؟

– هذا صحيح، سأطرح روايتى الجديدة العام المقبل.

«أوراق شمعون» يبحث فى حقيقة الوعد الإلهى لبنى إسرائيل وما المقصود بالأرض المقدسة التى سيعيشون عليها

■ فى «أوراق شمعون المصرى» استندت لبعض التفاصيل التوراتية وكان هذا سببًا فى جعل اللغة تتشكل لتناسب هذا العالم على عكس «عهد دميانة» التى كانت فيها اللغة أكثر رقة وشاعرية، كيف يستخدم أسامة الشاذلى اللغة فى أعماله؟

– اللغة شىء مهم وحصيلة الكاتب اللغوية هى رأس ماله، ولا توجد رواية جيدة دون لغة، اللغة وعاء العمل الروائى وإن كان الوعاء هشًا أصبح العمل هشًا، اللغة يجب أن تكون جيدة وتحتوى على محسنات ومرادفات ومفردات كثيرة مهمة لأننا أمام نص أدبى ونحن لا نكتب تقارير، اللغة رأس مال الكاتب التى يجب أن يهتم بها عن طريق قراءاته وتنويع مفرداته، وكل هذا يرفع من مستوى اللغة، واللغة المستخدمة يجب أن تناسب العمل فحين أتحدث عن قصة دينية وردت فى القرآن والتوراة وأتناولها بلغة سطحية معاصرة أو لغة غير ملائمة لهذا العصر أو كما وردت فى القرآن فسيشعر القارئ بالركاكة، وهناك فيلم المهاجر مثلًا وهو من أفضل الأفلام، ولكن من أكثر عيوب الفيلم لغته، لغة ركيكة عامية لا تتناسب مع الصورة الذهنية عن قصة يوسف فى القرآن الكريم، مراعاة اللغة شىء مهم.

فى «دميانة» كان لا بد للغة أن تواكب العصر الفاطمى، فبعد أن اختفت اللغة القبطية وظهرت العامية وراحت تتشكل، وأصبح المصريون أمام لغة معبرة عربية وهى اللهجة العربية الفاطمية وهى اللهجة التى نتحدث بها الآن، هذه اللغة يجب أن تلائم العصر بمفرداته بطريقتهم بالخلط بين القبطية والعربية والمصرية القديمة، يجب أن تكون اللغة ملائمة لسياق الأحداث من ناحية الشاعرية وعذوبة الألفاظ وكل هذه الألفاظ.

■ فى «عهد دميانة» كان هناك موال وقصائد شعرية تناسب الحالة، وكان واضحًا أن هذا شعر أسامة الشاذلى.. فكيف ترى الشعر؟ وما مدى أهمية قراءة الكاتب له؟

– الشعر مهم جدًا ولا يوجد من يهتم بالأدب لا يقرأ الشعر، وأعتقد أن الغالبية العظمى من الكتاب الذين يهتمون بالأدب يقرأون الشعر وهو شىء ممتع ويلامس الشعور جدًا، وفى عهد دميانة ألفت الشعر بالفعل والحقيقة أن هذا مع القارئ، أنا أريد أن أصل إليه بأفكار واضحة دون أى لبس أو صراعات، ولهذا تقبلها القارئ رغم أن الرواية حساسة بسبب جرأة أفكارها واحتوائها على أفكار قوية تتعلق بالأرض المقدسة وأصل الأديان، والحديث عن اليهود يحمل حساسية، لكن تقبلوها بقبول حسن وعرفوا أن الفكر المقدم ليس هدفه «الفرقعة».

■ هناك أطباء كتبوا فى الرواية مثل الدكتور يوسف إدريس والدكتور إبراهيم ناجى والدكتور محمد كامل حسين، وغيرهم.. والبعض شبه كتابة الطبيب بأنها عملية جراحية بها الكثير من التفاصيل الدقيقة والتفكير القوى قبل الإقدام، وفكرة من أين أبدأ حتى إن كل غرزة فى العملية تشبه خطًا فى الحبكة.. كيف ترى هذا؟

– نعم أنا معك تمامًا، الطب والأدب يجتمعان فى كثير من الكتاب كما قلت، وأجد تشابهًا بينى وبين الدكتور محمد كامل حسين، فقد كان أستاذًا لجراحة العظام أيضًا مثلى تمامًا، وهو صاحب العمل البديع «قرية ظالمة» التى تتحدث عن المسيح وتستند لوقائع دينية، وهو قدوة فى هذا المجال.

الطب يحتوى على عوامل مشتركة بينه وبين الأدب أهمها أن الطب هو علم يعتمد على القراءة، والكتابة أيضًا، فلا يوجد كاتب غير قارئ ولا يمكن أن يكون هناك طبيب ناجح بغير قراءة، فشخصية الطبيب مستعدة للقراءة بطبيعتها، وإن الطب مهنة تواصل والطبيب الجيد هو الذى يتواصل جيدًا مع مرضاه، بغض النظر عن علمه، فقد يكون هناك طبيب عالم ولا يعرف مهارة التواصل بشكل جيد، فلا يشعر المريض بالراحة وكما يقولون نصف العلاج فى المقابلة والحديث والراحة مع الطبيب، والكتابة هى مهنة تواصل أيضًا، والكاتب الجيد هو الذى يتواصل جيدًا مع القارئ، والكاتب الجيد لا يتقعر على القارئ ولا يتعالى عليه بكتاباته، ولا يتعالى بمفرداته ولغته، الكاتب الجيد هو الذى يستطيع إيصال فكرته بصورة واضحة دون تقعر وغموض وغرائبية واستعراض لمهارات الكتابة، وإذا وصلت الأفكار بصورة واضحة يكون كاتبًا جيدًا.

أنا جراح وتخصصى فى مجال التشوهات، وهناك فن فى هذا الأمر، وهى من العوامل المشتركة أيضًا، إذًا فالرواية عملية جراحية كما قلت.

جدًا وأن تعبده لأنه يستحق أن يعبد، فيجب أن نحبه، هذه كانت المسحة الصوفية فى الشيخ عابد الذى أفهم شمعون كيف أننا يجب أن نعبد الله بصورة مغايرة، فقال له شمعون مثلًا: «ألا تخشى إلهك»، فقال له: «أخشاه خشية العبد أن يغضب سيده، وأخشاه خشية المحب أن يغضب حبيبه، وإن كانت العبودية بين عبد وسيد سيظل الخوف هو الرابط الوحيد فى العلاقة، ولكن إذا كانت العلاقة بين المحب وحبيبه فسيكون الحب هو الرابط».

■ تقنية الأوراق ليست جديدة فقد كتب بها جمال الغيطانى «أوراق شاب عاش منذ ألف عام» وكتب بها يوسف زيدان روايته «عزازيل» واستبدل الورق بالرقوق، فكيف ترى استخدامك لهذه التقنية فى «شمعون المصرى»؟

– التقنية هو السرد الخطى وهى شخصية واحدة ونسير فى زمن خطى متصل وتحكى بتتابع وتسلسل، وهذا الاختيار كان مناسبًا لاختيار شمعون راويًا للأحداث، وكان اختياره لأنه يتيح لى إبداء رأيى دون مآخذ، أنا أتعامل مع قصة شديدة الحساسية، قصة دينية وتاريخية تقدسها الديانات الثلاث وليس مستحبًا لى- وإن كان يجوز لى فى عالم الرواية- ولكنى كأسامة الشاذلى أتحرج أن أتناول الشخصيات الدينية بصيغة الراوى العليم، وأترك هذا الأمر لشخص آخر كأنما عايش الأحداث وهذا أقل جرحًا للقارئ وأقل عند الاسترسال فى الكتابة فلو قلت إن «موسى» قد دخل وربت على كتف زوجته فربما يكون محرجًا للقارئ الذى يرى أن سيدنا موسى شخصية مقدسة، وربما ينفصل عن الاسترسال، ولكن حين يقرأ على لسان راوى فسيتقبلها لدرجة أن بعض الناس ظنوا أن شمعون شخصية حقيقية.

■ تركت فى نهاية الرواية الشخوص والخرائط وأسماء الأماكن.. هل تريد أن تقول للقارئ هذه حدود تدخلاتك فى التاريخ؟

– نعم.. أنا لا أريد أن أدخل فى معارك فكرية

تناول قصة دينية وردت فى القرآن والتوراة فى رواية يجب أن يتم بلغة رصينة ملائمة للعصر.. وليس مثل فيلم «المهاجر» الذى تعيبه لغته الركيكة

عملى المقبل سيبحث فى ماهية الحضارة والعلاقة بينها وبين العلم

الدين يُقوم الخوف والرجاء.. لكن بعض قصار العقول يعظّمون الخوف ويغلقون باب الرجاء

تفتتح قرينة ولى عهد النرويج، الأميرة «ميته ماريت»، جناح بلدها فى معرض القاهرة الدولى للكتاب، المقرر عقده من ٢٤ يناير إلى ٦ فبراير، حسبما أعلنت هيلدا كليمستدال، سفيرة النرويج بالقاهرة. تنتشر قصص كثيرة حول مدى اهتمام صاحبة السمو الملكى بالقراءة ومحبتها العميقة للكتب، وسعيها الدائم للترويج للأدب النرويجى، وهى سفيرة الأدب النرويجى على المستوى الدولى. تشارك الأميرة ميته فى فعاليات ثقافية كثيرة حول العالم، وتحب دائمًا مشاركة الناس ما قرأت، وتسليط الضوء على الكتب ذات الفائدة للشعوب.

سارة ساويرس

الأميرة

«ميته ماريت».. صاحبة جولات القطار الأدبى وسفيرة بلادها الثقافية

وُلدت الأميرة ميته ماريت فى ١٩ أغسطس ١٩٧٣، وجرى الإعلان عن خطبتها لولى العهد الأمير هاكون، فى ١ ديسمبر ٢٠٠٠.

تعرض الشريكان للكثير من الانتقادات من العائلة الملكية النرويجية، ومن الكثيرين، فقد أثار اختيار الأمير العروس ميتّه ماريت جدلًا كبيرًا، لأنها امرأة لم تكن من عامة الشعب فحسب، بل كانت أمًا عازبة أيضًا.

ولم يتعلق الانتقاد بمسألة النسب فقط- إذ لا يمكن لابنها أن يصبح ملكًا أبدًا- بل امتد الأمر للأشخاص الذين ارتبطت بهم فى حياتها السابقة، وهو ما اضطر ولى العهد وعروسه لعقد مؤتمر صحفى قبل أقل من أسبوع من زفافهما، اعتذرت فيه عن حياتها السابقة، وجعلت بيانها بمثابة نداء ودرس، وقالت إنها تأمل فى الحد من الأسئلة المستقبلية حول ماضيها، وكان «هاكون» داعمًا لها، وكذلك والداه الملك هارالد الخامس والملكة سونيا.

وقبل أيام قليلة من الزفاف، فى مؤتمر صحفى، اعتذرت أميرة النرويج المستقبلية علنًا للشعب النرويجى، قائلة: «لقد كانت تجربة كلفتنى غاليًا، واستغرقت وقتًا طويلًا لتجاوزها، لا يمكننى تغيير الماضى، على الرغم من أننى أتمنى لو أستطيع ذلك».

فيما عبر ولى العهد الأمير «هاكون» عن إعجابه بـ«ميته»: «لا عجب فى أننى وقعت فى حب هذه الفتاة، ما وجدناه فى بعضنا البعض قوى جدًا، لدرجة أننى لا أستطيع التخلى عنها».

وتزوج الثنائى فى كاتدرائية أوسلو فى ٢٥ أغسطس ٢٠٠١، وهناك ثلاثة أطفال فى عائلة ولى العهد: ماريوس بورج هويبى والأميرة إنجريد ألكسندرا والأمير سفير ماجنوس.

وتشارك الأميرة ميته ماريت على مدار العام، فى مجموعة من الأحداث الأدبية المهمة، التى تشمل جلسات القراءة للأطفال فى حديقة Palace Park، أو فى قصر أوسكار شال الملكى فى النرويج، أو المهرجانات الأدبية وزيارات المكتبات، كما تهتم الأميرة أيضًا بترتيب لقاءات حول الأدب النرويجى فى خارج بلادها خلال زياراتها الرسمية للدول الأخرى.

وقالت فى إحدى مقابلاتها: «لا أستطيع أن أتخيل الحياة بدون كتب، منذ أن كنت طفلة، كان يُقرأ لى، وأتيحت لى الفرصة للدخول عالم الخيال، فإن القراءة، والصور التى تخلقها، والعواطف التى تثيرها قراءة الكتب، جعلتنى شخصًا أفضل وأكثر حكمة».

وفى ٢٦ أبريل ٢٠١٧، تولت منصب سفيرة الأدب النرويجى على الساحة الدولية، وجرى اختيار النرويج كضيف شرف فى معرض فرانكفورت للكتاب لعام ٢٠١٩، وشاركت الأميرة فى الأحداث الرئيسية المتعلقة بفعاليات ضيف الشرف، وكان لدورها فى الترويج للأدب النرويجى صدى دولى، امتد لما بعد معرض الكتاب فى فرانكفورت، إذ يكتسب الأدب النرويجى شعبية فى الخارج، وتعمل الأميرة باستمرار لتعزيز مكانته بشكل أكبر.

وتعد «جولة القطار الأدبى»، أقرب الفعاليات الثقافية لقلب الأميرة الحكيمة، ففى السنوات القليلة الماضية، كانت تنطلق كل ربيع فى جولة بالقطار الأدبى، بمساعدة السكك الحديدية الحكومية النرويجية ومكتبة أوسلو العامة.

ولا تتبع جولة القطار جدولًا محددًا للسكك الحديدية، ويضم القطار بجانب عربة القطار الملكية النرويجية، عربة أخرى عبارة عن مقهى وعربة للركاب، وأيضًا عربة عبارة عن مكتبة، هذه عربة مفروشة خصيصًا لتحتوى على كتب من مكتبة أوسلو العامة، ومجموعة كتب من مكتبة ولية العهد الخاصة.

وعندما يتوقف القطار فى المحطة المحلية، عادة ما تكون العربة مفتوحة لأى شخص يرغب فى تناول فنجان من القهوة وقراءة كتاب جيد.

وعلى طول الطريق، تنظم ولية العهد لقاءات أدبية بين المؤلفين والجمهور، وتعقد الاجتماعات عادةً فى المكتبة المحلية، لكن محطات القطار مهدت الطريق أيضًا لبعض اللحظات السحرية التى لا تنسى.

وانطلقت ولية العهد النرويجية، ميته ماريت، فى أول جولة قطار أدبية على طول خط سكة حديد نوردلاند- من بودو إلى ستيوردال، فى عام ٢٠١٤، وكانت هذه جولة شخصية لولية العهد، التى شاركت العديد من مفضلاتها، وتحدثت عن تجارب القراءة الخاصة بها على طول الطريق.

وتضمنت جولة القطار الأدبية الأولى العديد من الموضوعات الثقافية المختلفة، فكان هناك لقاء عن أدب للأطفال فى فوسكى، وفعالية أخرى عن أدب للمراهقين فى روجنان.

وكان «الحب فى الأدب» الموضوع الأكثر شعبية على الإطلاق، وكان محور الحديث عندما وصلت جولة القطار الأدبى إلى مو آى رانا، إضافة إلى مناقشة أعمال شكسبير، والكثير من الموضوعات الأخرى.

وفى عام ٢٠١٥، سافرت ولية العهد ميته ماريت، فى الجولة الأدبية الثانية بالقطار من ترونديهايم إلى هامار، وتوقف فى أوبدال ورينغبو وليلهامر، وفيها شاركت ولية العهد تجاربها الخاصة فى القراءة، كما أسهم مجموعة من مؤلفى الكتب فى النرويج فى الحدث، وشاركوا فى الفعاليات كقراء ومبدعين للأدب، وكانت من أبرز مناقشات الحدث «الهوية»، وهو موضوع شائع فى الأدب النرويجى فى السنوات الأخيرة، وفيه يقترب الناس من حياتهم الخاصة.

وفى عام ٢٠١٦ كان موضوع جولة القطار الأدبى هو «أن تكون غريبًا»، فيشعر الغرباء عادة بأنهم منبوذون فى مجموعات بين الحين والآخر، وهى ظاهرة عالمية، فيما يساعد الأدب فى إظهار والكشف عن الآخرين وتجاربهم المختلفة.

وقدمت الأميرة كتابًا مهمًا للمكتبة النرويجية، بعنوان «The Home Country and Other Narratives»، وهو عبارة عن مجموعة مختارة من ١٢ قصة ومقالًا، وطلب من ولية العهد تحرير المختارات كجزء من دورها كسفيرة للأدب النرويجى فى الخارج.

واختارت الأميرة الكاتب جير جوليكسن، كمحرر مشارك لها، وتدور القصص حول معنى «أن تكون نرويجيًا اليوم».

من القاهرة هنا النرويج

قائمة الإصدارات عن دولة ضيف الشرف فى معرض الكتاب

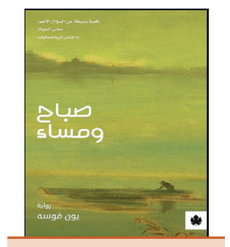
صباح ومساء
المؤلف: يون فوسه
ترجمة: أمل رواش وشرين عبدالوهاب
دار الكرمة

ثلاثية
المؤلف: يون فوسه
ترجمة: أمل رواش وشرين عبدالوهاب
دار الكرمة

الميراث والوصية
المؤلف: فيجدس يوت
ترجمة: أمل رواش وشرين عبدالوهاب
دار الكرمة

حب
المؤلف: هانة أورستافيك
ترجمة: سها السباعى وشرين عبدالوهاب
دار صفصافة

البطة البرية
المؤلف: هنريك إبسن
ترجمة: أمل رواش وشرين عبدالوهاب
دار صفصافة

ذبابة بشرية
المؤلف: هانز أولاف لهلوم
ترجمة: أمل رواش
دار العربى

رقصة داكنة
المؤلف: محمد سيف المفتى
ترجمة: محمد سيف المفتى
دار العربى

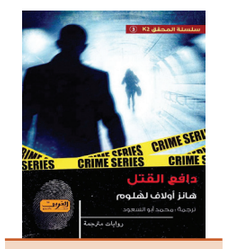
دافع القتل
المؤلف: هانز أولاف لهلوم
ترجمة: محمد أبوالسعود
دار العربى

جريمة العروس الهندية
المؤلف: كارين فوسم
ترجمة: هند عادل
دار العربى

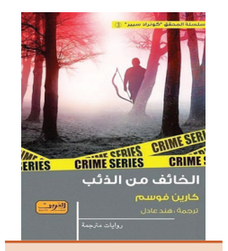
الخائف من الذئب
المؤلف: كارين فوسم
ترجمة: هند عادل
دار العربى

أقمار صناعية
المؤلف: هانز أولاف لهلوم
ترجمة: هبة الله هشام
دار العربى

أعيش حياة مثلك
المؤلف: يان جرو
ترجمة: محمد عبدالعزيز
دار العربى

أسفل مانهاتن
المؤلف: إيرلينج كايج
ترجمة: هايدى إبراهيم
دار العربى

استغاثة
المؤلف: جريق بو
ترجمة: يارا أيمن
دار العربى

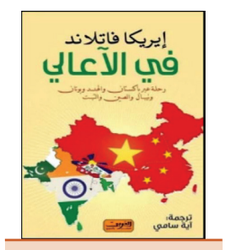
فى الآعالى
المؤلف: إيريكا فاتلاند
ترجمة: آية سامى
دار العربى

حكاية نرويجية
المؤلف: ماتياس فالدباكن
ترجمة: نانسى محمد
دار العربى

جريمة جليسة الأطفال
المؤلف: كارين فوسم
ترجمة: هند عادل
دار العربى

النيل: نهر التاريخ
المؤلف: تاريه تفايت
ترجمة: منة الخازندار
دار العربى

جريمة فى الظلام
المؤلف: كارين فوسم
ترجمة: هند عادل
دار العربى

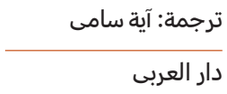
موت مُستَحق
المؤلف: يورين لير هورست وتوماس إنير
ترجمة: محمد أبوالسعود
دار العربى

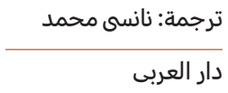
جريمة رأس السنة
المؤلف: يورين لير هورست وتوماس إنير
ترجمة: آية حفناوى
دار العربى

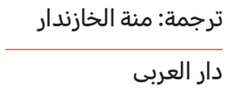
كفى! كيف تدمر الليبرالية الجديدة البشر والطبيعة
المؤلف: لين ستالسبيرج
ترجمة: شرين عبد الوهاب بسنت على أمين
دار صفصافة

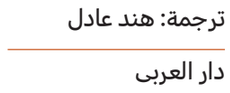
امرأة من البحر
المؤلف: هنريك إبسن
ترجمة: شرين عبد الوهاب وأمل رواش
دار صفصافة

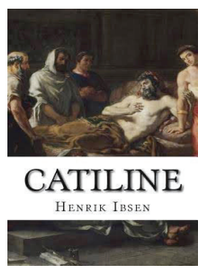

لم تكن مصادفة أن يكون الكاتب النرويجى الأكبر هنريك إبسن، هو المسرحى الوحيد الذى يمكن مقارنة منجزه بما خلفه الإنجليزى الأشهر وليم شكسبير، وهو الذى لقبه النقاد حول العالم بأبو المسرح الحديث، ومجدد المسرح الأوروبى، وأكثر من عملوا على تأسيس المسرح الاجتماعى والواقعى تأسيسًا قويًا، خصوصًا بعد مسرحياته التى كتبها خلال سنوات تجواله فى منافيه الأوروبية، مثل «بيت الدمية» التى اشتهرت عالميًا لارتباطها بقضية مكانة المرأة فى المجتمع، إلى جانب مسرحيات كبرى مثل «الأشباح»، و«سيدة البحر» و«البطة البرية»، وارتبطت أخرى بفساد رجال المال والسلطة، كما فى «عدو الشعب»، و«أعمدة المجتمع»، و«رابطة الشبيبة»، وهى المسرحيات التى لم ينطلق فى كتابته لها من منطلقات أيديولوجية سياسية، بل من منطلقات أخلاقية تكاد تكون معادية للأيديولوجيا.

عبدالوهاب داود

النرويجى الأكبر

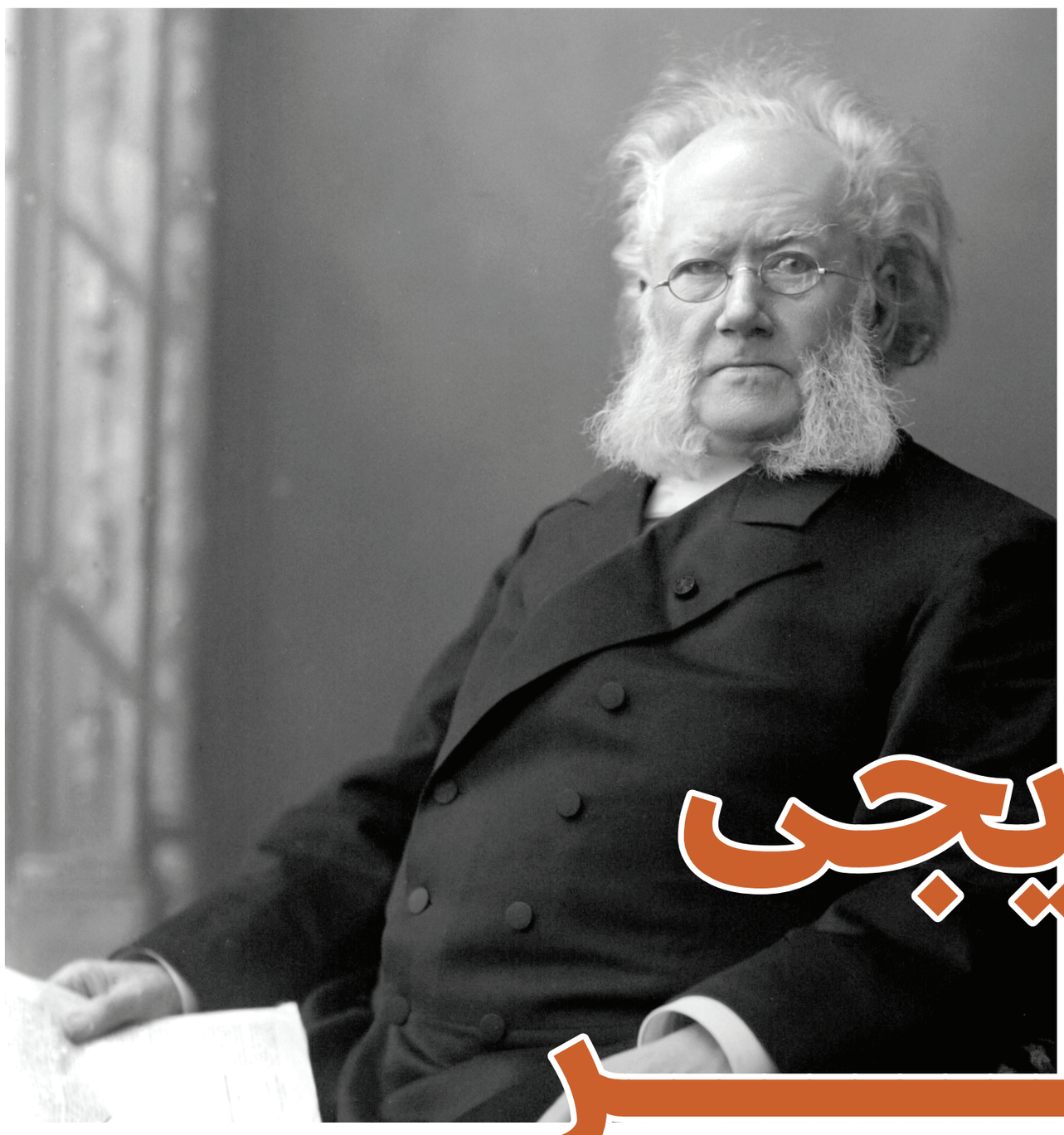

هنريك إبسن.. عين أعيان المسرح الاجتماعى والواقعى

كتب إبسن أولى مسرحياته «كاتالينا» وهو فى الثانية والعشرين من عمره، ولم يهتم بها أحد، فكتب فى نفس السنة ١٨٥٠، مسرحيته «عربة المحارب» التى أطلقت شهرته، وفتحت له الباب واسعًا إلى المسرح النرويجى، ولعبت الدور الأكبر فى تحوله إلى الكتابة المسرحية بعد أن كان طوال السنوات السابقة يكتب الشعر، وينشر نصوصه فى الصحف المحلية، وفيما كان يتشكل بين الشباب وقتها، تيار يبحث عن هوية قومية، وخصوصية محلية، وينادى بالعودة إلى الفولكلور والأغانى الشعبية، والتراث الرعوى، اتجه إبسن إلى الأساطير الأوروبية الشمالية الغنية بالرموز والمعانى، وذهب فى جولة طويلة فى أرجاء الريف النرويجى بصحبة رفيقه بول بوتن هانسن، وراحا يجمعان الأناشيد والحكايات الشعبية، وأغانى الحانات وأعياد الميلاد، لا سيما ما كان لا يزال راسخًا منها فى مناطق الوسط الأوروبى، وهى المواد التى قام باستخدامها فى عدد قليل من المسرحيات التاريخية التى كتبها فى تلك المرحلة المبكرة من حياته، لكنها جميعًا لم تحقق نجاحًا يذكر، وكانت بمثابة إخفاق شديد له، لولا مسرحية «ليلة القديس يوحنا»، الوحيدة التى حققت نجاحًا جماهيريًا ونقديًا واسعًا، ولعبت دورًا فى إنارة الطريق أمامه، إذ كانت هى المسرحية الوحيدة فى تلك الفترة التى اتسمت بعصرية موضوعها، وشخصياتها، وربما كان ذلك هو السبب المباشر فى تحوله إلى النقد الاجتماعى، والمسرح الواقعى، فقد وجد إبسن المسرح الغربى خاليًا ومجدبًا، فحوله إلى شكل فنى غنى وقوى، ليس فى بلده فقط وإنما فى العالم كله، كما غير فى الكثير من أنماط التفكير الاجتماعى لجيله، ولكثير من الأجيال التى جاءت من بعده، وكانت مسرحياته بمثابة التبشير بثورة الفرد على محظورات وتحيزات النظام الاجتماعى القديم، تلك التى كانت تحكم سيطرتها فى كل مدينة، وكل قرية، وعلى كل أسرة، وعلمت النساء أن ضميرهن ومفاهيمهن الشخصية عن الحرية، لا بد أن تكون لها الأولوية على متطلبات المجتمع، مما عجل بثورة فى الاتجاهات والسلوك العام.

اختار إبسن تمزيق الأقنعة كلها، وكشف الزيف الاجتماعى، داعيًا إلى الاعتدال والوسطية بعيدًا عن التطرف، ولهذا وصف النقاد مسرحياته بالقنابل الموقوتة، إذ كانت كل واحدة منها تفجر قضية ما، وتثير ردود فعل عنيفة، ففى عام ١٨٧٩، عندما عرضت مسرحية «بيت الدمية» للمرة الأولى، أثارت غضب المشاهدين، حتى إنهم رموا الممثلين بالطماطم، واعتبروها إهانة تمس بمكانة المرأة، وتهدد الطمأنينة العائلية، فقد رفع نص المسرحية القناع عن حياة زوجية، عاشت فيها الزوجة كاللعبة فى البيت، أكثر منها شريكة لزوجها الذى لم تدخر أى جهد لإسعاده، فى حين كان هو يتعامل معها كالدمية التى لا تفهم شيئًا، لترفض «نورا»، الزوجة قليلة الخبرة، أن تحيا حياة زائفة مع زوجها المثقف، وتكتشف أنه لا يكن لها احترامًا حقيقيًا، ولا يؤمن بحقها فى أن تفكر، أو تتخذ أى قرار، وتكتشف خديعتها فى زوجها، وتجد أن ما كانت تعتبره سعادة كان مجرد وهم كبير.

وقيل إنه بسبب الجدل الكبير الذى أثارته هذه المسرحية، واستغلالها من قبل الحركات النسائية المتطرفة، وتفسيرها بعيدًا عن مقاصد إبسن الحقيقية، اضطر إلى أن يضع لها خاتمة جديدة لإرضاء الجمهور، ورغم ذلك فلا تزال المسرحية حتى اليوم تثير جدلًا كبيرًا بين النقاد والمسرحيين حول العالم.

كان إبسن فقيرًا على المستوى الشخصى، وكان ضئيل الحجم، وقبيحًا، نشأ فى ظل شائعة تقول إنه طفل غير شرعى لرجل مجهول، وكان يصدق ذلك أحيانًا، ويردده وهو فى حالة سكر، وإن كان لا يوجد دليل على صحة ذلك، فالمعروف أنه أتى من بلد صغير فقير، لا يملك أى تراث ثقافى رسمى، وكانت الثقافة فى معظمها دنماركية اللغة، فى شباب «إبسن» ورجولته المبكرة، فكانت الكتابة بالنرويجية معناها أنك تعزل نفسك عن بقية الدول الإسكندنافية.. كانت «سكين» التى ولد بها، منطقة مقفرة، تنتشر فيها الذئاب، ومرض الجذام، وكان «إبسن» الابن الأكبر بين خمسة أطفال، أربعة ذكور وبنت واحدة، لأب يعمل بالتجارة، وأسلاف من البحارة، فيما كانت أمه ممثلة فاشلة، من عائلة تعمل بالشحن، وعندما بلغ إبسن السادسة من عمره، أفلس والده وأصبح إنسانًا مكسورًا طفيليًا مشاكسًا نكد المزاج، وأمه التى كانت جميلة ذات يوم، أصابها الاكتئاب، وانغلقت على نفسها، فكانت تختفى فى غرفتها وتلعب بدمى الأطفال.

> كتب إبسن كثيرًا عن الحب وكان الحب هو الموضوع الرئيسى لشِعره حتى وإن كان ذلك بمعنًى سلبى للتعبير عن آلام العزلة

ويقول بول جونسون فى كتابه «المثقفون» الذى ترجمه الرائع طلعت الشايب إن خروج إبسن من هذه الهاوية، يعتبر «ملحمة عن العصامية والتعليم الذاتى، فقد تمكن من شق طريقه نحو الجامعة، ولعدَّة سنوات كانت معاناته شديدة. كان يكتب الشعر والمسرحية والنقد والتعليق السياسى. مسرحيته الأولى الساخرة «نورما» لم تقدم على المسرح، أما أول أعماله التى قدمت فكانت «كاتالينا» وهى مأساة شعرية كذلك، وفشلت. لم يكن حظه أفضل مع ثانى مسرحية تُقدم على المسرح «ليلة سان جون». مسرحيته الثالثة «جبل المحارب» سقطت، الرابعة «السيدة إنجار» وهى مسرحية نثرية، قُدمت باسم مجهول، وفشلت أيضًا.

العمل الأول الذى جذب الانتباه إليه هو «حفل فى سولهاج»، كانت فى نظره شيئًا تقليديًا تافهًا. ولو أنه اتبع ميوله الطبيعية، كما فعل فى الدراما الشعرية «كوميديا الحب»، ما كانت لتقدم على المسرح بالمرة. إلا أنه اكتسب خبرة مسرحية كبيرة بالتدريج، فقد اختاره الموسيقار «أول بول» مؤسس أول مسرح لغوى فى «بيرجن» ليكون مؤلفًا له نظير خمسة جنيهات فى الشهر، ولمدة ست سنوات كان يعمل فى المناظر والملابس وشباك التذاكر ويساعد فى الإخراج، رغم أنه لم يمثل أبدًا وكانت نقطة ضعفه عدم ثقته فى قدرته على توجيه الممثلين، وكان من عادته أن ينشر مسرحياته فى كتب أولًا؛ كما كان يفعل معظم شعراء القرن التاسع عشر، ولم تكن تلك المسرحيات تظهر على المسرح إلا بعد سنوات تطول فى أحيان كثيرة، وكان عدد النسخ المطبوعة والمبيعة يتزايد تدريجيًا من خمسة آلاف ليصل أحيانًا إلى خمسة عشر ألفًا، واستمر ذلك لفترة طويلة حتى أدرك أن المسرحيات يكون تأثيرها عند تقديمها على المسرح أقوى من قراءتها فى المكتبة، وهو ما قاده إلى ترك الشعر وتبنى النثر، ومعه نوع جديد من الواقعية المسرحية، وكتب عبارته الشهيرة: «الشعر للرؤية، والنثر للأفكار»، ولكنه لكى يحصل على هذه النقلة، احتاج إلى سنوات طويلة مثل كل مراحل تطوره، فقد كان أحيانًا يبدو كسولًا، يفكر أكثر مما يكتب، وكانت مرحلة ما قبل الكتابة بالنسبة إليه، قاسية جدًا، لأنه لم يكن يتحمل أن يكرر نفسه، فقد كان كل عمل من أعماله مختلفًا، ويمثل خطوة جديدة نحو المجهول، لكنه بمجرد أن يستقر على اختيار ما يريد أن يحدث على المسرح، كان يكتب بسرعة كبيرة.

1 حضور بغيض.. وعناية مفرطة بأناقته

على مدى العقد الأخير من حياته، كان إبسن قد أصبح أشهر رجل فى إسكندنافيا، وإلى جانب تولستوى فى روسيا، كان إبسن يعتبر أعظم كاتب حى فى العالم، فذاعت شهرته فى جميع أرجاء الكرة الأرضية، وكان الصحفيون يقطعون آلاف الأميال لإجراء حوارات معه فى شقته الكئيبة فى «فيكتوريا تراس»، كما كان ظهوره اليومى فى مقهى «جراند أوتيل» فرجة لسكان العاصمة.

كان يجلس وحيدًا، يقرأ الجريدة، أو يشرب البيرة والكونياك، على الرغم من أنه لم يكن مدمنًا للخمور، ولا حتى سكيرًا، باستثناء فترات قليلة، كان لا يشرب أبدًا عندما يكتب، يجلس إلى مكتبه صباحًا، وهو صاح تمامًا، مرتديًا الفراك النظيف المكوى، ولكنه كان يشرب كنوع من المشاركة الاجتماعية، ولكى يتغلب على صمته وخجله الشديد، وبينما كانت المشروبات تفك عقدة لسانه، كانت تشعل غضبه، حتى إن ثورات غضبه فى النادى الإسكندنافى فى روما كانت مشهورة، وتخيف الناس منه، وكانت متوقعة دائمًا فى الاحتفالات واللقاءات التى كانت من تقاليد القرن التاسع عشر فى أوروبا وأمريكا الشمالية، ومحبوبة فى إسكندنافيا على نحو خاص. ويبدو أن إبسن حضر المئات منها، وأغلبها انتهى نهايات مفجعة، فقد قيل إنه عندما كان يدخل المقهى فى نفس التوقيت المعتاد كل يوم، كان جميع الجالسين فى القاعة يقفون ويرفعون قبعاتهم، لم يكن أحدهم يجرؤ على الجلوس قبل ذلك الرجل العظيم، ولكن الكاتب الإنجليزى ريتشارد لى جالين، الذى كان يذهب إلى النرويج، مثل آخرين، لكى يشاهد ذلك المنظر، وكما كان يفعل آخرون يذهبون إلى «ياسنايا بوليانا» لمشاهدة تولستوى، يصف دخول إبسن بقوله: «حضور بغيض، مزموم الشفتين، مبجل بأسلوب رسمى، منتصب مثل مدك البندقية، لا توجد لمحة تعاطف إنسانية واحدة فى بشرته الورقية، أو عينيه القاسيتين مثل عينى حيوان الغرير.. كان يبدو مثل اسكتلندى عجوز يدخل إلى الكنيسة».

ويحكى أن الأميرة مارى لويز، حفيدة الملكة فيكتوريا، لاحظت أنه كان يحمل مرآة صغيرة مثبتة داخل قبعته ويستخدمها وهو يمشط شعره، فقد كان أول شىء يلاحظه الناس عنه هو غروره الشديد. ولكنه لم يكن هكذا دائمًا، فقد كتبت ماجدالين ثورسون، زوجة والد زوجته، أنها عندما رأت إبسن الصغير لأول مرة فى بيرجن: «كان يبدو مثل حيوان المرموط الصغير الخجول، لم يكن قد تعلم بعد كيف يحتقر البشر، وكان يفتقر إلى الثقة بالنفس». أصبح «إبسن» شديد العناية بملبسه لدرجة المبالغة والتنميق لأول مرة فى سنة ١٨٥٦م بعد نجاح «سولهاج»، وضع أهداب الشعر الطويلة على أكمام سترته مثل الشعراء، وأصبح يرتدى قفازًا أصفر ويمسك عصًا. وفى منتصف السبعينيات (القرن التاسع عشر) زاد اهتمامه بالملبس ولكن بأسلوب أكثر كآبة يتناسب مع الواجهة المغلقة التى كان يقدمها للعالم، وكان اهتمامه بالملبس تفصيليا وبدرجة غير عادية، وقد وجد فى خطاباته تعليمات حرفية عن كيفية تعليق ملابسه فى الخزائن، ووضع جواربه وملابسه الداخلية فى الأدراج، وأنه كان يلمع أحذيته بنفسه، ويخيط أزرار قمصانه بنفسه، ولكنه كان يسمح لخادمته أن تلضم الإبرة!

2 نصيحة «أبوالهول».. وانضباط نجيب محفوظ

احتاج المسرح العالمى إلى أكثر من مائتى عام على رحيل شكسبير الذى توفى عام ١٦١٦، لكى يجدد دماءه، وتمده الحياة بعبقرية مسرحية جديدة، فقد ولد إبسن فى مارس ١٨٢٨، وفى مقدمته للفصل الخاص بحياة إبسن وأعماله فى كتاب «المثقفون»، يقول الكاتب الصحفى، والمؤرخ البريطانى الشهير بول جونسون إن «الكتابة على اختلاف أنواعها صعبة، والكتابة الإبداعية تحديدًا عمل ذهنى شاق. فالإبداع الخلاق خاصة إذا كان على نطاق واسع، يتطلب طاقة استثنائية ودرجة عاليةً من التركيز. وأن يقضى إنسانٌ ما حياته العملية كلها، وهو يواصل تطوير وتوسيع حدود فنه، فإن ذلك يدل على مستوى رفيع من الانضباط النفسى، وقوة الذهن، الأمر الذى لا يتوفر إلا لقلة من الكتاب.. كان ذلك بالضبط هو أسلوب عمل «إبسن»، حيث من الصعب أن نتذكر كاتبًا آخر فى أى مجال، ولا فى أى عصر نجح فى حرصه على ذلك مثله، إنه لم يخترع الدراما الحديثة فقط، وإنما كتب مجموعة من المسرحيات تشكل إلى الآن جزءًا مهمًا من ريبرتوار المسرح».

ربما تنطبق هذه الفقرة بصورة أكبر على حياة عين أعيان الأدب المصرى الحديث نجيب محفوظ، لكن جونسون الذى توفى فى يناير العام الماضى عن ٩٥ عامًا، ربما يكون معذورًا لأنه لم يطلع على حياة، وربما أعمال، محفوظ، وانحصرت كتاباته حول التاريخ الأوروبى والأمريكى المعاصر، حتى إنه فى الفصل الذى يقترب من عشرة آلاف كلمة، وتناول فيه أدق تفصيلات حياة هنريك إبسن، لم يكتب سطرًا واحدًا بشأن رحلته إلى مصر، ولا المسرحية التى لعب فيها تمثال أبوالهول دورًا كبيرًا فى تحولات بطلها، وهى مسرحية «بيرجينت»، والتى تعد واحدة من العلامات المميزة فى مسيرة واحد من أبرز الكتاب العالميين فى المسرح الواقعى، إذ اتسمت بخيال طاغ على عكس غالبية أعماله، وهى المسرحية التى كتبها قبل عامين من دعوته لحضور حفل افتتاح قناة السويس من قبل الخديو إسماعيل، كممثل للبلدان الإسكندنافية، ويتتبع فيها مسار فتى ريفى فقير، لكنه يملك خيالًا بلا حدود، إذ يروى لوالدته طوال الوقت وقائع مغامرات خيالية، ويحلم أن يكون إمبراطورًا على العالم، يقع فى غرام «سولفيج»، ويعشق أخريات فى نفس الوقت، ويقرر الهروب من حياته، فيهجر حبيبته، متنقلًا حول العالم، وعندما يصل إلى القاهرة، يذهب إلى «أبوالهول»، فيقف أمامه متسائلًا: من أنا؟!

> كان يلمع أحذيته بنفسه ويخيط أزرار قمصانه بنفسه

لتأتيه إجابة الصامت الأبدى: اختر نفسك.

هنا يقرر العودة إلى بلده، والبحث عن ذاته وهويته، عملًا بنصيحة «أبوالهول» له، وهناك يتمكن من العثور على حبيبته، ولملمة أشلائه، والاستقرار فى حياته.

3 الحب.. فكرة للتمثيل فقط

كتب إبسن كثيرًا عن الحب، وكان الحب هو الموضوع الرئيسى لشِعره، حتى وإن كان ذلك بمعنًى سلبى للتعبير عن آلام العزلة، ولكن من المشكوك فيه أن يكون قد أحب، أو استطاع أن يشعر بالحب نحو شخص بعينه، أكثر من كونه فكرة للتمثيل على خشبة المسرح فقط، وعلى الرغم من أنه تزوج من سوزانا ثورسن، ابنة عمدة بيرجن، وأنجب منها ابنه الشرعى، سيجورد إبسن، فإن الزواج تم بعد فترة خطوبة باردة استمرت عامين. كانت قارئة نهمة، عنيدة، وكانت زوجة أبيها المثقفة تقول عن إبسن باحتقار، إنها لم تعرف بعد كيركجارد شخصًا يضطر للانفراد بنفسه أكثر منه، كان الزواج وظيفيًا أكثر منه دافئًا. ولكنه بطريقة أو بأخرى كان حاسمًا بالنسبة لإنجاز إبسن، فعندما كانت تتعرض مسرحياته للرفض أو الفشل، وكان يفكر فى تطوير موهبته الأخرى فى الرسم؛ كانت زوجته تمنعه من ذلك، وتجبره على الكتابة كل يوم. وقال سيجورد، ابنه الشرعى الوحيد، فيما بعد: «إن العالم يستطيع أن يشكر أمى لأنها احتفظت بالحد الأدنى من الرسام السيئ وحصلت بدلًا منه على كاتب عظيم».

> كتب إبسن كثيرًا عن الحب وكان الحب هو الموضوع الرئيسى لشِعره حتى وإن كان ذلك بمعنًى سلبى للتعبير عن آلام العزلة

رحلة العمر: شادية بين السينما والأغنية

هانى الديب

المحرر

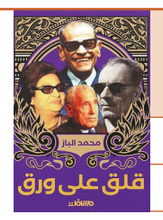

قلق على ورق

محمد الباز

مسافات

هيكل المذكرات المخفية

محمد الباز

مسافات

كأنه أنا.. حياة فوق كف الله

محمد الباز

مسافات

مازلت أنا

أمل حجازى

الهالة

محاكمة جو بايدن

مسرحية وثائقية عن حرب غزة 2023

تأليف:
محمد السيد عيد

يبدأ العرض بمانشيتات تتوالى على شاشة:
جو بايدن فى النزع الأخير
الرئيس الأمريكى السابق يحتضر
بايدن فى غيبوبة
الولايات المتحدة تجهز إجراءات الجنازة
خوف من أعمال إرهابية أثناء الجنازة
ثم تنفرج الستارة ليبدأ العرض

الزمان: اللحظة الأخيرة فى حياة بايدن.
المكان: حجرة نومه الخاصة.
المنظر: بايدن ممدد على سريره فى غيبوبة، الأجهزة الطبية حوله، تقف زوجته «جيل» تتحدث مع الطبيب المعالج.

المشهد الأول

جيل «باكية»: ما يحدث هذا كثير، إن له أيامًا، لا هو حى ولا هو ميت، لا يفيق إلا ليدخل فى غيبوبة من جديد.

الطبيب: مدام بايدن، فعلنا كل ما بوسعنا، ليس أمامنا إلا انتظار رحمة الله.

جيل: هل يشعر بما هو فيه؟

الطبيب: لا أظن، إنه فى ملكوت آخر.

جيل: يا إلهي، رحمتك

«يفيق بايدن»

بايدن: لم تقفون هكذا؟ لم البكاء حبيبتى جيل؟ أنا بخير.

جيل: نعم حبيبى، أنت بخير.

بايدن: هل جاء الكاتب الذى يكتب لى مذكراتى؟

جيل: نعم جاء. قلت له إنك متعب، لكنه يصر على الدخول، يقول إنه يريد أن يستكمل معك الجزء الأخير من المذكرات.

جو: دعيه يدخل، التاريخ يجب أن يسجل يا جيل، نحن نكتب التاريخ لأبنائنا؛ ليعرفوا تاريخ بلدهم العظيم.

جيل: حاضر، المهم ألا ترهق نفسك.

(تناديه)

جيل: تفضل يا حضرة الكاتب.

(يدخل)

الكاتب: صباح الخير سيادة الرئيس.

جو: «يضحك» الرئيس السابق. قلت لك ألف مرة دع هذه الألقاب ونادنى جو، جو فقط.

الكاتب: أمرك سيادة الرئيس «يتدارك» أمرك جو.

جو: تفضل بالحديث، أنا أسمعك.

الكاتب: لقد اقتربنا من نهاية المذكرات، والآن أريد أن تحدثنى عن آخر حدث مهم حدث فى ولايتك، موضوع غزو إسرائيل غزة عام ٢٠٢٣.

جو: مرة أخرى إسرائيل؟ ألن ننتهى من هذا الموضوع أبدًا؟ لقد أعلنت ألف مرة أننى مع حل الدولتين.

الكاتب: لكنك كنت تعلم أن نتنياهو ضد حل الدولتين، كان يريد دولة يهودية فقط، وقد سعى بقوة لطرد الفلسطينيين، وإيجاد موطن آخر لهم فى سيناء، ورغم ذلك دعمته، وكنت تضغط على مصر لتقبل تهجير الفلسطينيين لسيناء.

جو: هل جئت للتحقيق معى أم لتكتب مذكراتى؟ هل أنت من خصومى الجمهوريين؟

الكاتب: عفوًا سيادة الرئيس، سيادتك عصبى جدًا اليوم، أنا أقدر حالتك، لكن المفروض أن أفهم ما فى رأسك حتى أعبر عنه. المفروض أنى سأتكلم باسمك.

جو: لن أتكلم معك. سأطلب كاتبًا غيرك، تفضل بالانصراف، تفضل.

«يعود للغيبوبة/ إظلام»

المشهد الثانى

المنظر نفسه، بايدن يفيق، تدخل جيل.

جيل: كيف حالك الآن حبيبى؟

جو: أحسن، الحمد لله.

جيل: القسيس وصل منذ قليل، يريد أن يصلى معك.

جو: أرجوك، أطلبى منه أن ينتظر قليلًا، أنا فى شدة التعب.

جيل: أمرك حبيبى.

جو «لنفسه»: شكرًا للرب، كنت أود فعلًا أن أصلى مع القسيس، ربما كانت هذه صلاتى الأخيرة. لكنى متعب. متعب جدًا، لقد ضايقنى هذا الكاتب، وأنا أيضًا صرت عصبيًا، لم أعد أحتمل الكلام عن موضوع إسرائيل، هل.. هل معنى هذا أنى أشعر بتأنيب الضمير؟ أعترف أن منظر الأطفال الذين قتلهم الإسرائيليون كان بشعًا، وأن عدد الضحايا من النساء كان يفوق الخيال، وأن كلمة الإبادة الجماعية التى كان نتنياهو مصرًا عليها كانت تصدمنى، لكن هذه هى الحرب، نحن فى أمريكا أيضًا أبدنا الهنود الحمر، الإسرائيليون لم يفعلوا أكثر مما فعلناه نحن- الأمريكيين- مع السكان الأصليين لهذه البلاد.

«يبدو متعبًا»

آاااه.. فلأغمض عينى ولأسترح قليلًا، ياااااااه.. كم أود لو أنعم بالراحة.

«يدخل رجل وسيم بملابس عصرية»

الوسيم «ينحنى»: تحياتى مستر بايدن.

جو «منزعجًا»: من أنت؟ هل أنت القسيس؟

الوسيم: لا

جو: من أنت إذن؟

الوسيم: ألا تعرفنى؟

جو: لا أظن أننا التقينا من قبل.

الوسيم: بل التقينا كثيرًا، كثيرًا جدًا.

جو: من أنت؟

الوسيم: أنا الشيطان الأكبر، رئيس الشياطين فى هذه الدنيا.

جو: نعم؟!!

الوسيم: لم تستغرب؟

جو: هل تمزح؟ هل هذه هيئة شيطان؟

الوسيم «يضحك»: هل تتصور أن الشيطان لا بد أن يكون له ذيل، ويبرز من رأسه قرنان؟ هذه صورة تقليدية بائسة. الشيطان يمكنه أن يظهر فى أى صورة يريدها.

جو: من فضلك، لا داعى للهزار، أنا متعب ولا أريد...

الوسيم: عفوًا مستر بريزدنت، لم آتِ للهزار، لقد جئت فى أمر جاد جدًا.

جو: أتصر على الهزار؟

الوسيم: لا.

جو: ماذا تريد إذن؟

الوسيم: أريد محاكمتك.

جو: نعم؟!!!

الوسيم: ألم تسمع؟ أريد محاكمتك.

جو: رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يحاكم؟ إن محكمة العدل الدولية نفسها لا يمكنها أن تحاكمنى، فهل تريد أنت أن تحاكمنى؟

الوسيم: نعم، أريد أن أحاكمك وسأحاكمك فعلًا، الآن، فورًا.

جو: بأى تهمة؟

الوسيم: تهمة القيام بدور الشيطان الأكبر، لقد سلبتنى وظيفتى، صحيح إن هناك من يسمون شياطين الإنس، لكن لم يحدث قبلك أن شيطانًا من شياطين الإنس تفوق على شياطين الجن، خصوصًا الشيطان الأكبر، لذلك لا بد من محاكمتك. والتهمة واضحة: القيام بدور الشيطان الأكبر.

جو «يضحك»: هههههه هل توجد تهمة بهذا الوصف؟ من فضلك، لا وقت لدى للهزل.

الوسيم «بتجهم»: قلت لك أنا لا أهزل، هل تنكر أنك قمت بدور الشيطان الأكبر خلال مدة حكمك فى قضايا كثيرة؟ هل تنكر أنك تسببت فى إزهاق أرواح عشرات الآلاف من البشر؟ أنك لم تقم بدور الشيطان فقط، بل تفوقت على الشياطين جميعًا، لذا قررنا نحن- الشياطين- أن نحاكمك.

جو: قتل عشرات الآلاف؟ أهذه تهمة؟ أنا رئيس أكبر دولة فى العالم، ولا بد أن أقوم بدور شرطى العالم، لا بد أن أفعل أى شىء يضمن سيطرة بلادى على العالم، لا بد أن أخيف كل الدول التى لا تدخل معى فى تحالفات تخدم مصالحى.

الوسيم: حتى لو كانت مصالحك غير مشروعة؟

جو: كل شىء يحقق مصالح الولايات المتحدة فهو مشروع.

الوسيم: لن أدخل معك فى نقاش، قل كل ما لديك أمام المحكمة التى ستنعقد حالًا.

جو: ومن الذى سيحاكمنى؟

الوسيم: سأتولى أنا بوصفى الشيطان الأكبر رئاسة المحكمة، وسيكون الشيطان الأحمر هو عضو اليمين.

جو: الشيطان الأحمر؟ نهار أسود.

«يدخل الشيطان الأحمر يرتدى بدلة أنيقة وكرافتة حمراء ومنديلًا أحمر»

الأحمر «ينحنى انحناءة خفيفة»: أنا جاهز سيدى الرئيس.

الوسيم: أهلًا بك، «لبايدن» وسيكون الجن الأزرق هو عضو اليسار.

جو: كملت.. «يلطم خديه» محكمة كاملة من الشياطين؟ لماذا؟ هل انتقلت إلى الآخرة دون أن أعرف؟

الوسيم: لا، محكمة الآخرة أقسى ألف مرة مع أمثالك من شياطين الإنس، «يصفق» السيد الجن الأزرق.

«يدخل الجن الأزرق. يرتدى بدلة زرقاء وكرافتة زرقاء، ويضع منديلًا أزرق بلون الكرافتة»

الجن: الجن الأزرق طوع أمر المحكمة الموقرة

الوسيم: أهلًا بك، تفضل.

«يسير الشيطان الأحمر والجن الأزرق نحو مكتب كبير فى الحجرة ويجعلانه منصة للمحاكمة ويتركان مكانًا فى الوسط لرئيس المحكمة»

جو: أنا أعترض، لن أحاكم أمام محكمة كاملة من الجن والشياطين.

الوسيم: الاعتراض مرفوض، كيف تعترض على أن تحاكمك الشياطين، وأنت قمت بدور الشيطان الأكبر، هذه محاكمة داخلية بيننا معاشر الشياطين، سنحاكمك بوصفك واحدًا منا.

جو: أنا برىء، لم أفعل شيئًا، لا بد أن يكون فى المحكمة بشر مثلى.

الوسيم: سيكون معنا فى المحكمة عضو واحد من البشر وليس من الشياطين.

جو: ومن يكون هذا الإنسان الوحيد الذى اخترتموه؟

«يدخل جوتيريش، أمين عام الأمم المتحدة خلال حرب غزة»

جوتيريش: أرجو أن أكون أنا هذا البشرى الواحد.

الوسيم: مستر جوتيريش أمين عام الأمم المتحدة؟

جوتيريش: نعم، وأرجو أن تسمح لى بالاشتراك فى المحاكمة؛ لأنى أرفض تمامًا موقف جميع الأطراف التى أيدت إسرائيل، وشاركت بالدعم المعنوى والمادى فى مذبحة غزة ٢٠٢٣.

جو: أنطونيو جوتيريش؟ ألا تخش أن تدبر الولايات المتحدة خلعك من منصب الأمين العام، كما خلعنا بطرس غالى من قبل؟

جوتيريش: أنا أعلم أنى مخلوع مخلوع، لأن معظم الدول الكبرى التى تدير العالم، بكل أسف، لا تعرف الحق. وليس لدى حكامها ضمير. وأنا لا يشرفنى أن أعمل مع هؤلاء، أنا رجل عندى ضمير حى لا يحتمل الفظائع التى ارتكبتموها فى غزة.

جو: أنا أرفض هذه المحاكمة، من الذى يمثلنى فيها؟ من الذى سيدافع عنى؟ كل متهم لا بد أن يكون له محام، وكما أرى فأنتم كلكم ضدى.

الوسيم: سنعطيك حق اختيار المحامى، من تريد؟

جو: أريد.. أريد.. أريد هارى ترومان، رئيس الولايات المتحدة الأسبق.

الوسيم: لحظة واحدة حتى يأتى الحاجب، ادخل يا حاجب.

«يدخل الحاجب وهو مهرج يرتدى ثياب المهرجين»

الحاجب: دخلت، أحلى سلام على هيئة المحكمة الموقرة.

جو: من هذا؟ مهرج؟!!

الوسيم: لم أجد من يقوم بدور الحاجب أفضل من مهرج فى السيرك، لأنكم جعلتم الدنيا سيركًا كبيرًا بأفعالكم.

جو: لا لا لا. هذا كثير.

الوسيم: لو سمحت، احترم هيئة المحكمة وإلا اضطررت لتوقيع العقوبة عليك، والآن دعنا نحقق لك طلبك، حتى لا تقول إننا حرمناك من حقوقك القانونية، يا حاجب.

الحاجب: سيدى

الوسيم: نادِ السيد هارى ترومان، رئيس الولايات المتحدة الأسبَق.

الحاجب: السيد هارى ترومان، أكبر جزار فى القرن العشرين.

«يدخل هارى ترومان»

ترومان: أنا موجود، «يلتفت للحاجب» ما هذا يا رجل؟ ألا تخجل؟ أنا تنادينى بلقب أكبر جزار فى القرن العشرين؟ أنا رئيس سابق لأكبر دولة فى العالم، لا بد من مراعاة الأصول وقواعد اللياقة.

الحاجب: يا عم، قل يا باسط. لقد انتهى كل هذا الكلام، أنت الآن رجل ميت يعذب على ما فعله أثناء فترة حكمه السوداء، احمد ربنا أننا استدعيناك، لقد رحمناك من نار جهنم بعض الوقت.

جو: جهنم؟ ترومان العظيم فى جهنم؟

ترومان: «باكيًا» للأسف يا أخى بايدن، هذا صحيح، وأنا أشكركم لأنكم رحمتمونى من نار جهنم بعض الوقت.

جو: جهنم؟!!

ترومان: «يبكى» لعنة الله على الرئاسة والسنين السوداء التى توليتها فيها، ليتنى ما توليتها أبدًا.

جو: إلى هذا الحد أنت نادم؟

ترومان: وأى ندم؟ أنت لا تعرف ما أعانيه من العذاب فى جهنم.

جو: عذاب؟ رئاسة الولايات المتحدة آخرها جهنم والعذاب؟ اللهم رحمتك.

ترومان: بالمناسبة، تركتهم فى جهنم يجهزون لك المكان الذى يليق بك، ويعدون أصناف العذاب التى تناسبك، يقولون إنك ساندت إسرائيل لارتكاب أكبر مذبحة فى القرن الحادى والعشرين فى غزة. وسمعتهم يتهامسون فيما بينهم بأنها كانت إبادة جماعية، ولولا دعمك إسرائيل ما حدثت أبدًا.

جو: أنا؟ جهنم؟ «يلطم خديه» يا نهار أسود.. يا نهار أسود. أنا لا شأن لى بأى شىء، إنه نتنياهو الملعون ووزير دفاعه جالانت، اللهم اخرب بيتهما.

الوسيم: أيها السادة، لا تستبقوا الأحداث، من فضلكم، هذه المحاكمة لها قواعد، وأنا المسئول عن إدارتها، «يوجه كلامه لبايدن» لقد حققنا لك ما تريد يا سيد بايدن، هل لك طلبات أخرى؟

جو: من فضلك، أريد مناقشة السيد ترومان لحظة واحدة.

الوسيم: تفضل

جو: لم دخلت جهنم يا سيد ترومان؟

ترومان: بسبب ضرب مدينتى هيروشيما

نتنياهو ضد حل الدولتين كان يريد دولة يهودية فقط وقد سعى بقوة لطرد الفلسطينيين

نحن فى أمريكا أيضًا أبدنا الهنود الحمر الإسرائيليون لم يفعلوا أكثر مما فعلناه

وناجازاكى بالقنابل الذرية، لقد كانت الخسائر البشرية مفزعة، ضجت لها السماء نفسها، ولهذا فأنا ألاقى العذاب عن كل إنسان قتلته، أو تسببت فى إصابته.

جو: عفوًا أخى ترومان، كم قتلت فى هيروشيما؟

ترومان: القنبلة قتلت ستة وستين ألفًا، وأصابت تسعة وستين ألفًا.

جو: يا عينى، «للوسيم» ليتك ما حققت لى ما أريد؟ يستعدون لاستقبالى فى جهنم لأعذب عن كل إنسان قتلته أو تسببت فى إصابته؟ بشرك الله بالخير يا عمنا ترومان، كيف أستطيع أن أتكلم بعد هذا؟ سيد ترومان، شكرًا لك، لا أريد دفاعًا، إذا كانت البداية هى جهنم فكيف ستكون النهاية؟ «يردد» جهنم! جهنم! جاءك الموت يا سى بايدن، فماذا ستفعل؟

ترومان: معك حق تندب حظك، فى جهنم سيكون عذابك على قدر ذنوبك، خصوصًا مافعلته بأهل غزة. إن القنابل الأمريكية التى ألقيت عليها، كما سمعت من زبانية جهنم، تعادل القنابل الذرية التى ألقيت على هيروشيما عدة مرات.

جو: ربنا يطمنك، شكرًا يا سيد ترومان، ألف شكر، من فضلك عد لجهنم كما كنت، لا أريد دفاعًا. لا أريد دفاعًا.

ترومان: كما تشاء، بإذنكم يا سادة، تحياتى.

جو «يردد بهلع»: جهنم؟ يا نهار أسود؟ جهنم؟!!!

الوسيم: اجمد، لقد كنت قويًا عندما زرت إسرائيل لتدعمها بعد هجوم حماس فى السابع من أكتوبر، وكانت إرادتك من حديد حين طلبت لها الدعم من الكونجرس، وحين أقمت جسرًا جويًا لدعمها، وحين أمرت مندوب الولايات المتحدة برفض وقف إطلاق النار، فلا تضعف الآن.

جو: أنا برىء، برىء من هذا كله، إنه بلينكن الملعون، وزير خارجيتى اليهودى الصهيونى، هو الذى حرضنى على هذا كله.

الوسيم: فلنستدعيه حالًا، «للحاجب» أيها الحاجب، نادِ لنا السيد بلينكن.

الحاجب: السيد بلينكن، محراك الشر، والشيطان الأوسط فى هذا الزمان.

«يدخل بلينكن»

بلينكن: تحياتى لهيئة المحكمة الموقرة.

الأعضاء: أهلًا.

الحاجب: لا أهلًا ولا سهلًا، كيف نرحب بك، إذا كان جو بايدن يقول إنك السبب وراء كل ماجرى؟

بلينكن: وهل تصدق المحكمة كل ما يقال لها دون تحقيق أو تدقيق؟

جو: جيت يا ناصح؟ أدعو الله أن يخرب بيتك كما خربت بيتى، أرسلتنى إلى جهنم يا مفترى، جهنم. حسبى الله هو نعم الوكيل، «يلتفت إلى المحكمة» هذا الرجل لا بد أن يسبقنى إلى جهنم، لن أذهب وحدى.

الوسيم: من فضلك لا تتكلم بغير إذن، «يوجه الكلام لبلينكن» اسمك وسنك وعنوانك.

بلينكن: اسمى أنتونى بلينكن، مواليد ١٩٦٢، أسكن فى واشنطن.

الوسيم: قل والله العظيم سأقول الحق.

بلينكن: آسف، لا أستطيع القسم.

الوسيم: لم؟

بلينكن: جزء كبير من عمل وزير الخارجية هو الكلام الذى يزين الباطل ويضعه فى صورة الحق، فكيف أقسم أن أقول الحق؟ بصراحة طلبكم مستحيل.

الوسيم «يضحك»: هههههه تعجبنى صراحتك. «لعضوى المحكمة» ما رأيكم يا رفاق؟ هل تجوز المحاكمة دون قسم؟

الشيطان: هذا شغل شياطين أصلى.

الجن «لبلينكن»: يا ابن الجنية، يهرب من القسم بنعومة الثعابين.

بلينكن: هيه، لم استدعتنى المحكمة؟

الوسيم: لنحقق فى اتهام السيد بايدن لك.

بلينكن: بايدن يتهمنى أنا؟ لا يمكن.

الوسيم «لبايدن»: من فضلك كرر ما قلته يا سيد بايدن ليسمعه.

جو: قلت: أنا برىء، برىء من كل ما حدث فى غزة، إنه بلينكن وزير خارجيتى اليهودى الصهيونى، هو الذى حرضنى على كل ما حدث، وإذا كانت جهنم هى مصير المذنب فى كل ما حدث فى غزة فلتكن من نصيب بلينكن، فهو الأولى بها.

الوسيم: سمعت؟

بلينكن: سمعت.

الوسيم: ما قولك فى كلامه؟

بلينكن: هذا رجل عجوز فقد الكثير من قدراته العقلية بحكم السن، وليس من عادتى أن أرد على من هو أكبر منى، لأن احترام الكبير واجب، هكذا علمنى آبائى.

جو: نعم يا حبيبى؟ عجوز فقد قدراته العقلية؟ أنسيت أنك أعلنت انحيازك لإسرائيل منذ اللحظة الأولى؟ أنسيت ما قلته عند زيارتك لإسرائيل بعد السابع من أكتوبر؟

«تظهر على الشاشة أقوال بلينكن، التى قال فيها إنه جاء إلى إسرائيل كيهودى، وإنه لا ينسى أن زوج والدته كان أحد الناجين من الهولوكوست، وأن أحد أجداده كان من الذين لاحقتهم قوات كانت تستهدف اليهود وتقتلهم فى أوكرانيا».

جو: هيه.. هل ستستمر فى الإنكار بعد هذا الكلام الصريح الواضح؟

بلينكن: بالتأكيد. أنا غير مسئول تمامًا.

الشيطان «لزميله الجن»

ولد لعيب: الجن «مندهشا من بلينكن»

يا ابن الجنية.

الوسيم: كيف يمكنك الإنكار بعد هذا الكلام يا سيد بلينكن؟

بلينكن: لقد قلت ألف مرة إنى وزير خارجية الولايات المتحدة، وأرعى مصالحها، هل يستطيع أحد أن يقول إنى نسيت واجبى كمواطن أمريكى وانحزت لإسرائيل على حساب أمريكا؟ ما قلته فى إسرائيل يعبر عن موقف شخصى، لكن موقفى الموضوعى حددته وظيفتى باعتبارى وزيرًا للولايات المتحدة، لقد قلت ألف مرة إنى مع حق الفلسطينيين، خصوم إسرائيل، فى أن تكون لهم دولة، وأيدت حل الدولتين، هل ينكر أحد ذلك؟ أرجوكم، لا تخلطوا بين موقفى الشخصى وموقفى الموضوعى كوزير للولايات المتحدة الأمريكية.

الجن: يا ابن الجنية!

جو: بلينكن.. بطل خبث، أنت تفعل ما يفعله كل الساسة الأمريكان. تقول الشىء وتفعل عكسه، لقد كنا نقول معًا نفس الكلام، لكننا كنا ندعم إسرائيل بكل قوة، وكان هذا يتم بتحريض منك، أنت لم تنس أنك يهودى أبدًا. كنت ترى أن إسرائيل يجب أن تنتصر على الفلسطينيين، وكنت تسميهم إرهابيين، بدلًا من أن تسميهم مقاومة.

بلينكن: بل أنت الذى كنت منحازًا لإسرائيل قبل أن تعرفنى أصلًا، أتنكر أنك قلت: لو لم تكن إسرائيل موجودة لاخترعناها؟

«ينزل على الشاشة كلمة بايدن وهو يقول لو لم تكن إسرائيل موجودة لاخترعناها»

بلينكن: أتنكر أنك قلت إنك صهيونى رغم أنك لست يهوديًا؟

«نرى فيديو لكلام بايدن»

بلينكن: وأخيرًا يا سيادة الرئيس، أنت كنت رئيس أكبر بلد فى العالم، لا يصح أن تقول إن شخصًا آخر، أيًا كان، أثر عليك، وإنك غير مسئول عن أفعالك، أنت لست قاصرًا، أرجوك، من أجل تاريخك وتاريخ الولايات المتحدة اسحب هذا الكلام.

جو: لن أسحبه، الحكاية فيها جهنم يا حبيبى، يا روحى ما بعدك روح، أنا برىء، إذا كان هناك من سيدخل جهنم، فليكن أنت.

بلينكن: سيدى الرئيس، لا أنا ولا أنت، نحن لم نفعل شيئًا نستحق عليه دخول جهنم.

الوسيم: بل ستدخلان جهنم صحبة، أنت وهو، أنت بتهمة التحريض، وهو بتهمة اتخاذ القرار، الذى أدى للقتل والإصابات وكل ما حدث من خراب فى غزة وغيرها.

جو: الرحمة، أنا برىء، لا داعى لجهنم.

بلينكن: حضرة الشيطان الأعظم، لا أنا ولا سيادة الرئيس فعلنا ما نعاقب عليه، الذى قتل وجرح وتعنت وتشدد هو رئيس وزراء إسرائيل، بنيامين نتنياهو، إنه هو المسئول، اسألوه، نحن أبرياء.

الوسيم: نسأله، لم لا؟ «للحاجب» ناد السيد بنيامين نتنياهو.

الحاجب «ينادى»: السيد بنيامين نتنياهو، نائب عزرائيل فى فلسطين المحتلة، وسفاح القرن الواحد والعشرين، مطلوب حضورك حالًا وفورًا ودون تأخير

«يدخل نتنياهو وديعًا هادئًا»

نتنياهو: شالوم عليكم جميعًا سادتى الأفاضل.

الشيطان «للجن الأزرق»: أترى وداعته وأدبه؟

الجن: ملاك يمشى على الأرض يا ناس!!

الشيطان: يا ابن الجنية!

نتنياهو: عفوًا يا سادة، من الذى كان ينادينى بهذه الألقاب السخيفة عند دخولى؟ أنا يقال عنى نائب عزرائيل وسفاح القرن الواحد والعشرين؟

الحاجب: أنا يا حبيبى، عندك مانع؟ وبالمناسبة، عندى سيديهات جاهزة بجرايمك، تحب أن أعرضها على المحكمة الموقرة؟

الوسيم «بحزم»: كفى، المحكمة لها احترامها، لا نريد سجالًا بين الحاجب والمتهم، «يلتفت لنتنياهو» يا سيد نتنياهو، هل سمعت اتهام السيد بلينكن لك؟

نتنياهو: لا.

الوسيم: قل له اتهامك يا سيد بلينكن.

بلينكن: ليس اتهامًا، أنا أقول ما حدث، أقول الحقيقة.

الوسيم: قل له الحقيقة التى ذكرتها لنا إذن.

بلينكن: قلت: لا أنا ولا سيادة الرئيس فعلنا ما نعاقب عليه، الذى قتل وجرح وتعنت وتشدد هو رئيس وزراء إسرائيل، بنيامين نتنياهو، إنه هو المسئول، اسألوه.

الوسيم: ما رأيك يا سيد نتن؟

نتنياهو: ماذا؟

الوسيم: هل لديك مانع من اختصار اسمك؟

نتنياهو: أتريد أن تفعل مثلما يفعل أعدائى من العرب حين يسخرون منى؟

الوسيم: عفوًا، ماذا يفعلون؟

نتنياهو: يقولون عنى: النتن، وهو لفظ عربى قبيح، يعنى غير النظيف، وذا الرائحة الكريهة، بينما معنى الكلمة فى العبرية «عطية» ناتان أى عطية، وياهو أى الله، وهكذا يكون اسمى عطية الله.

الحاجب: ليته ما أعطى؟

نتنياهو: أتقول شيئًا؟

الحاجب: لا أقول ولا أعيد. القول ضايع.

جو: أنا أقول ليته ما أعطى، ليته أخذك قبل أن تورطنى، وترسلنى إلى جهنم بسبب ما فعلته فى أهل غزة.

نتنياهو: أنا لم أفعل شيئًا لأهل غزة، أنا برىء من دمائهم، ويداى نظيفتان.

الشيطان: يا ابن الشياطين!!

الجن: اسمه ابن الجنية.

الوسيم: من الذى قتل وجرح وجوع أهل غزة، من الذى منع عنهم المياه والوقود؟ من الذى أمر بقصف المستشفيات والمساجد والكنائس؟ من الذى قتل الإعلاميين حتى يمنع نقل ما يحدث فى غزة للناس؟

نتنياهو: لست أنا، إنه جالانت، وزير الدفاع. لكن قبل كل شىء، لماذا تصدق هذين الرجلين؟

«يشير لبايدن وبلينكن»

الوسيم: أنا حتى الآن لم أصدق ولم أكذب أحدًا، أنا أسمع فقط.

نتنياهو: سأحكى لك، بعد أن هاجمتنا حماس وغيرها من الجماعات فى اليوم السابع من أكتوبر، جاءنى السيد بايدن نفسه. قدم لى دعمًا معنويًا بلا حدود، قال لى أنا معك، إمكانات أمريكا كلها معك حتى تقضى على حماس وغيرها من الجماعات التى تهدد إسرائيل، وأرسل لى مساعدات لا نهاية لها، أسلحة وذخائر وخبراء وقوات، بل أرسل لى أكبر حاملة طائرات فى العالم لترسو فى المتوسط وتمنع تدخل حزب الله أو غيره من الاعتداء علينا، وأيدنا فى مجلس الأمن؛ كى لا نوقف إطلاق النار، بعد كل هذا هل يمكن أن يكون بريئًا؟ إنه شريك أصيل، ثم نأتى للسيد بلينكن...

بلينكن: أنا لا شأن لى، أنا مجرد منفذ للسياسة الأمريكية، يقول لى سيدى بايدن افعل كذا فأفعل، ويقول لى لا تفعل كذا فلا أفعل.

بايدن: يا ابن الجنية

نتنياهو: إننى برىء براءة الذئب من دم ابن يعقوب، والله على ما أقول شهيد.

الجن «يسير إلى نتنياهو»: سيد نتنياهو، اسمح لى أن أقبل يدك، وأرجو أن تقبلنى تلميذًا فى مدرستك.

نتنياهو: آسف، ليس لدى أماكن خالية.

جو: وهل أنا الذى قلت لك هجّر أهل غزة قسريًا؟ أظن أن هذه الفكرة فكرتك ولا يمكن أن تنكر.

نتنياهو: طبعًا فكرتى، لكنك كنت تساعدنى أنت والسيد بلينكن طوال الوقت، ألم تقوما بالضغط على مصر لتقبل الغزاويين على أرضها؟

بلينكن: أنا حين ضغطت كنت أنفذ التعليمات.

نتنياهو: فى كل الأحوال أنت وسيادة الرئيس كنتما شريكين صادقين.

جو: الله يخرب بيوتكم، سأذهب إلى جهنم بهذا الكلام، ارحمونى، الحكاية ليست لعبة، ومن الذى هدم غزة فوق رءوس أهلها؟ من الذى حولها لكوم تراب؟

نتنياهو: بل قل: من الذى أرسل لإسرائيل الأسلحة والذخائر لتهدم غزة وتجعلها كوم تراب؟ أتعرف من؟

جو: يا ناس، إنها جهنم وليست لعبة.

نتنياهو: جهنم أو سقر لا شأن لى.

بلينكن: هل معنى كلامك أنك تبرئ نفسك من مذابح غزة يا سيد نتنياهو؟

نتنياهو: بكل تأكيد، ما حدث فى غزة من مذابح مسئوليتكم من ناحية، ومسئولية وزير الدفاع جالانت من ناحية أخرى، أنا لا شأن لى.

الجن: يا ابن الجنية!

الوسيم «للمنادى»: نادِ على السيد جالانت.

الحاجب: عم السفاحين وأستاذ المهلكين السيد جالانت وزير الهباب، أعنى وزير الدفاع، مطلوب حضورك فورًا، فورًا، فورًا، على وجه السرعة.

«يدخل جالانت»

الوسيم: قدم نفسك

جالانت: قبل أى شىء أريد أن أعرف: من هو الوقح الذى سمانى عم السفاحين وأستاذ المهلكين؟

الحاجب: أنا

«يسير جالانت نحوه ليضربه، يمسك به من ياقته، يرفع يده ليصفعه، الوسيم يمسك يده»

الوسيم: عندك، هذه محكمة، ولها قواعدها، إلزم حدك.

جالانت: هل تسمح المحكمة بإهانة الشهود؟

الوسيم: من قال إنك شاهد؟ أنت متهم.

جالانت: من يجرؤ على اتهامى؟

الوسيم: السيد نتنياهو.

جالانت: سأرى ما حكايته لكن بعد حسم الأمر مع هذا التافه «يشير للحاجب» أمامك أحد أمرين يا سيدى رئيس المحكمة، إما أن تعاقبه أنت أو أعاقبه أنا.

الوسيم: إنه رجل مهرج لا تؤاخذه.

جالانت: لا، بل سأعاقبه بنفسى بمجرد أن يخرج من المحكمة، وحياة أمى سأنتظرك بره، صبرك على. أنا لا أترك ثأرى «يسير نحوه» سيتم حبسك، دون أكل، أو شرب، أو كهرباء، أو..

الحاجب: طز فيك. أنا رجل مهرج، سأضحك الدنيا عليك طوال عمرى ولن تستطيع أن تفعل معى شيئًا. أتظن أنى من أهل غزة؟ اصح. «يلتفت للوسيم» سيدى رئيس المحكمة، إنه يهددنى.

الوسيم «بحزم»: من فضلكم، كفوا عن المهاترات الجانبية، قدم نفسك يا سيد جالانت، الاسم؟

جالانت: يو آف جالانت.

الوسيم: السن؟

جالانت: مواليد ١٩٥٨

الوسيم: العمل؟

جالانت: وزير دفاع إسرائيل.

الوسيم: لن أطلب منك أن تقسم بأن تقول الحق، أنا أعرف أنك ستكذب، هل سمعت اتهام السيد نتنياهو لك؟

جالانت: لا

الوسيم: كرر أمامه اتهامك له يا سيد نتنياهو.

نتنياهو: قلت: ما حدث فى غزة من مذابح مسئولية السيد بايدن رئيس الولايات المتحدة السابق، ووزيره السيد بلينكن، من ناحية، ومسئولية وزير الدفاع جالانت من ناحية أخرى، أنا لا شأن لى.

جالانت: هذا رجل تافه، لا تسمعوا له.

نتنياهو: تافه؟ اسحبها من فضلك، اسحبها.

جالانت: لن أسحبها، ومصر عليها، كان هذا رأيى فيك أثناء الحرب، وما زلت متمسكًا بأنك تافه.

نتنياهو: سأتغاضى عن قلة أدبك، أنا أعرف أن طبعك العنف، وأنك عدوانى طوال الوقت، لكن هل تنكر مسئوليتك عن مذابح غزة وتجويع الناس ومنع الماء والوقود عنهم، وهدم آلاف المنازل والمدارس والمساجد والكنائس، والمستشفيات؟ هل تنكر مسئوليتك عن قتل أكثر من عشرين ألف فلسطينى، وجرح أكثر من خمسين ألفًا، غير الذين فقدوا بالآلاف؟

«نرى على الشاشة تسجيلًا لجالانت وهو يقول إنه سيفرض الحصار على غزة»

جالانت: ألم تكن أنت رئيس الوزراء؟ ألم توافق على كل هذا؟ أنا كنت أنفذ تعليماتك، وتذكر جيدًا.. أنت كنت تخشى التوقف عن الحرب حتى لا تحاكم بتهمة التقصير مرة، وتحاكم بتهمة الفساد مرات، لهذا كنت تطلب استمرار الحرب، ووضعت هدفًا لا يمكن تحقيقه، وهو القضاء على حماس، والجميع قالوا لك إن المقاومة فكرة، والأفكار لا تموت، لكنك كنت تصر على فكرتك.

«للجميع» أنا يا حضرات كنت أنفذ قرارات نتنياهو هو ومجلس الحرب الذى شكله، أنا مجرد أداة، لكن القرار كان لهم.

الجن: يا ابن الجنية! «للشيطان الأحمر» من أين يجيئون بهؤلاء الرجال؟ واضح أن البشر تقدموا عنا فى المكر والشر إلى حد بعيد.

الشيطان: بعد هذه الجلسة قد أعتزل، وأتوب إلى الله، لقد اكتشفت أنى صغيررررررر.

الوسيم: صمتًا يا سادة. ممنوع الكلام فى المحكمة، أكمل يا سيد جالانت.

جالانت: انتهى كلامى.

نتنياهو: لا يا حبيبى، لم ينتهِ، أنت تكره الفلسطينيين منذ البداية، أنسيت ما قلته عنهم؟ ألم تقل إنهم حيوانات بشرية وتؤلب علينا الدنيا؟

«نرى فيديو يقول فيه جالانت عن الفلسطينيين إنهم حيوانات بشرية»

جالانت: هم فعلًا حيوانات بشرية.

جو: الرحمة، كل هذا العك الذى أسمعه منكم وتريدون أن أتحمل نتائجه وحدى؟ تريدون أن أتحمل ذنبه وأدخل جهنم بسببه وحدى؟ حرام والله، حرام، يا حضرة الشيطان الأعظم، أنا كما ترى مجرد رجل عجوز ضحك عليه وزير خارجيته، واستغل نتنياهو ووزير دفاعه الفرصة لكى يدبروا المجازر للفلسطينيين باسمه، إن ذنبى لا يذكر بجانب ذنب هؤلاء القتلة.

جالانت: هل كان يمكن أن نقتل دون الأسلحة الأمريكية؟ هل كان يمكن أن نقتل دون الذخائر الأمريكية؟ هل كان يمكن أن نقتل دون الدعم السياسى الأمريكى؟ الكل يعرف أن أمريكا هى الطرف الحقيقى للقتال وليست إسرائيل، إسرائيل مجرد دمية، أما أمريكا فهى اليد التى تحرك الدمية. أمريكا هى الفاعل الأصلى.

الوسيم: ما رأيك يا سيد بايدن فى هذا الكلام؟

جو «يبكى»: كان يوم أسود يوم وافقت أن أترشح لمنصب رئيس الولايات المتحدة، ويوم أن أيدت إسرائيل على حساب الفلسطينيين، إنها جهنم وبئس القرار، الناس فى جهنم يخلدون، هل كتب على أن أعذب فى حياتى الآخرة بسبب قراراتى التى اتخذتها كرئيس للولايات المتحدة؟

الوسيم: امنحونا لحظات للمداولة.

«يتهامس مع الشيطان والجن الأزرق، ثم يعلن»

الوسيم: إليكم قرار المحكمة، إن الجن والشياطين يرون أن ما فعلته أمريكا وإسرائيل فى غزة يفوق كل ما يمكن أن يفعلوه، وأنكم ما كان يمكن أن تفعلوا هذا كله لو كانت لديكم ذرة من ضمير، لهذا فإننا نحكم عليكم بأن يستيقظ ضميركم، وأن تعيشوا بقية حياتكم تعانون من عذاب الضمير، وهو أقسى عقاب يعيشه الإنسان فى الحياة الدنيا، أما فى الآخرة فإن الله سوف يتولى أمركم، وأنا أعلن منذ الآن، أن شياطين الجن أبرياء مما فعلتموه، وقد قرروا أن يعتزلوا بعد معرفة ما قمتم به من شرور تفوق تصورهم، وأنهم سيعتزلون منذ هذه اللحظة، معترفين بأنكم سادة الشر فى العالم.

«يرفع يديه للسماء» اللهم إنا نعترف بعجزنا فخذهم أنت بذنوبهم أخذ عزيز مقتدر.

الحاجب «للجمهور»: يا سادة، كنت أريد أن أضحككم، لكن ما فعله هؤلاء الجبارون قتل لدى الرغبة فى الضحك، عفوًا، أقول لكم بكل الصدق: لا تضحكوا، فكروا فى شىء واحد، فكروا كيف تمنعون هؤلاء الأشرار وأمثالهم من تكرار ما حدث، من فضلكم لا تتركوا المتربع على عرش الولايات المتحدة الأمريكية، وأعوانه فى إسرائيل، يفسدون القيم الإنسانية، ويقتلون الأبرياء، ويهدمون كل شىء، لا تتركوا المرضى النفسيين يحكمون إسرائيل ويكررون ما فعلوه فى غزة مرة ثانية، خصوصًا هذا الرجل المسمى جالانت.

جالانت: أما زلت تهاجمنى يا مهرج؟ تعال...

«يجرى نحو المهرج، المهرج يجرى وهو يصيح» النجدة، السفاح يريد أن يقتلنى.. النجدة.

«يخرج الحاجب من ناحية، ثم يدخل من ناحية أخرى وجالانت يجرى خلفه»

الوسيم: أغلقوا الستار، لا داعى للفضائح، أغلقوا الستار.

«ينزل الستار بسرعة» عذرًا يا سادة، القوة تصر على قمع كل الأصوات، يكفى هذا الليلة. ولنترك السيد بايدن يتولاه الله ويحاسبه بعدله على ما فعل.

«يخرج/ ستار/ نهاية المسرحية»

جيل بايدن

ترومان

جالانت: هل كان يمكن أن نقتل دون الأسلحة الأمريكية؟

التعبير بالصورة فى عمل الأفلام

سعيد شيمى

الهالة

لاعب الشطرنج

شتيفان تسفايج

مسافات

شغلانة مش سهلة

دينا مجاهد

الهالة

قضية عنب الثعلب

ميرنا المهدى

الكرمة

مفاهيم إشكالية فى الحب والتصوف

عبدالجواد ياسين

العين

ما بعد الأفروسنتريك

عملية سرقة «المطبخ المصرى» على الهواء مباشرة!

هل تعلم أن الفطير المشلتت والملوخية والبصارة والفسيخ هى أكلات مصرية قديمة عمرها آلاف السنين، حق الخبز والمخبوزات؟ هل تعلم أن كل نوع خبز فى العالم مشتق من المخبوزات المصرية القديمة بعد أن قام المصرى القديم، قبل 5800 عام، بطحن القمح والتوصل لأسرار عملية التخمير، ومن هنا أبدع فى صناعة أنواع مختلفة من الخبز يستمد العالم منها طرقه حتى الآن. باختصار، بخلاف امتلاكنا تاريخًا ثريًا وإنتاجًا هائلًا وبديعًا من الآثار والمقابر والمعابد، فنحن نتفرد بمطبخ عمره من عمر الأهرامات ومعبد الكرنك ووادى الملوك، وحق الآن تزخر موائدنا بهذه الأكلات التى ربما لا نفكر ونحن نأكلها أننا نكرر عملية «طبخ» عمرها آلاف السنين.

مها صلاح

لكن مثله مثل كل ما هو مصرى وعريق، تعرض المطبخ المصرى للسطو بشكل مبالغ فيه خلال السنوات الأخيرة على وجه التحديد، حتى إن هناك قناة أطفال عربية قدمت أكلة الكشرى المصرية على أنها أكلة تنتمى لدولة عربية «شقيقة»، ومثلها الكثير من القنوات والمواقع التى يبدو أنها تصنع تاريخًا لبلادها.. ومن غير مصر الثرية والمتنوعة تراثيًا وثقافيًا وتاريخيًا يمكن أن يجدوا فيها ضالتهم؟

وإذا أردت أن تتأكد اكتب كلمة المطبخ المصرى على محرك البحث «جوجل» وستظهر أول نتيجة لموسوعة «ويكيبيديا» التى تذكر أن المطبخ المصرى «متأثر بالمطابخ التركية والشامية ودول البحر المتوسط»!.

والمطبخ المصرى لا يقل أهمية ولا ينفصل عن الحضارة المصرية القديمة، وهناك دول مثل إيطاليا التى تخوض معارك قانونية لحماية هوية المطبخ الإيطالى، لكن حتى الآن لا تزال جهود حماية «تراث المطبخ المصرى» شعبية وهو ما يستلزم تحركًا حكوميًا لتسجيل الأكلات التراثية فى قائمة اليونسكو للتراث غير المادى، بما يضمن الحق التاريخى لمصر فى هذا الجانب المهم من التراث المصرى الفريد.

ووفقًا للباحث زين عبدالصبور، صاحب كتاب «الأطعمة والأشربة فى محافظة المنيا»، فهناك الكثير من الثوابت التى تجمع المطبخ المصرى الحديث بالمطبخ القديم الفرعونى، مثل الاعتماد على الخضروات المطبوخة، أو ما يسمى بـ«الطبيخ»، والتنوع فيما يتعلق باللحوم، والمخبوزات والحلويات.

وأضاف أن هناك أكلات مثل: الطعمية والكشرى والعدس والأسماك بأنواعها، ومن الحلويات أم على والكنافة والقطايف تعد من التراث التاريخى لمصر، وليست مجرد أكلات، وهو ما تم توثيقه فى العديد من الدراسات والأبحاث العلمية.

وأشار إلى أن هناك أكلات نتناولها حتى الآن وهى نفس الأكلات التى اعتمد عليها المصرى القديم من آلاف السنين، مثل الفسيخ والفطائر المحشية والمحشى والملوخية والبصارة، وهناك البامية الويكا والعدس والبقوليات بأنواعها، ومن أبرزها الفول المدمس والفول النابت والطيور بأنواعها، حيث تناول المصرى القديم البط والحمام والدواجن والأرانب، وهناك المخبوزات التى أبدع فيها المصرى القديم، مثل العيش الشمسى وخبز البتاو والخبز الضلى والمنطط.

وكشف عن أن طريقة التسوية نفسها متشابهة إلى حد كبير بالأفران المصنوعة من الطين فى وقتنا الحالى، باختلاف التصميم من مكان لآخر، لافتًا إلى أن هناك العديد من الدول التى نهضت بالاعتماد على تراثها الثقافى والتاريخى، ومن هنا تأتى أهمية توثيق المطبخ المصرى.

وتابع: «الفلافل والشاورما والقطايف والسمبوسة والمحشى والحلويات الشرقية أكلات مصرية صميمة، ونسبها لبلاد أخرى هى عملية سرقة متكاملة الأركان ويلزمها الدفاع تمامًا مثل محاولات سرقة وتهريب القطع الأثرية».

> الباحث زين عبدالصبور: الطعمية والكشرى وأم على والكنافة «تراث تاريخى لمصر وليست مجرد أكلات»

> صاحبة كتاب «الطبخ أصله مصرى»: هناك اعتقاد خاطئ أن مطبخنا شامى وتركى ودخل مصر مع الاحتلال

أما المهندسة سميرة عبدالقادر، صاحبة مبادرة توثيق المطبخ المصرى، فقالت إن المطبخ المصرى يتعرض لظلم شديد نتيجة الجهل بأصله، موضحة: «التراث المصرى مظلوم، ومطبخنا مش مشهور خالص عالميًا، والسبب أن كل المصريين عندهم اعتقاد خاطئ إن أكلنا كله شامى وتركى ودخل مصر مع الاحتلال، ولذلك عندهم حالة خجل وعدم ثقة فى مطبخنا، وبيخافوا يفتحوا مطاعم أو يشهروا أكلاتنا باسم مصر».

وأضافت: «حتى الصحف المصرية والقنوات بتروج للمعلومات الغلط دون أى تحقيق أو مراجعات تاريخية».

ومن هنا أطلقت «سميرة» مبادرتها لتوثيق المطبخ المصرى، وأصدرت كتابًا يحمل عنوان «الطبخ أصله مصرى»: «أنا عملت المبادرة عشان أقنع المصريين إن تراثنا عظيم، وبجيب مصادر إن مطبخنا هو أساس المطبخ الشرق أوسطى».

لكن تكشف عن صدمة تعرضت لها فى مشروعها المهم: «اتضح لى أن المشكلة مش مشكلة مصادر، لأن ناس كتير عندها خوف إننا نزعل شعوب قريبة لو دافعنا عن تراثنا».

وكشفت المهندسة سميرة عن تعرضها لهجوم كبير من جنسيات أخرى، خصوصًا على الصفحة التى دشنتها على موقع التواصل الاجتماعى «فيسبوك» باسم «توثيق المطبخ المصرى»، وقالت: «من مظاهر التهديد هجوم حاد من الجنسيات التانية على الصفحة، وتهديدات بإغلاقها، وفعلًا بيبلغوا كتير عنها، وفى مصريين بيتهموا الصفحة بإنها مأجورة لإشعال فتن».

وهى تُرجع هذه الحالة لعدم إدراك المصريين أهمية تمسكنا بتراثنا، خاصة مع وجود حركات زى الأفروسنتريك التى تشكك فى هويتنا ومصريتنا.

وقالت: «المصريين طول عمرهم مش مدركين تفوقهم الحضارى على باقى الشعوب، ومكانوش مدركين أن تراثهم محط أنظار وحسد، ولذلك مكانوش بيدونوا كل شىء يخص التراث والمطبخ والفنون، عكس باقى الشعوب اللى دونت حتى العناصر الدخيلة عليهم».

وأوضحت: «على سبيل المثال لو نظرنا لكتب الطبخ فى الشام وبغداد من ألف سنة هنلاقى فيها أكلات مصرية كثيرة لم يتم ذكرها فى الكتب المصرية، زى مثلًا المجدرة وهى عبارة عن قمح مخلوط بالعدس والبصل أو مخروطة بالعدس»، متابعة: «لو حد شاف الوصفة دى هيقول الشوام هم اللى عرفونا الكشرى لولا أننا لقينا الأكلة نفسها فى فخاريات فى المقابر الفرعونية». وشددت على ضرورة تحرك مؤسسات الدولة ذات الصلة لتوثيق هذا التراث حماية له من عمليات السطو، قائلة: «مؤسسات الدولة لازم يبقى عندها وعى بمخاطر التفريط فى التراث وترك حسن النوايا، وأتمنى وجود قوانين حازمة تعاقب أى شخص يكتب معلومات خطأ عن تاريخ مصر.. وطبعًا الأهم يكون فى تحرك لتوثيق تراثنا».

عظم جدودك

نفرتيتى.. سيدة الأرضين

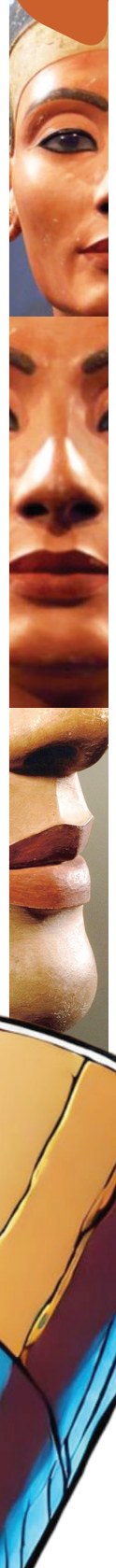

لم تحصل الملكة «نفرتيتى» على لقب «الجميلة أتت» من فراغ؛ فهى الأجمل بين الملكات المصريات على مر العصور، وفق ما صوره الفنان المصرى عندما حاول تجسيد وجهها فى تماثيله وجداريته. وفى ألمانيا، حيث يتواجد رأسها المسروق، هناك مقولة شائعة بأن أغلى ما فى برلين هو رأس نفرتيتى.

وإذا أردنا الحديث عن هذه الملكة الجميلة يجب أن نذكر الغموض الذى اكتنف كل فصول حياتها، بداية من أصولها، وأبويها اللذين اختلف المؤرخون فى تحديدهما، مرورًا بفترة حكمها وسر اختفائها المفاجئ، وانتهاء بمكان المومياء الخاصة بها، التى لم يتم العثور عليها حتى الآن.

«سيدة النعمة- عذبة الحب- عظيمة المدح- سيدة الأرضين- زوجة الملك الرئيسية- زوجة الملك العظيم- سيدة كل النساء- عشيقة مصر العليا والسفلى».. كلها ألقاب ارتبطت بالملكة التى عاشت وحكمت مصر مع زوجها الملك إخناتون- رائد الوحدانية فى مصر القديمة- فى عصر الأسرة الثامنة عشرة، وتحديدًا فى الفترة بين ١٣٥٠ حتى ١٣٣٤ق.م، أى من حوالى ٣٣٠٠ عام.

ولا تشتهر نفرتيتى بالجمال وحده، بل بالقوة والشجاعة والإخلاص بعد أن وقفت بجوار زوجها فى ثورته الدينية والاجتماعية، وحكمت مصر فى الفترة الأكثر اضطرابًا فى الأسرة الثامنة عشرة والتاريخ بشكل عام، لذا فهى من الملكات اللاتى لعبن دورًا مهمًا فى تاريخ مصر القديمة.

وقد بدأت نفرتيتى حياتها كملكة بعد أن تزوجها الملك إخناتون عقب جلوسه على العرش مباشرة، وبدأ حكمهما من طيبة كملك وملكة، وفى العام السادس للحكم انتقلا للمدينة الدينية الجديدة «أخت آتون»- تل العمارنة بالمنيا حاليًا- وأنجبت له ٦ بنات، واللواتى ظهرن على جدران مقبرة مريرع الثانى، وتظهر نفرتيتى إلى جوار إخناتون وتتبعهما بناتهما الست.

وطوال فترة زواجهما تشارك الملك والملكة فى الحكم، وهو ما أوضحته النقوش والمراسلات، فقد كانت نفرتيتى شريكة لإخناتون، ولم تكن لها مكانة خاصة فى الحكم والسياسة فحسب، بل تمتعت بمركز دينى مميز أيضًا، حتى إنه تم تقديمها كإله فى بعض المناظر بمقابر وتوابيت تل العمارنة. ويعتقد بعض المؤرخين أن نفرتيتى حكمت بعد وفاة زوجها مباشرة، فى فترة شديدة الاضطراب بعد التغيير الدينى الذى أحدثه زوجها، ودعوته للوحدانية وترك الإله «آمون»، الذى يعتبر الإله الرئيسى فى مصر القديمة، والدعوة لعبادة الإله الواحد «آتون».

وعلى الرغم من ظهور العديد من النظريات حول العثور على مومياء الملكة نفرتيتى، حيث ظن بعض العلماء أنها المومياء الموجودة فى المقبرة رقم ٦٣ بوادى الملوك، كما ظن البعض الآخر أنها المومياء الشابة فى المقبرة ٣٥، لكن بعد إجراء الدراسات والأشعات الدقيقة تم دحض هذه النظريات، وما زال البحث جاريًا عن «نفرتيتى» الملكة المصرية الأكثر غموضًا فى التاريخ.

«خوفو.. وذات العيون الذهبية» .. زاهى حواس روائيًا فى معرض الكتاب

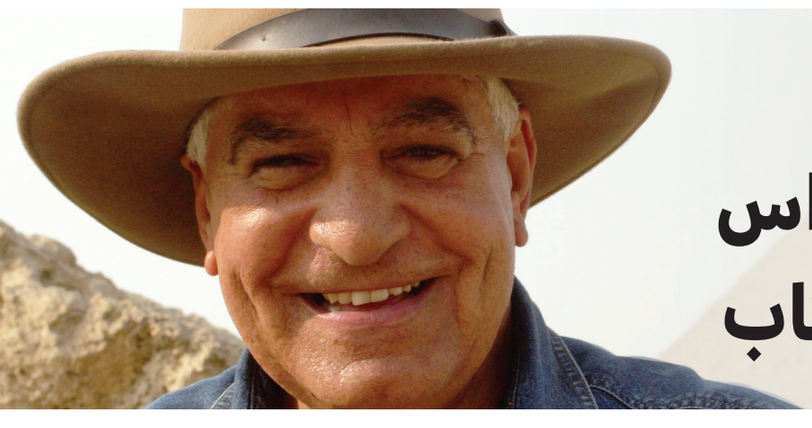

يشارك الدكتور زاهى حواس، عالم المصريات وزير الآثار السابق، فى الدورة الجديدة لمعرض القاهرة الدولى للكتاب، برواية «خوفو.. وذات العيون الذهبية»، الصادرة عن الدار المصرية اللبنانية، بمشاركة الكاتبة الفرنسية فيرونك فيرنوى، وترجمتها إلى العربية الدكتورة نادية عزمى.

وتدور الرواية فى عصر الملك خوفو، ويأخذنا «زاهى» و«فيرنوى» فى رحلة تاريخية ممتعة، نتعرف معها على الجوانب الخفية من شخصية الملك، والصراع النفسى الذى كان يدور بداخله، حيث كان يتخفى فى ملابس رجل من العامة ليتجول فى الشوارع بحرية. كما تسلط الضوء على علاقته بأبيه الملك سنفرو، وكيف نقل تعاليمه إليه، وعلى رأسها ضرورة إرساء «الماعت-العدل» فى حكمه، فضلًا عن علاقته بأمه، المرأة القوية المتسلطة.

وفى الرواية نقترب من الصراع النفسى الذى كان يدور داخل خوفو، وهو يتعرض لخيانات متعددة، أولاها من أخته التى صارت زوجته، وثانيتها من كاهن معبد «رع»، وثالثتها من إحدى المحظيات فائقات الجمال، لكنه كان حذرًا، كما يقولون «ينام مفتوح العينين، يرى الأشباح، ويسمع الهمس البعيد»، وكم كان رجلًا حنونًا رومانسيًا يُغدِقُ مشاعره بلا حساب، وهو ما يظهر فى علاقته بالفتاة الفلاحة التى ستصبح أمَّ ابنه خفرع، إلا أنه كان رجلًا قاسيًا شديد البطش، يعرف أن للخلود ثمنه، فلم يتورع عن إخراس المناوئين، حتى لو كانوا يتستَّرون خلف الآلهة.

وفى هذه الرواية سترى بصدقِ الواقع المصرى القديم فى أجمل صوره، فيه النبلاء أصحاب الدم الملكى الأزرق، وفيه العامة، فيه الأساطير، وفيه السحر، لتشكل عالمًا خاصًا من الثنائيات، الواقعية المفرطة والخيال الكبير، البطش واللين، العادى والساحر، النور والظلمات، الإنسان والآلهة، الحب والكراهية، الحنان والقسوة.

الشيخ طنطاوى يفسر القرآن بالموسيقى والعلوم الطبيعية

يعرف المهتمون بالحوار الدائر منذ سنوات حول تجديد الخطاب الدينى الشيخ طنطاوى جوهرى جيدًا، لكنها المعرفة العاقة، التى لا تزيد على ذكره فى سطور عابرة لا تمنحه حقه، ولا تنزله المنزلة الذى يستحقها، ولا تموضعه فى المكانة التى تليق به، وقد يلتسمون لأنفسهم العذر فى ذلك، لأن الاحتياج إلى التجديد يتجاوز عطاءاته العلمية والفكرية، وهى حجة بليدة، لأن ما قدمه لا يزال متجاوزًا لكثير مما نتحدث فيه بعد وفاته بما يقرب من 82 عامًا.

يمكنك أن تأخذ بنصيحق وتذهب إلى محرك البحث «جوجل»، لتجد معلومات كثيرة عن العالم الذى تمرد على مناهج الأزهر وشيوخه، فخط لنفسه خطًا منفردًا ومتفردًا، جعله يشعر فى لحظة ما أنه يستحق جائزة نوبل فى السلام، وبالفعل يتقدم لينالها، لكن أحدًا لم يلتفت إليه، ربما لأنه لم يسلك الطريق الصحيح للحصول على الجائزة العالمية.

لن تغنيك كل محركات البحث عما ستجده هنا بينى وبينك، وهو حديث سيكون فيه الشيخ طنطاوى جوهرى طرفًا ثالثًا، نتحدث معه أنا وأنت، نزيل عن حياته بعض ما لحق بها من اتهامات وتقولات وربما اتهامات أيضًا، ونحاول الوصول به إلى شاطئنا الحائر، فما أكثر احتياجنا الآن لمن صارعوا الأفكار على طريقته، فقد كان ثائرًا من طراز رفيع، وترديدنا الفكرى الآن يحتاج بالفعل إلى ثوار.

1 هل أتاكم حديث الشيخ طنطاوى جوهرى؟

ما رأيكم أن ندخل البيوت من أبوابها؟

نحن الآن أمام الشيخ طنطاوى جوهرى الذى ولد فى عام ١٨٧٠ فى قرية «كفر عوض الله حجازى» بمحافظة الشرقية، هناك من يشير إلى أنه ولد فى قرية «الغار»، وهى قرية قريبة من «كفر عوض الله حجازى»، إلا أن قرية «الغار» كانت موطن تعليمه الأول، حيث حفظ القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة فى كُتاب «الغار»، وتعلم إلى جوار ذلك مبادئ الزراعة وأخلاقياتها من والده الذى كان يساعده فى عمله.

لا يعرف أحد الظروف التى انتقل فيها طنطاوى جوهرى إلى القاهرة، وإن كان المنطق يقودنا إلى أنه بعد أن أتم حفظ القرآن وهبه والده إلى التعليم الأزهرى.

درس طنطاوى فى الأزهر إلا أنه لم يركن إلى ما كان يقوم به شيوخه من حفظ المتون، والإنشغال بالشروح وشروح الشروح، واستظهار القواعد دون تبسيط، فضاقت روحه بما وجد نفسه مرغمًا عليه، فقرر أن يعود إلى القرية التى كانت تمنحه راحة هائلة، لكن والده أقنعه أن يعود مرة أخرى للدراسة الأزهرية، فعاد إلى القاهرة وقد أخذ قرارًا بأن يلتحق بكلية دار العلوم التى كان اسمها وقتها «مدرسة دار العلوم العليا».

فى عام ١٨٩٣ تخرج طنطاوى جوهرى فى دار العلوم، ليبدأ حياته العملية بالتدريس فى المدارس الثانوية بالقاهرة، ثم انتقل منها إلى المدرسة الخديوية بدمنهور، لكنه لا يطيق الحياة فى دمنهور، فيعود مرة أخرى إلى القاهرة ليباشر عمله مدرسًا فى كلية دار العلوم.

دخل طنطاوى جوهرى دار العلوم فى العام ١٩١١، وجاء ذلك عبر صديقه أحمد باشا حشمت الذى كان وقتها وزيرًا للمعارف المعمومية.

بعد عام واحد، وفى ١٩١٢ وجد طنطاوى نفسه فى لحظة اختيار فاصلة، فقد تم ترشيحه لمنصب قضائى، وفى الوقت نفسه تم طلبه لتدريس الفلسفة الإسلامية فى الجامعة المصرية التى كانت لا تزال جامعة أهلية، ولأن شخصية المعلم كانت متمكنة من طنطاوى، فقد حسم أمره وذهب إلى الجامعة مباشرة.

فى الجامعة بدأت بشائر مشروع طنطاوى جوهرى الفكرية، ففيها ألقى مجموعة من المحاضرات على طلابه، جمعها بعد ذلك فى كتابه «أين الإنسان؟»، وهو الكتاب الذى حاول فيه معالجة بعضًا من المشاكل الفلسفية التى تعترض العقل البشرى.

فيما كتبه طنطاوى جوهرى فى كتابه تتجلى لنا حقيقته وما كان يسعى إليه.

يقول: «بينما أنا أجيل هذا السانحات فى نفسى، وأنظر فى العالم بقلبى، قلت: يا ليت شعرى لو أن امرأ ركب متن هذا الكوكب، وساح العوالم العظيمة، وباحاتها الشاسعة، وساحاتها الواسعة، فدرس نظامها وقرأ علومها، ثم رجع فروى لنا أخبار الأمم العظيمة، وشرح لنا السياسات الكبيرة، لأفاد الإنسان، وعلمه البيان».

ويستند طنطاوى جوهرى إلى ما قاله الفيلسوف الألمانى «كانت» فى كتابه «التربية» حيث ذهب إلى أن الإنسان لم يتسن له تلقى العلم إلا عن بشر مثله، ولو أنه أتيح له عالم آخر، فأتاه علمًا وأهداه فهمًا، لكان ذلك أقرب لسعادته، وادعى لراحته، وأسرع لارتقائه فى مدنيته، والمعلم إذا لم يكن أوسع دائرة، وأحد بصرًا، وأقوى بصيرة، وأرقى عقلًا، وأسمى نظرًا من التلميذ، لم يتسن انتشاله من وهدته، وإسماؤه إلى أعلى درجته.

يعود طنطاوى جوهرى إلى نفسه فيقول: «كل هذه الخواطر السانحات جالت بخاطرى، وقد أخذتنى سنة من نوم، وبينما أنا نائم إذا بشخص دخل غرفتى وهى موصدة الأبواب، مقفلة الشبابيك، محبوكة الستائر، فوكزنى برجله، وسمعت وأنا مغمض الأجفان، غائبًا عن عالم العيان، قائلًا يقول: قم أيها الإنسان، فلم أفتح عينى لمقالته، بل ظننته من أضغاث الأحلام، وخطرات المنام، فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم، فعاد الوكز، وعاودت الاستعاذة».

لا أدرى هل كان ما قاله طنطاوى جوهرى أمر واقعه حقيقة، أم كان حكاية من حكاياته التى كان يقرب بها المعانى إلى من يتحدث معهم أو يكتب لهم.

لا يهمنا فصل الخطاب فى ذلك على أية حال، يهمنى ما أكمل به حكايته، يقول: لما كانت الثالثة فتحت عينى، إذا نور مشرق فى ظلام الحجرة الحالك، فدهشت من هجمته، بل ذعرت من هيبته، وأخذتنى هذه الرعدة، لا هزة الطرب، ثم استجمعت قولى، وشددت فؤادى، وقلت: ما هذا؟ أنا فى يقظة أم فى منام، إن هذا إلا أضغاث أحلام، ثم أغمضت عينى، فإذا صوت أسمعه من ذلك النور الساطع والضوء اللامع، يقول بلسان فصيح عربى متين، لا تخف إنى صديقك، وعاشق للحكمة مثلك، اتحدت روحى وروحك، قم لأحل لك معضلات المسائل، وأضع لكم يا أهل الأرض قانونًا مسنونًا، وصراطًا مستقيمًا، ولكننى قبل ذلك أسألك: أين الإنسان؟

فتح طنطاوى جوهرى- كما يقول- عينه، فإذا شخص لم ير مثله فى هذا العالم المشاهد، كأنه شاب فى سن العشرين، لم يتبين شكله لمكان الظلام المحيط بنوره، متوسط القامة، عليه حلل مرصعة بالماس، منظومة بالذهب، محلاة بأنواع من الجواهر والأحجار الثمينة، لا يعرف لها فى الأرض نظيرًا، ولا يكاد يميزها للدهشة وظلام الليل، فأعاد السؤال مرة أخرى وقال: أين الإنسان. فرد طنطاوى: نحن بنى آدم نوع الإنسان، فقال: أو هذا منتهى ما تصل له يد استطاعتكم فى الكمال والأدب والنظام والمدينة والفضل؟ وهل تجاريبك العلمية ومباحثك العقلية أرشداك إلى أن هذا هو الكمال فى الإنسان؟

وضع طنطاوى جوهرى حيرته أمام محدثه.

سأله: خبرنى أيها السيد.. من أين أقبلت؟

فقال له: لى اسمان، الحقيقة والوجدان، وقد أقبلت من مذنب هالى، وأنا روح من الأرواح السائحة فى العالم، وإنى أحبك حبًا جما لحبك لنوع الإنسان، واهتمامك بنظامه العام، ولما اقتربت من الأرض ونظرت إليك نظر المحب المشفق، والوامق الصديق، فجئت لأسامرك الليلة، وأجاذبك أطراف الصداقة والخلة، ثم ارجع من حيث أقبلت، وقد سألتك: أين الإنسان؟ فتلكأت فى الجواب، وأوجبت بما لا يزيل اللبس، فأجب بالحقائق المعروفة لديك، واختصرا اختصارًا، وليكن قولك إيجازًا، وإذا لم تفد الحقيقة فضع بدلها مجازًا.

وضع طنطاوى جوهرى فى كتابه «أين الإنسان» بعضًا من خلاصة أفكاره، مستعينًا فيه بآراء عدد من الفلاسفة مثل الفارابى وابن طفيل وتوماس مور، ورغم أنه ليس أكثر من خواطر إنسانية، إلا أن هناك من يصنفه على أنه رواية فلسفية.

> الشيخ طنطاوى جوهرى درس فى الأزهر إلا أنه لم يركن إلى ما كان يقوم به شيوخه من حفظ المتون، والانشغال بالشروح

حرف الجواهرى

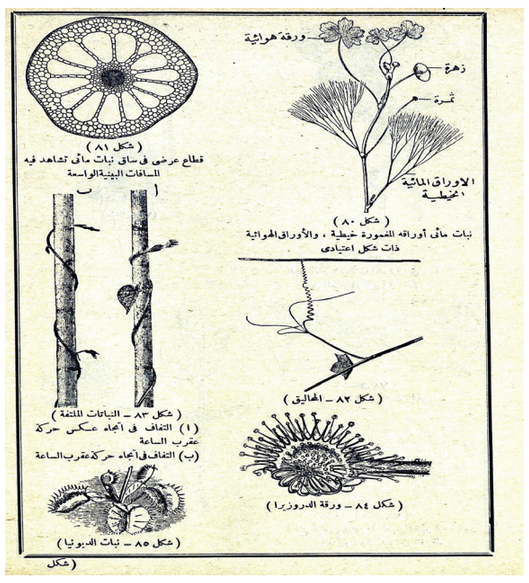

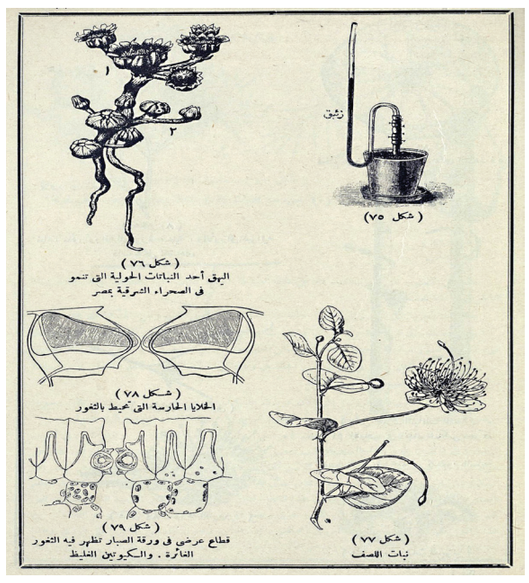

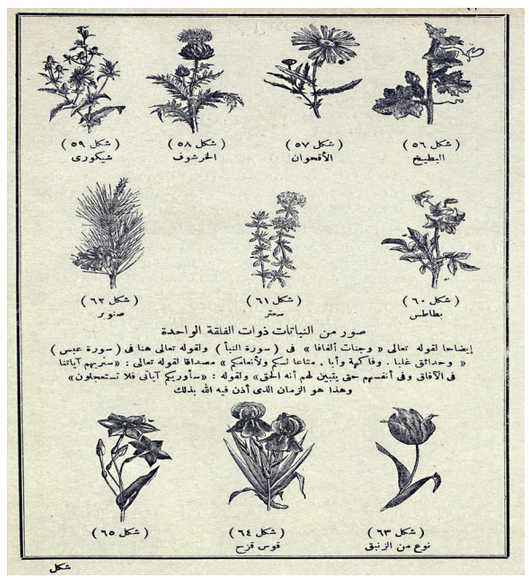

كانت عنده جاذبية غريبة للرياضيات والطبيعيات للدرجة التى جعلته يعتبر تعليم الكيمياء من الواجبات والفروض التى لا يتم إيمان المسلم إلا بها

2 الأزهرى المتمرد يبحث عن نفسه

تمرد طنطاوى جوهرى مبكرًا على العلوم الأزهرية ومنهجها ومناهجها، دفعه إلى طريق مختلف، قرر أن يحدد ملامحه بنفسه.

فى كتابه «عباقرة ومجانين» الذى صدر فى عام ١٩٩٠، كتب الناقد الكبير رجاء النقاش عن طنطاوى جوهرى، ومن بين ما قاله، أن الشيخ الأزهرى لم يكن يعرف لغة أجنبية، ولكنه أدرك بفهمه العلمى السديد وتطلعه إلى المعرفة ضرورة الاهتمام بإحدى اللغات الأجنبية، فاتجه إلى اللغة الإنجليزية، ودرسها دراسة واسعة حتى أتقنها، معتمدًا فى ذلك على جهده الذاتى وإرادته القوية، بعد أن استعان فى بداية الأمر ببعض المدرسين، وقد ساعده إتقانه لهذه اللغة على أن يقوم بترجمة بعض الأشعار والنصوص الأدبية الإنجليزية، مما يدل على أنه قد وصل فى إتقانه لهذه اللغة إلى درجة جيدة.

فيما يبدو كانت شخصية طنطاوى جوهرى مستفزة لرجاء النقاش، الذى بدأ يبحث عن تلاميذه، ولما وجد أحدهم وهو أحمد عطية الله، عرف منه جانبًا يمكن أن نعتبره غريبًا فى شخصية طنطاوى.

قال عطية الله- الذى لم يقل لنا رجاء النقاش شيئًا عنه أكثر من أنه تلميذ لطنطاوى- أن شيخه كانت عنده جاذبية غريبة للرياضيات والطبيعيات، للدرجة التى جعلته يعتبر تعليم الكيمياء من الواجبات والفروض التى لا يتم إيمان المسلم إلا بها.

من بين ما ينسب لطنطاوى جوهرى كذلك أنه كان يتابع ما ينشر فى الصحف والمجلات من اكتشافات علمية، ويعتبرها دليلًا على التطور الحضارى، وهو ما دفعه أحيانًا إلى بعض الشطط، ففى عام ١٩٣٠ رفع مذكرة إلى الحكومة المصرية أثناء غارات الجراد التى اجتاحت البلاد، يقترح فيها جمع الجراد وبيضه لاستخراج زيت قال إنه أجود زيت يصلح للطائرات.

لم يتلق طنطاوى جوهرى ردًا على مذكرته، ولم يلتفت إليها أحد، فقد كان ما قاله مجرد فكرة لا علاقة لها بالعلم ولا التجربة.

حمل طنطاوى جوهرى هذه المعارف والعلوم وهو يضع مؤلفاته، التى كان منها: «التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم»، و«ميزان الجوهر فى عجائب الكون»، و«جواهر العلوم»، و«سوانح الجوهرى»، و«الفرائد الجوهرية فى الطرق النحوية».

من عناوين كتبه يمكننا أن نمسك بملمح نفسى مهم فى شخصية طنطاوى، فقد كان معجبًا بنفسه للدرجة التى جعلته يضمن عناوين كتبه بعضًا من اسمه، فقد كان يرى فى نفسه عالمًا فذًا تفوق على أقرانه، وهو ما دفعه إلى أن يطالب بجائزة نوبل فى السلام لنفسه عام ١٩٣٨، أى قبل وفاته بعامين فقط.

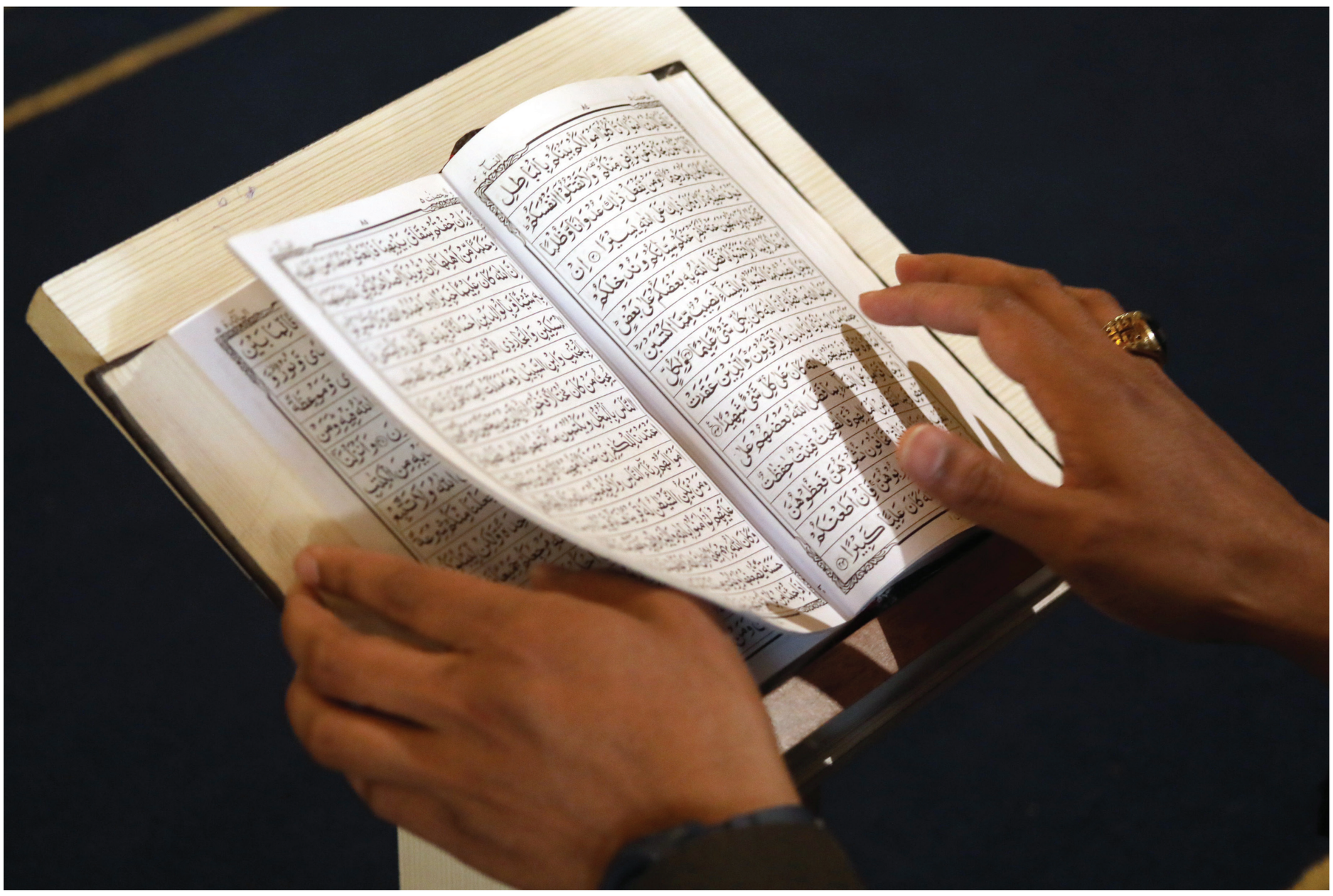

كان معجبًا بنفسه للدرجة التى جعلته يضمن عناوين كتبه بعضًا من اسمه فقد كان يرى فى نفسه عالمًا فذًا تفوق على أقرانه وهو ما دفعه إلى أن يطالب بجائزة نوبل فى السلام لنفسه عام 1938

3 لغز جائزة نوبل فى حياة الشيخ طنطاوى

الفكرة غريبة لكنها حدثت.. وهنا تقابلنا روايتان.

الرواية الأولى صاحبها رجاء النقاش، الذى يجزم أن طنطاوى جوهرى راسل الأكاديمية السويدية وزكى نفسه لها، معتبرًا أنه يستحق الجائزة لأنه فى كتاباته التى كان منها بالتحديد: «نظام العالم والأمم أو الحكمة الإسلامية العليا»، والنظام والإسلام» و «جمال العالم» و«نهضة الأمة وحياتها»، كان يحمل على كتفيه دعوة إنسانية واسعة، فكان يدعو إلى السلام والتضامن الإنسانى، اللذان يؤديان إلى انتشار العدل وارتقاء البشر جميعًا، وكان فى هذه الكتب يهاجم الدول الكبرى التى تعمل على أن تفرض سياستها بالقوة، وتحاول أن تحقق مصالحها على حساب الآخرين من أبناء المجتمعات الإنسانية الضعيفة، وكان يرى أن الإخاء الحقيقى بين البشر هو الحل المثالى الصحيح لأزمات الإنسان المختلفة، ولم تكن دعوته لهذه المبادئ الإنسانية سطحية بل كانت عميقة وقائمة على شعور غامر بالمسئولية، كما أنه كان يشرح دعوته بأسلوب جميل واضح أو مؤثر، وكانت كتبه مليئة بالحقائق والمعلومات الواسعة فى سائر مجالات المعرفة الإنسانية.

الدكتور على مصطفى مشرفة باشا هو من رشح الشيخ طنطاوى لجائزة نوبل فى عام 1939 بمجموعة كتبه إلى الدوائر الغربية لنيل جائزة نوبل للسلام

الغريب أن طنطاوى جوهرى كان يأخذ من نظام حياة الحشرات والجوارح والضوارى وممالك النحل والنمل والهوام والمعادن والأحجار ما يدلل به على أن الله ما خلق خلقه إلا من أجل أن يعيشوا فى سلام، ودعا فى كتابه «أحلام فى السياسة وكيف يتحقق السلام العام؟» العالم كله للأخذ بنظام الحيوانات ليعيشوا فى سلام عام.

يحاول طنطاوى جوهرى توضيح فكرته أكثر، ففى «أحلام السياسة» نقرأ: كيف تكون للعوالم التى تعيش من حولنا هذا الجدول المنظم، وتكون بينها هذه النسب البديعة، ولا يكون للإنسان هذا النظام؟، كلا... إن العقل ينكر هذا، وها هنا تحل مشكلة العالم، ها هنا عرفنا سبب النزاع القائم بين الأسرات والممالك، هآنذا عرفت سبب الجمال فى الحقول والسماوات ليلًا ونهارًا، فأما أسباب الشقاء والنزاع بين الإنسان فالبحث جار فيها.

بحث طنطاوى فى الأمر، ونجده يعود ليقول لنا: هل فى شرعة الإنصاف أن نعتبر أفراد الإنسان فى هذا العالم كمية مهملة لا نظام يجمعهم، ولا قانون يكبحهم، وقد رأينا النسب والقوانين لم تذر ذرات الأيدروجين مع ذرات الصوديوم، ولا ورقات التفاح مع ورقات الأعشاب، ولا حركات سقوط الأحجار، كلا... كلا إن قوى نوع الإنسان وعقوله لها نسب خفية، وكل امرؤ فى الأرض له نسب إلى غيره فى أمته وفى غيرها، ولما خفى ذلك على الناس حاروا فى أمرهم، فلم يجدوا مناصًا من الحرب، لأنهم لم يهتدوا إلى نظامهم، فكل يزعم أن له عند الآخر حقًا يريد أخذه بالقوة.

ويعلق رجاء النقاش على محاولة طنطاوى جوهرى الحصول على جائزة نوبل بقوله: هو الأزهرى الذى وجد فى فكره وعلمه وآرائه الإنسانية ما يؤهله لطلب جائزة نوبل فى السلام لنفسه، وقد كان على حق فيما تصوره، وإن كانت الجائزة العالمية قد فاتته، فلم يفته التقدير الكبير عند أى باحث منصف يدرس تاريخه ويتعرف على إنتاجه الفكرى والدينى، ولا يستطيع هذا الباحث المنصف إلا أن يقول: إن طنطاوى جوهرى كان واحدًا من أعظم العقول التى عرفها الفكر العربى المعاصر، بل لقد كان واحدًا من أعظم العقول الإنسانية فى هذا العصر، بالإضافة إلى ما اتصفت به نفسه من نبل وصفاء، وإخلاص لرسالة الإسلام الحقيقية فى دعوته إلى مبادئ العدل والسلام والعلم والحرية والتقدم.

الرواية الثانية: صاحبها الدكتور محمود الجوادى الذى كان واحدًا من أهم من كتبوا سيرة الشخصيات العامة فى مصر والعالم العربى، قبل أن تجرفه الجماعة الإرهابية فى طريقها بعد ٣٠ يونيو، فيصبح واحدًا من أبواقها.

فى بورتريه مطول كتبه الجوادى على مدونته «أبو التاريخ» يذهب إلى أن الدكتور على مصطفى مشرفة باشا هو من رشح الشيخ طنطاوى لجائزة نوبل فى عام ١٩٣٩، بمجموعة كتبه إلى الدوائر الغربية لنيل جائزة نوبل للسلام، وقد رشحه الدكتور مشرفة بوصفه عميدًا لكلية العلوم، واشترك فى الترشيح الدكتور عبدالحميد سعيد عضو البرلمان، والرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين، ودعمت وزارة الخارجية هذا الترشيح، وتولت إجراءات تقديمه مع مؤلفات الشيخ إلى لجنة الجائزة و البرلمان النرويجى مشفوعة بتقرير عن جهوده فى سبيل العلم والسلام، وشهادات علماء إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا فى قيمة هذه المؤلفات، لكن وفاة الشيخ طنطاوى جوهرى فى مطلع ١٩٤٠ حالت دون اتمام الأمر لأن جائزة نوبل لا تمنح إلا للأحياء.

لم يقدم لنا محمد الجوادى دليلًا واحدًا موثقًا على روايته، إلا أنها الأقرب إلى المنطق، ويبدو أنه كتب ما كتبه بقناعة أن الشيخ طنطاوى لو كان حيًا لفاز بجائزة نوبل للسلام، ولأصبح بذلك أول عربى يحصل على الجائزة فى أى فرع من فروعها، دون أن ينتبه إلى أن الشيخ طنطاوى كان صاحب دعوة نظرية للسلام، وهو ما يتساوى فيه مع كتاب ومؤلفين كثيرين حول العالم، ولا تمنح الجائزة فى فرع السلام لمن يكتبون داعين ليسود السلام العالم، ولكن من يقومون بجهد حقيقى على الأرض لتمكين السلام فى الأرض.

أغرب الحكايات
سامح سند
عصير الكتب

كشوف الخالدين
ياسر ثابت
اكتب

لا تذكر المآسى
رديف كندرد
آفاق

سيادة القاضى
نورا عبدالمجيد
المصرية اللبنانية

فى بيت أحمد أمين
حسين أحمد أمين
الكرمة

الجواهر

الشيخ طنطاوى جوهرى لم يقترب من أفكار الإخوان أبدًا ولا دعا للانخراط فى صفوفهم

الغربية. ذلك بأن التيار المائى المعروف بتيار الخليج [أى خليج مكسيكو] يحملها إلى تلك السواحل فتنمو فيها على الشاطئ ، ويساعدها على العوم خلايا فيها محتملة هواء .
ومن أغرب أصناف النبات ما يتخذ غلاف بزوره أشكال بعض الحشرات كما ترى فى بزر اللوبيا المرشقة وبزر الخروع وبعضها يتخذ صورة الحشرة المعروفة باسم الحريش [أم أربع وأربعين] وآخر يتخذ صورة دودة .
والثمرة فى عرف النبات الاقتصادى لها غايتان : الأولى حفظ البزرة وما تحتوى عليه لأنها أداة حفظ النوع . والثانية نشرها ، لذلك ترى أن الأثمار التى تحتوى على بزرة واحدة هى فى الغالب من النوع الذى لا ينشق ، وعلى الضد من ذلك ترى أن الأثمار التى تحتوى الثمرة منها على بزور عديدة تنشق فى الغالب وتنثر بزورها نثرا فى أوسع مساحة مستطاعة ، فإن البزور وشكلها وبناؤها وطرق انشقاق الثمرة كل ذلك مرتبط ارتباطا وثيقا بأساليب نثر البزور وأشهرها (١) وسيلة ميكانيكية فى الثمرة نفسها ، كانشقاقها لجأة حينما تجف فيحصل انبرام بعض القرون وانشقاقها . (٢) بالماء كجوز النارجيل المتقدم ذكره ، وبزور زنبق الماء التى يحيط بها نسيج اسفنجى يمكنها من أن تطفو مسافة غير قصيرة قبل أن تبتل وتغرق . (٣) الريح . (٤) الحيوانات ، والأمثلة عليها كثيرة فيما تقدم وفيما يلى :
غرائب النباتات
(شكل ١٣)
بزور من أنواع الحسك التى تعلق بصوف الغنم
بزور لفاظها أشواك وسنانير تعلق بها
تفرق بزور النبات أيضا
قال كاتب المقالة : وحلنا بالأمس بيت أحد فضلاء الجرمان من نزلاء العاصمة فرأينا فيه منظرا تتبسط

(شكل ٦)
اللاما وولدها
إلى أعلا : صورة لأنثى اللاما فى حديقة حيوانات لندن ومع اللاما أحد صغارها ، ودلالة العطف بين الأم وولدها بادية للعيان
(شكل ٧)
الكيانغ أو الحمار البرى
فى الصورة التى إلى اليسار ترى عاطفة الأمومة على أجلادها فى الحمار البرى ، فقد وقف جيمس صغير بجانب أمه وكأنه يحتمى بها من الخطر .
(شكل ٨)
الزيبرا وعاطفة الأمومة
ترى فى جانب السورة أنثى الزيبرا ، وقد وقف معها أحد صغارها يداعبها ، وهى تترك له الحرية لرفعل مايشاء

(شكل ٩٢) الخنفساء
(شكل ٩٣) البرغوث مكبرا
(شكل ٩٤) النحلة
إن أمثال الحشرات الثلاث الآتية : وهى (حشرة القمعان) والناموس المعروف (شكل ٩٥) وبق الأسرة والفرش (شكل ٩٦) كلها مندرجة فيما هو ناقص التغير .
(شكل ٩٥) الناموس
(شكل ٩٦) بق الأسرة
(شكل ٩٧) رأس الخنفساء مكبرا
البعوض مكبرا
منظورا من أسفل
إن فم الحشرات فى تركيبه مخالف كل المخالفة لتركيب أفواهها (وبعبارة أخرى) مخالف لتركيب ذوات الفقرات . إن فمكها يتحركان من اليمين إلى الشمال بدل أن يتحركا إلى أعلى وأسفل ، أنظر إلى فم هذه الخنفساء (شكل ٩٧) المتقدم إنه قوى جدا حتى إنها تقدر أن تستحوذ على فريستها من الحشرات الأخرى وتمزقها قطعا صغيرة وتتغذى بها ، إن هذه الحشرة المبهاة (كوكشفر) (شكل ٩٨) التى تعيش على ورق النبات فكاها ضعيفان . (والذبابة خرطوم) (ب : شكل ٩٩) قوى قصير جدا معد للامتصاص . وللبراغيث والبق شوكات حادات (ج ، شكل ١٠٠) بها تخترق الجلد لأجل أن تمتص الدم من فريستها أنظر هذه الأشكال .
(شكل ٩٨) رأس كوكشفر مكبرا جدا منظورا من أسفل
(شكل ٩٩) خرطوم الذبابة مكبرا (أ) الآلة الماصة (ب) غلاف تلك الآلة
(شكل ١٠٠) رأس البرغوث مكبرا (أ) و (ب) نحمد أو غلاف الآلة الماصة
(ج) الشوكة ذات الطرف الحاد

4 تخليص طنطاوى جوهرى من شوائب الإخوان

وعلى ذكر محمد الجوادى، فقد وقع فى مغالطة أخرى، يمكننا أن نعتبرها جريمة تاريخية.
يقول الجوادى إن حسن البنا عرض على الشيخ طنطاوى جوهرى أن يكون مرشدًا عامًا للإخوان، لكن الشيخ رفض، واكتفى بأن تولى رئاسة تحرير جريدة «الإخوان المسلمون» والتى صدر العدد الأول منها فى ١٥ يونيو ١٩٣٣، وكان يلقى درسًا فى تفسير القرآن الكريم فى المركز العام للإخوان المسلمين فى الحلمية.
وينسب الجوادى للشيخ طنطاوى جوهرى- ما نقله من أدبيات جماعة الإخوان- أنه قال عن حسن البنا: لو تعلمون عن هذا الشخص ما أعلم ما ملكتم إلا أن تبايعوه على نصرة الإسلام، إنه فى نظرى مزاج عجيب من التقوى والدهاء السياسى، إنه قلب على وعقل معاوية، وإنه أضفى على دعوة اليقظة عنصر الجندية، ورد إلى الحركة الوطنية عنصر الإسلامية».
لكن لماذا أصف ما قاله الجوادى بالمغالطة؟
لدينا هنا أكثر من شاهد على أن ما قاله ونسبه الجوادى لطنطاوى جوهرى ليس إلا بعضًا من التدليس.
فما كان لعالم وفيلسوف مثله يعتز بنفسه وبمنهجه أن يخدعه حسن البنا، وحتى لو احتج أحد عليه وعلينا بأنه قبل رئاسة تحرير «الإخوان المسلمين»، فإن هذا لا يعنى أن هواه كان يتوافق مع هوى الجماعة، فالأزهرى الذى رفض التعليم الأزهرى لأنه كان أسيرًا للمتون القديمة، ما كان له أن يركن لجماعة ترفع فى وجوه أتباعها مبدأ السمع والطاعة وتطالبهم أن يبايعوا على ذلك فى المنشط والمكره، ولذلك فإننى أستبعد تمامًا أن يكون طنطاوى جوهرى بايع حسن البنا على شىء.
وما لا يعرفه محمد الجوادى غالبًا أن حسن البنا كان يحاول استقطاب كبار المفكرين إلى جماعته، من خلال دعوتهم ليكونوا مرشدين لها، دون أن يوضح هل كان يعنى ذلك أنه سيتنازل لهم عن مكانه ومكانته، أم أنه كان سيبحث لنفسه عن مكانة أخرى تجعله يعلوهم، فيحتفظ بحق الأمر والنهى فى الجماعة؟
فعل ذلك مع محمد حسين هيكل باشا، حيث كان يرافقه فى رحلة حج فى بدايات الثلاثينيات، وأكد له أنه يتلقى دعمًا خارجيًا هائلًا، لكن هيكل نفر منه ولم يستجب لدعوته، وفعل ذلك أيضًا مع الكاتب الكبير أحمد أمين، عندما دعاه إلى الانضمام للجماعة ليكون مرشدًا له، لكن أحمد أمين لم يرد عليه بالإيجاب أو السلب، وإن كان أخبر ابنه حسين بسبب رفضه للجماعة التى انحرفت بالدين وتريد أن تصل به إلى الحكم.
ويبقى لدى شاهد يؤكد أن الشيخ طنطاوى جوهرى لم يقترب من أفكار الإخوان أبدًا، ولا دعا للانخراط فى صفوفهم، وهو أن منهجه كان يختلف مع منهجهم، فقد كان يعلى من شأن العقل وهم يحتقرونه، وكان يدعو إلى التجديد وهم يميلون إلى التقليد، وكان يدعو إلى السلام بينما لا يؤمنون هم به.
ولو افترضنا جدلًا أن الشيخ طنطاوى رأى فى الإخوان أى خير، فذلك لأنه مات فى العام ١٩٤٠، أى قبل أن يظهر الوجه القبيح للجماعة، وتقدم على الاغتيالات وأعمال العنف التى جعلت الجميع ينفر منها ويهرب من صفوفها.
الأهم من كل ذلك، أننى أرى فيما قاله عن حسن البنا ذمًا وليس مدحًا، هذا على افتراض أنه قال ما قاله من الأساس، فأن يصفه بأنه يجمع بين قلب على وعقل معاوية، فهو رجل متناقض لا خير فيه.

5 لماذا سخر طه حسين من طنطاوى جوهرى؟

وإذا كنا قطعنا الطريق على المتقولين على طنطاوى جوهرى بأنه كان من أنصار الإخوان، فإن من حقه علينا أن نخلصه مما ألحقه به طه حسين فى الجزء الثالث من كتابه «الأيام».
يقول الدكتور العميد عنه: «كان الأستاذ الآخر الذى ملأ الجامعة فكاهة ودعابة، وملأ الطلاب عبثًا به واجتراء عليه، وملأ بطون الطلاب من طعامه، هو الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله، الذى كان يدرس لنا الفلسفة الإسلامية، وكان يتكلم كثيرًا ولا يقول شيئًا، وكانت كلمات الجمال والجلال والبهاء والكمال والروعة والإشراق أكثر الكلمات جريانًا على لسانه، منذ يبدأ الدرس إلى أن يتمه، وكان لا ينطق بكلمة منها إلا مد ألفها فأسرف فى المد، وربما أخذه شىء من ذهول وهو يمد هذه الألف فيغرق الطلاب فى ضحك يخافت به بعضهم ويجهر به بعضهم الآخر، ويفيق الأستاذ من ذهوله على هذا الضحك فيلوم الطلاب، لا على أنهم يضحكون، بل على أنهم لا يشاركونه فى الإعجاب بجمال الطبيعة وجلال الكون وبهاء القمر حين يرسل ضوءه المشرق على صفحة النيل، ويمد ياء النيل فيسرف فى مدها ويأخذه ذهول يرد الطلاب إلى ضحك متواصل».
ويستكمل طه حسين رسمه لصورة طنطاوى جوهرى عنده، يقول عنه «وفى ذات يوم ختم الأستاذ دروس العام، وقرر الطلبة قبل الدرس أن يكون الفتى لسانهم فى شكر الأستاذ على دروسه القيمة، واشترطوا عليه أن يشكر الأستاذ بكلام غير مفهوم، واشترط عليه الأستاذ إبراهيم مصطفى ألا تخلو جملة من حديث الشكر هذا الذى يجب أن يكون طويلًا من إحدى هذه الكلمات الست: الجمال والجلال والبهاء والكمال والروعة والإشراق، وقَبِل الفتى هذه الشروط كلها، فخطب وأجاد، ولكنه لم يقل شيئًا، ورضى الأستاذ كل الرضا، وقال للفتى: لا يكافئ هذه الخطبة الرائعة إلا ديك رومى، ولكنك لن تأكله وحدك، وإنما يشاركك فيه زملاؤك جميعًا، فإذا كان يوم الجمعة فأنتم تعرفون أين أقيم».
وينهى العميد كلامه عن أستاذه بقوله: «ولم يكن الأساتذة المصريون وحدهم هم الذين يملأون الجامعة فكاهة ودعابة، ويتعرضون لعبث الطلاب وجراءتهم الماجنة، وإنما كان الأساتذة مصدرًا من مصادر الفكاهة وموضوعًا من موضوعات العبث، كانت لهجتهم العربية تملأ أفواه الطلاب بالضحك، وكان منهم الذين يلوون ألسنتهم بالعربية يقلدون هذا الأستاذ أو ذاك من أساتذتهم الإيطاليين أو الألمان». الغريب أن رجاء النقاش وبعد أن نشر مقاله عن طنطاوى جوهرى، وكان عنوانه «أزهرى يطالب بجائزة نوبل» لأول مرة فى مجلة الشباب قبل أن يضمه إلى كتابه «عباقرة ومجانين»، تسلم رسالة من القارئة مها محمد الهنداوى من دمياط، قالت له فيها: قرأت لكم ما كتبتموه عن الشيخ طنطاوى جوهرى، أو الأزهرى الذى طالب بجائزة نوبل، وأود أن أحيطكم علما بأننى درست هذا العام الجزء الثالث من رائعة «الأيام» لعميد الأدب العربى الدكتور طه حسين، وفيه يذكر الشيخ طنطاوى بأوصاف قبيحة، ويصف كيف كان الشيخ مثار سخرية الدكتور طه حسين وزملائه.
وبعد أن ذكرت مها الهنداوى ما قاله طه حسين عن طنطاوى جوهرى، قالت: أرجو من سيادتكم الرد، فكلامكم أوقعنى فى حيرة شديدة، فهل الشيخ طنطاوى جوهرى الذى يتحدث عنه الدكتور طه حسين فى الجزء الثالث من كتاب «الأيام» هو نفسه من يتحدث عنه سيادتكم أم شخص آخر؟».
ويرد رجاء النقاش على سؤال القارئة بقوله: أحب أن أؤكد للقارئة الفاضلة أن الشيخ طنطاوى الذى تحدثت عنه هو نفسه الشيخ طنطاوى جوهرى الذى يتحدث عنه طه حسين فى الجزء الثالث من كتابه، وبالطبع فإن الصورة التى رسمتها للشيخ طنطاوى جوهرى تختلف عن الصورة التى رسمها طه حسين، فما السبب فى هذا الختلاف الكبير؟
ويجيب رجاء النقاش على سؤاله بقوله: السبب فى ذلك يعود إلى طه حسين نفسه ولا يعود- فى تقديرى- إلى الشيخ طنطاوى جوهرى، فقد كان طه حسين يتميز بصفة لا أستطيع أن أسميها إلا باسم الشقاوة، وهذه الصفة لازمته فى النصف الأول من حياته، بل أكاد أن أقول إن صفة الشقاوة قد لازمته أكثر من نصف حياته، وظلت تلازمه فى كل حياته وإن كان حاول فى سنواته الأخيرة أن يخفيها ويخفف منها إلى حد كبير.
ويعدد رجاء النقاش صور نفور طه حسين من رجالات الأزهر، ليقول بعد ذلك: فى الجامعة التقى طه حسين وهو طالب بأستاذه طنطاوى جوهرى، وكان طنطاوى شيخًا أزهريًا معممًا، انتدبته الجامعة لتدريس الفلسفة، فهل كان بالإمكان أن يسلم هذا الشيخ الأزهرى من شقاوة طه حسين؟ لقد هرب طه حسين من الأزهر وها هو يلتقى مرة أخرى بشيخ أزهرى يجىء إلى الجامعة للتدريس، ومن هنا كان لابد أن يصب طه حسين على أستاذه الأزهرى ألوان السخط والسخرية الحادة، لأنه يذكره بالأزهر وبمشاكله الكثيرة مع شيوخ الأزهر.
ويصل النقاش إلى القول الفصل، فيقول: القصة التى يرويها طه حسين عن الشيخ طنطاوى جوهرى لا تسىء إلى الأستاذ فى حقيقتها، ولكنها تكشف عن شقاوة التلميذ طه حسين وميله الدائم إلى مشاغبة أساتذته الأزهريين، والحقيقة أن الشيخ طنطاوى جوهرى لم يكن أزهريًا بالمعنى التقليدى، بل كان عالمًا عظيمًا مجددًا.

ملأ الجامعة فكاهة ودعابة وملأ الطلاب عبثًا به واجتراء عليه وملأ بطون الطلاب من طعامه

6 طريق الشيخ طنطاوى إلى تفسير «الجواهر»

لا يزال لدينا من القول فصلًا، لقد عاش طنطاوى جوهرى حياته كلها حلقة واحدة، فلم يكن اطلاعه على العلوم الكونية، ولم تكن كتاباته إلا تمهيدًا لتفسيره الكبير «الجواهر» وهو التفسير الذى أنجزه على مراحل، وكان متأثرًا فيه بقراءاته وواسع اطلاعه، ومحبته إلى الموسيقى.
فمن بين ما نقله رجاء النقاش عن تلميذه أحمد عطية الله قوله: امتد شغف الشيخ طنطاوى من الرياضيات إلى الموسيقى، باعتبارها فرعًا من فروع الرياضيات، وكان يقول إن الموسيقى المسموعة باب من أبواب الموسيقى المعقولة، أى التى توجد فى العقل عن طريق المعادلات الرياضية، وأورد فى تفسيره للقرآن كثيرًا من النوادر والحوادث الشخصية، التى كانت الموسيقى فيها حافزًا له على ارتياد مواطن جديدة من النشاط الفكرى، بل إنه عزا توسعه فى تفسير القرآن وهدفه من تضمين هذا التفسير كثيرًا من حقائق العلوم الطبيعية إلى حادث من الحوادث الفردية التى لعب فيها «الفونوغراف» دورا فى تطوير أفكاره وشحذ عزيمته.
أما كيف انتهى طنطاوى جوهرى من تفسيره للقرآن؟ ... وكيف عمل عليه؟ ولماذا لم يلتفت له أحد، فهذه قصة طويلة تستحق أن تروى للعلم وللتاريخ ولحق الشيخ طنطاوى نفسه علينا.
الصورة تبدو أمامى هكذا، فكأن الله نذر الشيخ طنطاوى جوهرى لإنجازه الأكبر فى حياته «تفسير الجواهر».
غلاف الطبعة الأولى من التفسير يكتب بطاقة هويته.
اسم التفسير كاملًا هو «الجواهر فى تفسير القرآن الكريم... المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات» من تأليف الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى، المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقًا، متع الله المسلمين بحياته... آمين.
وعلى الغلاف يقابلنا تنبيه يقول فيه طنطاوى: «إن شاء الله بعد تمام طبع التفسير سنتبعه بملحق لتفصيل ما أجمل فيه من العلوم الكونية والأحكام الشرعية واختلاف المذاهب فيها».
وقد طبع بمطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر وباشر طبعه محمد أمير عمران.
عندما نعيد النظر فى تكوينه العلمى والدينى، سنجد أن طنطاوى جوهرى كان يسير فى طريق، لم تكن له نهاية إلا هذا التفسير، فمنذ طفولته وهو لا يزال فى قريته «كفر عوض الله حجازى» ندهته الطبيعة بحقولها وأشجارها ونباتاتها وحيواناتها، فاهتم بها وهجر لهو الأطفال الصغار، ثم عزف عن المناهج التقليدية فى الأزهر، فمال إلى دراسة العلوم الطبيعية وتتبعها عبر الصحف التى تنشر عنها، ولأن تتبع العلوم يستلزم تعلم لغة، فقد أقبل على تعليم اللغة الإنجليزية وأتقنها.
الثابت عن الشيخ طنطاوى جوهرى أنه وبعد أن وصل إلى الستين من عمره، أى فى العام ١٩٣٠، بدأ فى كتابة تفسيره الذى انتهى منه فى خمس سنوات، حيث صدرت الطبعة الأولى منه فى العام ١٩٣٥، وهو كلام لا يمكننا أن نقبله منطقًا ولا عقلًا، ثم إن هناك من الوقائع ما يشير إلى أن طنطاوى جوهرى ومنذ شبابه وهو يعمل على مشروع تفسيره الكبير.
فى المقدمة القصيرة التى كتبها طنطاوى كمدخل إلى تفسيره، يضع أيدينا دون أن يكشف عن كثير من تفاصيل عما جرى.
يدخل بنا إلى ما وجد نفسه عليه، يقول: «إنى خلقت مغرمًا بالعجائب الكونية، معجبًا بالبدائع الطبيعية، متشوقًا إلى ما فى السماء من جمال، وما فى الأرض من بهاء وكمال، آيات بينات، وغرائب باهرات، شمس تدور، وبدر يسير، ونجم يضىء، وسحاب يذهب ويجىء، وبرق يأتلق، وكهرباء تخترق، ومعدن بهى، ونبات سنى، وطير يطير، ووحش يسير، وأنعام تسرى، وحيوان برى، ومرجان ودر، وموج يمر، وضياء فى مخارق الأجواء، وليل داج، وسراج وهاج، وكتاب من العجائب مسطور، فى لوح الطبيعة منشور، وسقف مرفوع، إن فى ذلك لبهجة لذوى البصائر، ونورًا وتبصرة لصادق السرائر».
تأمل طنطاوى جوهرى ما وجد نفسه عليه، فقرر أن يسير فى طريقه لا ينحرف به أحد عنه، يقول: «ثم إنى لما تأملت الأمة الإسلامية وتعاليمها الدينية، ألفيت أكثر العقلاء، وبعض أجلة العلماء، عن تلك المعانى معرضين، وعن التفرج عليها ساهين لاهين، فقليل منهم من فكر فى خلق العوالم، وما أودع فيها من الغرائب».
من هنا بدأت الرحلة، يقول عنها: «أخذت أؤلف لذلك كتبًا شتى، كنظام العالم والأمم، وجواهر العلوم، والتاج المرصع، وجمال العالم، والنظام والإسلام، ونهضة الأمة وحياتها، وغير ذلك من الرسائل والكتب، ومزجت فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية، وجعلت آيات الوحى مطابقة لعجائب الصنع وحكم الخلق، وأشرقت الأرض بنور ربها، وتقبلها أجلة العلماء قبولًا حسنًا، وترجم منها الكثير إلى اللغة الهندية المسماة بالأوردية، وإلى لغة القازان بالبلاد الروسية، وإلى لغة جاوه فى الأوقيانوسية، ولكن كل ذلك لم يشف منى الغليل، ولم يقم على غنائه من دليل، فتوجهت إلى ذى العزة والجلال، أن يوفقنى أن أفسر القرآن، وأجعل هذه العلوم فى خلاله، وأتفيأ فى بساتين الوحى وظلاله، ولكم طلبت منه جل جلاله بالدعوات فى الخلوات، وابتهلت إليه وهو المجيب، فاستجاب الدعاء».
استجاب الله لدعاء طنطاوى جوهرى، فكان ابتداء التفسير إذ كان مدرسًا بمدرسة دار العلوم فكان يلقى بعض آيات على طلبته، وبعضها كان يكتبه فى مجلة «الملاجئ العباسية».
يقول: وها أنا ذا اليوم أوالى التفسير مستعينًا باللطيف الخبير، مؤملًا بما وقر فى النفس، أن يشرح الله به قلوبًا، ويهدى به أممًا، وتنقشع به الغشاوة عن أعين عامة المسلمين، فيفهموا العلوم الكونية، وإنى لعلى رجاء أن يؤيد الله هذه الأمة بهذا الدين، وينسج على منوال هذا التفسير المسلمون، وليقرأن فى مشارق الأرض ومغاربها مقرونًا بالقبول، وليولعن بالعجائب السماوية، والبدائع الأرضية: الشبان الموحدون، وليرفعن الله مدينتهم إلى العلا، وليكونن هذا الكتاب داعيًا حثيثًا إلى درس العوالم العلوية والسفلية، وليقومن من هذه الأمة من يفوقون الفرنجة فى الزراعة والطب والمعادن والحساب والهندسة والفلك وغيرهم من العلوم والصناعات؟ كيف لا، وفى القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، فأما علم الفقه فلا تزيد آياته الصريحة على مائة وخمسين آية». وضع طنطاوى جوهرى فى هذا التفسير ما يحتاجه المسلم، من الأحكام والأخلاق وعجائب الكون، وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق مما يشوق المسلمين والمسلمات، إلى الوقوف على حقائق معانى الآيات البينات، فى الحيوان والنبات والأرض والسموات».

حُلقت مغرمًا بالعجائب الكونية معجبًا بالبدائع الطبيعية متشوقًا إلى ما فى السماء من جمال

شرنقة شاهين
خيرية المنصور
أطياف

موسى صبرى ساحر الكتابة
أيمن الحكيم
ريشة

موت العالم
عبدالرحيم كمال
الكرمة

مبدعون على جناح الإنسانية
ولاء جمال
كنوز

لوس أنجلوس
أحمد ممدوح
الرواق

الجواهري

تفسيره يقوم على استخدام الدراسات العلمية الواسعة والتفصيلية فى الكيمياء والطبيعة والرياضيات وذلك للكشف عن عظمة الكون

فما ترى إذا نحن شققنا هذا النبات الصغير نصفين طولا ؟ فإننا نرى فى شكل (ب) أن كل نصف منهما يشبه الورقة وليس بورقة ، بل هو أشبه بفص من الحبة يحمل المواد الغذائية المعدة لنمو النبات كما تحمل البيضة غذاء لذلك الفرخ الصغير الذى يخرج من البيضة .

إن هـذا النبات الصغير يبرز مائلا إلى الموضع المجوف من الحبة ، ولا جرم أننا نجز ما بين مبدأ الجذر (ج) وهو الجذير وما بين مبدأ الساق (د) وهـذا نراه واضحا فى شكل (٢٨) .

لا جرم أن حبة الفول الق ضربناها مثلا لسائر النبات وبزوره وبروزه ليس فيها أدنى ميل لأن تتخذ من المواد التى حولها غـذاء تتمتع به لتخرج نباتا يعلو فى الهواء ولـكنا نرى هذا الميل يظهر فى حال خاصة ما هى تلك الحال ؟ تلك هى أن نضعها فى الأرض ، بشرط أن تـكون هناك رطوبة وحرارة معا .

فاذا وضعناه على هذه الحال رأينا أمرا عجبا ، رأيناها تنمو نواميطردا وأبرزت فى الهواء ساقا صغيرا ، وفى الأرض جذيرا ، وبعد أيام تظهر الأوراق شكل ٢٩ وشكل ٣٠ .

(شكل ٢٧)
(ا) نبات الفول الصغير ينمو من حبته .
(ب) أحد شق ذلك النبات خارجا من أحد فصى الحبة .
(ج) الجذر المتعدق الارض من الحبة .
(د) مبدأ الساق الذى سيرتفع ويحمل الاوراق .

(شكل ٢٨)
مبدأ نموها — حبة الفول

(شكل ٢٩)
جذير نبات الفول وفوقه الساق يحمل ورقا

(شكل ٣٠)
حبة الفول قد نجم منها ساق يحمل ورقه وامتد منها جذير يجذب الغذاء من الأرض

لا جرم أن هذه الشجرة المرجانية ذات جذور ، إذن الحيوان هنا لا حركة له ، وقد سلفنا أولا أن النبات ثابت والحيوان متحرك ، فما بالنا رأينا الحيوان هنا ساكنا ، بل هو فوق ذلك حجرى الجسم ، ثم قال : وإذا قلنا أن فرق السكون والحركة رجحان لأحد الحيوان والنبات ، فإننا نقول إذن إن هذا لا يكون فرقا فان التعريف يجب أن يشمل كل حيوان وكل نبات ، أما الاقتصار على أعلاها فليس من المرقى شيء .

وليس هذا السكون قاصرا على حيوان المرجان ، فها هنا حيوان السفنج الذى أثبت العلماء أنه حيوان مع أنه ثابت لا حركة له كالنبات ، وهكذا حيوان [الزوفيت] الذى ينمو كما ينمو النبات ضاربا عروقه فى الأرض ويستخلص من هيا كله بقايا البحر بالمجرفة الهاربة البحرية .

ونضيف إلى ما قدمناه من الأمثلة حيوان نباتى يسمى [أنيمونة البحر] :

وكذلك حيوان آخر يمت بصلة إلى السمك الصدفى وهو : الشقيق البحرى :

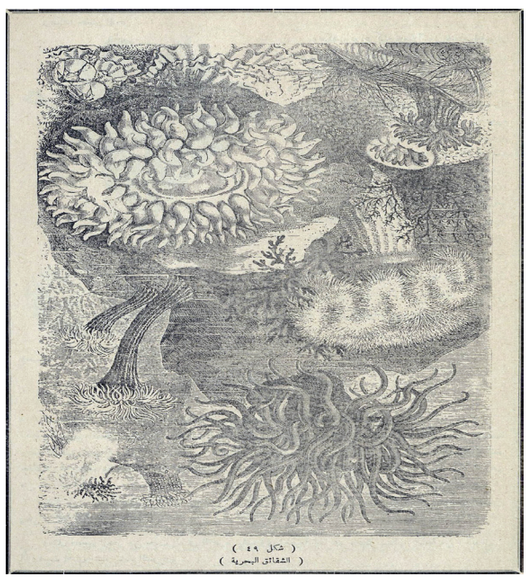

7 تفسير نخبوى لا مكان لقارئ عادى فيه

لم يضع طنطاوى جوهرى تفسيره فى الغالب للقارئ العادى، بل كان يسعى إلى قارئ له مواصفات خاصة، يخاطبه بقوله: لتعلمن أيها الفطن أن هذا التفسير نفحة ربانية وإشارة قدسية وبشارة رمزية، أمرت به بطريق الإلهام، وأيقنت أنه له شأن سيعرفه الخلق، وسيكون من أهم أسباب رقى المستضعفين فى الأرض «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز» وهذا أوان أن أشرع فى المقصود.

يمكننا أن نعتبر تفسير طنطاوى جوهرى تفسيرًا نخبويًا، فمن لا يعرف للعلوم الطبيعية طريقًا لا يمكنه أن يتفاعل معه، وأغلب الظن أن هذا هو السبب فى عدم انتشار هذا التفسير بالشكل الذى يليق به، فمن يقبلون على التفاسير حتى من المتخصصين لا يميلون إلى إرهاق أنفسهم بتتبع الآثار العلمية والمسائل الرياضية التى كانت السمة الأكبر لما أنتجه الشيخ طنطاوى.

كان طنطاوى يعرف أنه يبحث عن قارئ خاص، وكان يحتاج لمن يحاوره ويناقشه، ولذلك فقد نحت لنفسه محاورًا من نفسه، كان يطرح عليه الأسئلة الصعبة ويجيب عليها، فكأنه كان يدير حوارًا مع نفسه، يوفر به على من يطالع تفسيره عناء طرح الأسئلة.

يذهب كثير ممن تصدوا للكتابة عن تفسير طنطاوى جوهرى ونقده ومنهم أنور أبوطه وآخرون فى كتابه« خطاب التجديد الإسلامى: الأزمنة والأسئلة»، وأمين الخولى فى كتابه «التفسير: نشأته وتدرجه وتطوره»، ومصطفى الحديدى الطير فى كتابه «اتجاهات التفسير فى العصر الحديث من الإمام محمد عبده حتى مشروع التفسير الوسيط»، ومحمد رجب البيومى فى كتابه «النهضة الإسلامية فى سير أعلامها»، إلى أن تفسير طنطاوى جوهرى يعتبر من التفاسير العلمية للقرآن.

لكن الحقيقة عندما نقرأ تفسير طنطاوى جوهرى بعين فاحصة، نكتشف أنه لم يكن تفسيرًا علميًا، فالتفسير العلمى الذى نعرفه هو أن يأتى المفسر بما وصل إليه العلم الحديث ويحاول أن يسقطه على القرآن الكريم، وهو ما تعارفنا عليه بالإعجاز العلمى فى القرآن الكريم.

ما فعله طنطاوى جوهرى كان مخالفًا لذلك تمامًا، بل تنبه هو إلى ذلك، ونفاه نفيًا تامًا، فهو يشير إلى أن تفسيره يقوم على استخدام الدراسات العلمية الواسعة والتفصيلية فى الكيمياء والطبيعة والرياضيات، وذلك للكشف عن عظمة الكون الذى خلقه الله وأبدعه، وهو لا يكتفى بالشرح العلمى النظرى بل يملأ تفسيره بالصور والخرائط التى تشرح الآراء الواردة فى التفسير وتقدم الدليل الثابت على صحتها.

وفى قراءة نقدية فى منهج طنطاوى جوهرى فى تفسيره الجواهر، نشرها حازم محيى الدين على موقع وقفية الأمين غازى للفكر القرآنى، يذهب إلى أن جوهرى كان يعتقد أن الإشارات العلمية والتاريخية الواردة فى القرآن الكريم مذكورة بطريقة مجملة، وهى تشكل فى مجموعها مقدمات دافعة للبحث العلمى الذى يجب أن يقوم به علماء الأمم، وبشكل خاص المسلمون منهم الذين سبق لهم تلاوة الآيات التى تتضمن هذه الإشارات، فالقرآن الكريم يذكر الحقائق مجملة عامة من حيث تضمنه الإشارة إلى كل الظواهر الكونية من جهة، ويحث علماء الأمم على استقصاء هذه الحقائق والوقوف على تفاصيلها من جهة أخرى، فبيان وتفصيل المسائل العلمية والتاريخية من مهام العقل والخبرة البشرية، وليس من مهام الوحى الذى يكتفى بالإجمال وإثارة الرغبة عند البشر فى اكتشاف هذه العلوم، وليقرأوا بعد ذلك بقدر تعمقهم فى دراسة هذه العلوم فى مدارج الحضارة والتقدم.

ويضرب طنطاوى جوهرى مثلًا على منهجه هذا فيقول: واعلم أن خلق آدم وحواء ليس هناك دليل قطعى على كيفيته، والقرآن أتى به مجملًا على مقتضى ما تقبله العقول وتفهمه النفوس، فأما التفصيل فليس للكتب السماوية وإنما هذه مقدمات يؤتى بها للمقاصد، فأما التفصيل فقد قام به علماء الأمم من عجم وعرب.

وينفى طنطاوى جوهرى عن نفسه تهمة نسبها البعض إليه، عندما قالوا إنه يقول إن كل العلوم التى ظهرت فى الغرب موجودة فى القرآن.

يقول: أنا لم أقل إن أهل أوروبا استنتجوا علومهم من القرآن، بل استنتجوها بعقولهم، ولقد بعث الله الغراب وغير الغراب لهم كما بعث لنا، وهذا عار على أمة الاسلام أن تجهل عقلها، وتجهل دينها، فأنا لم ألصق بالقرآن علمًا ولا صناعة، وإنما أنا متبع لا مبتدع.

> القرآن الكريم يذكر الحقائق مجملة عامة من حيث تضمنه الإشارة إلى كل الظواهر الكونية من جهة ويحث علماء الأمم على استقصاء هذه الحقائق

8 حيوان أكسيلوكوب يفسر آية «الرحمن الرحيم»

يجمل طنطاوى جوهرى فى نظرته للقرآن بقوله: هذا القرآن يستحيل أن ينتفع به المسلمون إلا إذا قرأوا جميع العلوم، ومن أين يعرفون معنى هذه الآيات التى تعرض على العامة والأطفال لأنها فى السور الصغيرة المعروفة لكل قارئ إلا بالعلوم والمعارف، وهو ما أرجو أن يتم بعد انتشار هذا التفسير.

يدعم طنطاوى جوهرى ما قاله من بداية تفسيره.

ففى بداية تفسيره لسورة الفاتحة، يقول: «اقرأ متبركًا باسم الله الرحمن بجلائل النعم، كالسموات والأرض والصحة والعقل الرحيم المنعم بدقائقها، وتلاصق شعرات أهدابها المانعات من دخول الغبار المؤذى لها، مع أن النور يلمع من خلالها، وينقل صور المرئيات إلى حدقتها فشبكيتها فالدماغ، فهذه الدقة فى الصنع والحكمة فى الوضع التى أباحت لضوء الشمس والكواكب مثلًا أن يبلج ومنعت الغبار أن يدخل يعبر عنها بلفظ الرحيم تتميمًا للنعمة وتكميلًا للهناء والسعادة».

ولما كان أكثر الناس — طبقًا لما يراه طنطاوى جوهرى - لا يلحظون العجائب الكامنة فيهم، ولا يعرف نفسه إلا قليل منهم، وهم أكابر الحكماء والأولياء، يقول: «وجب أن أبين فى هذا المقام بعض رحمة الله عز وجل فى العالم المشاهد، فمنها ما أشار إليه العلامة الأستاذ ميلن إدوارد أن حيوانا يسمى «أكسيلوكوب» يعيش منفردًا فى فصل الربيع، ومتى باض مات حالًا، فمن رحمة الله وجميل صنعه ورأفته بالخلق أن ألهم هذا الحيوان أن يبنى بيتًا قبل أن يبيض على منوال ما كانت تفعله عاد من اتخاذ البيوت بالحفر، ولكن هذا فى خشب، وأولئك فى صخر، فيعمد ذلك الحيوان إلى قطعة من الخشب، فيحفر فيها حفرة مستطيلة، ثم يجلب طلع الأزهار وبعض الأوراق السكرية ويحشو بها ذلك السرداب، ثم يبيض على ذلك بيضة، ثم ياتى بنشارة الخشب ويجعلها عجينة، ويجعل منها سقفًا لذلك السرداب، والحكمة من ذلك أن هذه البيضة متى فقست وخرجت الدودة كفاها ذلك الطعام سنة، وهى المدة التى لا تستطيع تلك الدودة أن تحصل فيها على قوتها، ومتى أتم الحيوان ذلك صنع سردابًا آخر فوقه على هذا المنوال، وهكذا يصنع جملة أدوار، فانظر كيف شملت الرحمة ما خلق وما لم يخلق، فإن ذلك الطعام المخزون فى السرداب رحمة ألهمها ذلك الحيوان من الحشرات لولده الذى سيخلق».

وتحت عنوان «الشريعة الإسلامية والنظر فى الآفاق وفى الأنفس»، يذهب طنطاوى جوهرى إلى أنه قد تبين أن الحمد والعبادة مختصان بالله، والقرآن طافح بهذه المعانى، وقد ظهرت آثاره فى أقوال السلف الصالح، وهكذا كانت أفعالهم وبالشريعة من الحدود والأحكام والبيع والقرض والميراث وأحكام القضاء، التى تقوم مقام الجنايات والجنح والمخالفات، بل هى أفضل منها فى كتب الفقه، حكموا الأمم وعدلوا، فملكوا شرقًا وغربًا، هذا كله بالشريعة، وهى الأحكام الشرعية المعروفة التى تدرس فى بلاد الإسلام وآياتها محدودات.

يسير طنطاوى فى الاتجاه الذى حدده لنفسه، فيثبت أن آيات العلوم الكونية فى القرآن الكريم تبلغ نحو ٧٥٠ آية، كلها فى عجائب هذا الكون ومنافعه وغرائبه، ثم يقول: «الذى أراه أن المسلمين فى مستقبل الزمان سيقومون هذه الآيات، ويعرفون هذه العجائب، وكما أن الذين قبلنا درسوا الشريعة وأحكموها وحكموا الأمم بها، ثم زالت دولتهم، فهكذا سيكون فى هذه الأمة من يرون الكون خلق الله وآياته وعجائبه وحكمه، وقد ذكرها الله فى كتابه أكثر مما ذكر من الأحكام الشرعية، والعناية الإلهية توجهت إليها أكثر من توجهها إلى أحكام الفقه، فيدرسون علوم الهيئة والفلك والحساب والهندسة وعلم المعدن والنبات والحيوان وسائر علوم الدنيا، ويرون أن ذلك من الدين، فيكون علم الدين على قسمين حينئذ: العلم الأول علم الآفاق والأنفس، أى معرفة العوالم العلوية والسفلية المشروحة فى هذا التفسير، والعلم الثانى علم الشريعة فنرى العالم الدينى شارحًا النبات والحيوان والآخر مدير المعمل الكيماوى، وهذا من قوله تعالى: «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد».

يأخذ طنطاوى جوهرى من قوله تعالى «الحمد لله رب العالمين» دليل على أن هناك عالمًا علويًا وعالمًا سفليًا، والله ربهما والمسلمون خلفاؤه فى الأرض بالقضاء والعدل بين الناس، وبالبحث ومعرفة العوالم، فكما برع آباؤنا فى القضاء، والحكم بين الناس فلنقم نحن بذلك وندرس علوم العوالم كلها باعتبار أن ديننا يأمرنا به، وإلا فما الفرق بين «قل انظروا ماذا فى السموات والأرض» وبين قوله «فاستقم كما أمرت» كلاهما أمر، والأمر للوجوب، فإذا نحن قرأنا الأحكام الشرعية وقضينا بها فلنقرأ العجائب الكونية ولنعمل بها فنرقى الزراعة والصناعة والتجارة.

> دراسة العلوم الكونية تسهم فى توحيد المسلمين وتجعلهم على قلب رجل واحد

9 كيف ينقذ تفسير الجواهر المسلمين من الخلاف والفرقة؟

يلح طنطاوى جوهرى على فكرته لا يتركها تفلت من بين يديه، فهو يدفع المسلمين دفعًا إلى دراسة العلوم الكونية التى هى السبيل إلى الرقى والتحضر.

فعلى جناح تفسيره يدعو جميع أمم الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها أن يمعنوا النظر فيما يقول، وإلا كيف يقول الله تعالى «ليظهره على الدين كله»، وكيف يظهر على الأديان إلا بهذه المزية، وهى أن الديانات لا تتعرض لعلوم الكائنات، والإسلام يدعو إليها ويأمر بها، وهذه خاصة به لا يشاركه فيها دين من الأديان. وينذر طنطاوى جوهرى من لا يستجيب لما ينصح به، فيقول: فمن تكاسل من المسلمين عن هذه العلوم فلا يلومن إلا نفسه «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له».

ولأن دراسة العلوم الكونية بالنسبة لطنطاوى جوهرى ليست هدفًا فى حد ذاتها، فهى إلى جانب مساهمتها الأكيدة فى تقدم المسلمين، والتأكيد على أن دينهم هو الدين الشامل، فإن دراسة هذه العلوم تسهم فى توحيد المسلمين وتجعلهم على قلب رجل واحد؟

وإذا سألت وكيف يحدث ذلك؟

ستجد طنطاوى جوهرى يجيبك بقوله: إن أرباب المذاهب من شيعة وسنية ومالكية وحنابلة وحنفية وشافعية وزيدية، كان اختلافهم فى مسائل من الشريعة المطهرة، فإذا قرأوا علوم الآفاق التى أرشد إليها القرآن لم يكن بينهم اختلاف فيها، لأنها مكشوفة ظاهرة، والله هو الذى منحهم إياها، فليقرأ المسلمون فى الشرق والغرب جميع العلوم التى برع فيها الإفرنج، وهى علوم الأنفس والآفاق وإذ ذاك يرون أن الخلاف بينهم فى الشريعة يسير جدًا بالنسبة لما اتفقوا فيه.

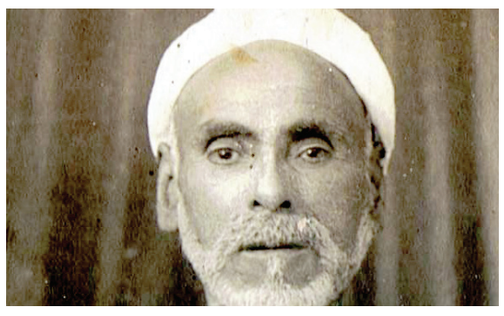

10 لماذا هجر المسلمون تفسير «الجواهر»؟

> هذا العالم الكبير وآثاره المهمة تبدو الآن عندنا منسية مهملة ولا تعرف الأجيال الجديدة عنها شيئًا

إذا كان تفسير الجواهر على هذه الدرجة من الأهمية، فلماذا لا يحظى بالاهتمام المطلوب؟ ولماذا لا يحظ بالشهرة التى تليق به؟

يمكننا أن نسلك الطريق السهل، ونقول إنه تفسير صعب، اختار له صاحبه قارئه، لكن الواقع يقول إن ما حدث يفوق هذا التفسير البسيط.

من بين ما قاله رجاء النقاش عما جرى لتفسير «الجواهر»: هذا العالم الكبير وآثاره المهمة تبدو الآن عندنا منسية مهملة، ولا تعرف الأجيال الجديدة عنها شيئا، وكتبه لا يعاد طبعها باستثناء تفسير «الجواهر» الذى استولى عليه بعض الناشرين اللبنانيين حيث يقومون بطبعه وتوزيعه فى شتى أنحاء العالم الإسلامى.

يضع رجاء النقاش أيدينا على علة هجراننا لطنطاوى جوهرى وأفكاره، يقول: كان فكره لو أتيح له من يعيد نشره والاهتمام به، كفيلًا بأن يكون قوة كبيرة فى مواجهة الظواهر التى تزعجنا الآن فى مصر، وبعض أنحاء العالم الإسلامى، ومن هذه الظواهر: التعصب والتطرف والانحراف بالفهم الدينى إلى أفكار وآراء لم يدع إليها الإسلام فى يوم من الأيام، مثل الدعوة إلى محاربة الفن ومظاهر الحضارة الحديثة بناء على فهم خاطئ للإسلام ومعرفة ناقصة بأصوله ومبادئه.

ولأن الليلة لا تزال مثل البارحة، فإن من يغذون جذور التطرف والإرهاب فى قومنا يحجبون عنا تفسير الجواهر، فهل آن الأوان أن نعيد إليه الاعتبار، ونجعله من بين مراجعنا المهمة، بدلا من التفاسير المتهافتة للقرآن الكريم؟.. أتمنى ذلك.

أديب القضاة

مذكرات المستشار بهاء المرى فى «المحاكم»

يعد المستشار بهاء المرى واحدًا من القضاة المعروفين بثقافته ولاباقته السردية على منصة محكمة الجنايات، وله من مقدمات النطق بالأحكام، الكثير من البلاغة فى السرد والإلقاء، منها الحكم على قاتل نيرة أشرف، هذه القضية الق تابعها الرأى العام بكل تفاصيها على مدار أسابيع وقت ارتكاب الجريمة. يصدر للمستشار بهاء المرى، فى الأيام القليلة المقبلة، كتاب جديد باسم «يوميات قاضٍ.. حكايات من محاكم الجنايات» صادر عن دار الأهرام للإصدارات القانونية. بدأ «المرى» فى مقدمة كتابه بتخليص وجيز عن أحداث ووقائع عاشها كقاضٍ، وسرد حكايات من الواقع لم يُخامرها خيال، حدثت بالفعل، ثم أتت بحلوها ومُرها وشخوصها لتستقر أمامه على منصات محاكم الجنايات فى عدد من بقاع مصر، من بين آلاف أوراق متكدسة لقضايا متنوعة. يقول «المرى»: «هذه الحكايات نظرتها حينًا بعين إنسان يَرقب إنسانًا من خلال أحداث جسام وضعته لسبب أو لآخر فى براثن الاتهام، وحينًا آخر بعين قاضٍ يُطبق القانون بحرفية تطبيقه، ثم بعين الرحمة وإعمال مقتضاها فى أحيان أخرى، ودائمًا بعين القانون الزاجر متى كان المجرم عاتيًا فى إجرامه، ولم أهدف من حكايتها إيضاح جُرم، أو ترويع مشاعر قارئ، ولا التهوين من فعل إذا ما توافرت له مُوجبات استعمال الرأفة مع مُجرم هو فى النهاية إنسان». وأضاف: «إنَّما كانت غايتى التأمل فى فِعال البَشر، سواء ما فعلوه بأنفسهم أولًا، أم ما فعلوه بغيرهم وذويهم ثانيًا، جراء ما ألمَّ بهم، وأخيرًا فى مجتمعهم الذى يعيشون فيه، وُصولًا إلى تَدبُّر يأخذ بأيدينا إلى الطريق الصَّواب، وتنبيه إلى أنَّ أشجار الشرِّ لا يَجنى زارعُها- أبدًا- إلَّا ثمار الندم، ثم إجمالًا دَق نواقيس الخطر». وشمل الكتاب تقديمًا للأستاذ الدكتور السعيد الورقى، أستاذ الأدب الحديث والنقد، بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، قال فيها: «أحال المستشار بهاء المرى الواقع فنًّا مُستخدمًا صيغًا سردية أكثر تطورًا فى الفهم والإحساس والتذوق عن حكيه السابق، فقد اتسعَت الرؤية لتتجاوز حُدود سَرد الواقع كما هو إلى تحويل الواقع المسرود إلى واقع فَنِّى، مع الاحتفاظ بملامح وقائع الواقع المسرود، ساعَده فى هذا وغلَّبه مطاوعة أدوات السَّرد وحرفية الصَّنعة لإحساس الكاتب، وقد أصبح أكثر تمرُّسًا بأدواته، وأكثر إحساسًا بلغته السَّردية وتملكه الأكثر قدرة لجماليات الأداء السَّردى، وأكثر وعيًا للمضمون المُختار وأبعاده الاجتماعية والأخلاقية والفكرية الفلسفية والنفسية، وعلاقة كل هذا بقضايا الواقع وقضايا الفرد وقضايا الإنسان والعلاقة الجدلية بينهما، كما أصبح الكاتب هنا أكثر قُدرة واحترافية مع إدارة مفردات البناء السَّردى والبناء داخل بنية تَعدُّد الضمائر، والسَّرد داخل السَّرد، وحُسن استخدام «تكنيك» الوعى بأكثر من مستوى أدائى. وأضاف أن «حكايات من محاكم الجنايات»، أو عندما يُعيد الفنان حَكى الواقع سَرد قَصصى فنِّى مُبدع، فيه الواقع، وفيه الحياة وفيه الفن، استمتعتُ بقراءته، ولا شك فى أنَّ القارئ سَيجد فيه فنًّا سرديًّا جميلًا، وسيجد فيه مُتعة الإفادة ومُتعة الإحساس وسِحر الحكى.

عماد سليمان

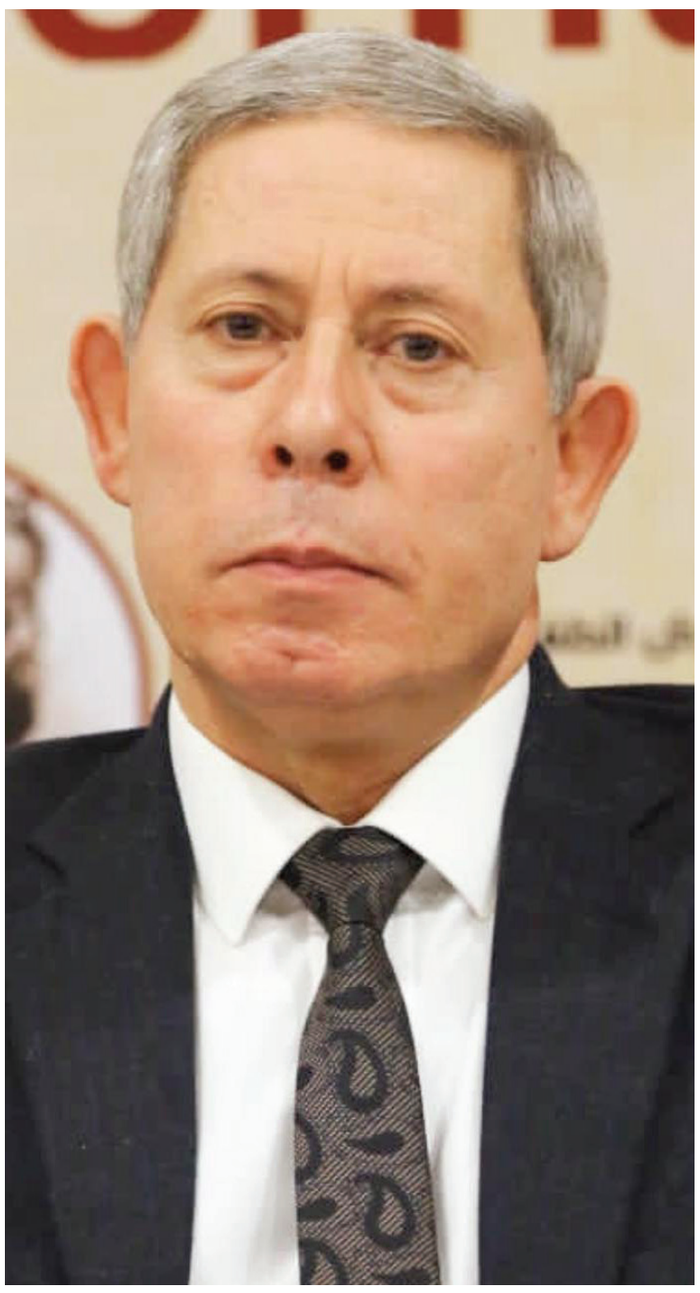

C.V

المستشار بهاء المرى

تَخرَّج فى كلية الحقوق جامعة الإسكندرية فى العام ١٩٨٤م، وهو عُضو اتحاد كُتَّاب مصر، ونادى القصة بالقاهرة، عمِلَ وكيلًا للنائب العام فى أرياف مصر فى منتصف الثمانينيات؛ مُعاونًا للنيابة العامة فى نيابة منوف، ثم مديرًا لها حتى عمل فى القضاء، ثم قاضيًا بمحكمة الإسكندرية الابتدائية، فرئيسًا لنيابة الدخيلة وغرب الإسكندرية الكلية، وكفر الشيخ الكلية، ثم مستشارًا، فرئيسًا فى محاكم جنايات: بنى سويف- طنطا- العريش- الإسكندرية - الإسكندرية الاقتصادية- بورسعيد الاقتصادية- كفر الشيخ- والمنصورة، وانتدب لتدريس التدريبات العملية بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية ٢٠٠٥ - ٢٠١٩.

كتب للمؤلف

كتب قانونية، منها، مقدمة فى التشريعات الفندقية، «دُرِّسَت لكلية الفَندقة البحرية بالأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا»، وحكام المنشآت الفندقية والسياحية وأهم الأنشطة والعقود المتعلقة به، وقانون العقوبات معلقًا عليه بالفقه وأحكام النقض، وموسوعة جرائم المخدرات «أربع مجلدات»، والدفاع والدفوع فى الدعوى المدنية واستئنافها «أربع مجلدات»، والجنايات والجنح الاقتصادية الشائعة، وجرائم المحمول والإنترنت، وإجراءات المحاكمة الجنائية وإدارة الجلسات، وشرح جرائم الإرهاب، وشرح جرائم الإرهاب.

وصدرت له كتب أدبية: يوميات وكيل نيابة، يوميات قاض، وبرجولا، ولحظة انهيار، وحكايات قضائية، والحب بعد المداولة، وفيض الخاطر، ومن المشرحة، وأنا خير منه، وحيرة أمل.

وصدرت له كتب تاريخية وقضائية، هى القتل باسم الوطن والدين، وإرهاب الجماعة.. صفحات من سجلات القضاء وشهود من أهلها، ودنشواى.. أصل الحكاية والجلاد، والقضاء فى الإسلام.. دراسة تطبيقية، وأيضًا له كتب اجتماعية، منها هراء الرأى العام بين نيرة أشرف وصفية السادات.

1
ثلاثون قصة قصيرة

تحتوى مجموعة «يوميات قاض.. حكايات من محاكم الجنايات» للمستشار بهاء المرى على ثلاثين قصة قصيرة، ما يشير إلى اكتناز واضح وتكثيف شديد، وقد نهضت هذه المجموعة القصصية بتكريس حضور سمات الأدب القضائى، الذى يعد المستشار بهاء المرى من أشهر كُتابه فى اللحظة الراهنة، إن لم يكن أشهرهم على الإطلاق.

ومن هنا، فإن القارئ سيجد فى هذه القصص ثلاثين قضية مختلفة، هذه القضايا منتزعة مما حدث فى الواقع المصرى المعاصر، وكان المستشار بهاء المرى شاهدًا عليها نظرًا لطبيعة عمله قاضيًا.

والملاحظ أن هذه القصص القصيرة المنتزعة من الواقع شديدة الإدهاش للقارئ، لدرجة يظن القارئ معها استحالة حدوث بعضها، بسبب غرابتها الشديدة، وحالة اللدد فى الخصومة، وهنا تظهر مقولة «الواقع أغرب من الخيال» بوضوح شديد.

ولذا فإن المكان المهيمن على هذه المجموعة هو ساحة المحكمة، ما تمثله من ملامح خاصة، فهى مكان له جدران عالية، لا يمتلكه شخص معين، وإنما هو ملك للدولة، يرتبط بفكرة العدالة، وتوقيع العقاب على المجرمين، ومنح البراءة للأبرياء، وينماز بهيبة شديدة وقدسية خاصة، ومثل هذا المكان يجذب بطبيعة الحال سياقات سردية تناسبه، على نحو ما نجد من حضور واضح لشخصيات لها ارتباط به مثل: القضاة والمستشارين والمتهمين وذويهم والمحامين، وغيرهم، ويفرض احترامًا معينًا على الموجودين فيه، من خلال التزام الآداب العامة فى القول والفعل.

وعلى الرغم من أن المحكمة هى المكان المحورى فى هذه المجموعة، فإن الأماكن الأخرى حققت حضورًا قويًا من خلال عملية الارتداد لإلقاء الضوء على مكان حدوث الجريمة، وما يتسم به من ملامح.

وقد ظهرت الجريمة بملامح متنوعة فى هذه المجموعة «يوميات قاض» للمستشار بهاء المرى، ولكن تغلب عليها جرائم القتل البشع؛ لأسباب مختلفة، يراها القارئ واهية، لا تستحق هذا القتل المدوى، وأشد شطحات الخيال غرابة تقف عاجزة أمام غرابة ما حدث فى بعض القصص.

فقد كانت هذه المجموعة القصصية مَعرضًا حافلًا لجرائم من محكمة الجنايات تشيب الرءوس من هولها، وهى تميط اللثام عن صورة من الواقع الذى ربما لا يدور بخلد أشد المتشائمين فى نظرتهم للحياة، وقد استطاعت ريشة المستشار بهاء المرى أن تأخذنا إلى عالم هذه القصص-القضايا- بحرفية الفنان، من خلال تقنيات سردية جعلتنا فى قلب أحداثها.

ولا شك أن القارئ بعد قراءته هذه المجموعة لن يكون بتاتًا هو القارئ قبل قراءته لها؛ لأنه سيعود من قراءتها وهو أكثر حكمة وأشد رزانة، ولكنه أبدًا لن يفارقه حزن على ما أبصرته عيناه فى عالم هذه المجموعة.

2
على هامِش قصاص

سرد «المرى» ضمن يومياته إحدى القضايا التى عنونها «على هامِش قصاص»، وصف فيها الزوجة المتهمة بأنها وجدَت فى قريب زوجها ضالَّتها، الأنيس والجليس فى أجواءٍ أوشكَتْ فيها عُرَى الزوجية على الانفصام، فالظروفُ مُهيأة لاستمرار العلاقة الآثمة، زوجٌ يَقضِى يَومَهُ خارج بَيتِه سَعيًا على قُوتِه وقُوت أولاده، وزوجة غَيَّبت نفسها عنه، ونَسَجَت لنفسها الأعذار، وعَشيقٌ عاطلٌ بلا عَمَل.

تَنمُو سَريعًا مَشاعر الخيانة، تترعرع ويَصير البَيتُ فى غياب صاحبه مَرتعًا للرذيلة، لم يَقنَعا بما تَحقَّق، فقد كان الزَّوجُ عَقبةً كَئودًا فى طريقهما، ولا بُدَّ من قَتله، شهرٌ كاملٌ يُفكِّران: نقتُلهُ بالسُّم؟ لا؛ إنَّ السُّمَّ سَيترك أثرًا، يَصدمه العَشيقُ بسيارة؟ لا، لا؛ قد يَراه الناس فى الطريق، وهم يعلمون أنه من أقاربه، ففى لحظةٍ وهى تُشاهد التلفاز تَنفرج أسارير وجهها، تَبتَسم ابتسامة مُنتصر، تمسك بهاتفها النقال، تَستدعيه فورًا للحضور، يأتى على عَجَل، قالت: وَجَدتُها: «فوطةٌ مُبلَّلة» كما رأيتُ فى فيلم «ريَّا وسكينة».

تَرُوقُ للعَشيق الفكرة، تَحِين منه ابتسامة ونَظرة خَبيثة، يَسألها متى سَيعُود، تَفهم المَغزَى، تَبتسم بمثل الخُبث نفسه، تُغادره دون إجابة، تَعُودُ بعد دقائق كعروس ليلةَ زفافها، يَهُبُّ واقفًا فاتحًا أحضانه يُطَوِّقها بذراعيه، يُمارسانِ الرَّذيلة حتى يَعود الزوج.

يدُقُّ الضَّحية جرس الباب، يهرع العَشيق إلى دولاب الملابس فى غرفة النوم، تفتح الباب وهى بكامل زينتها السابقة، يَفرُك الزوج عينيه، يسألها مُستغربًا مُتهكمًا: مَن أنتِ؟ تضحك بخُبث، تُداعبه، تُلاطفه، يَشتهيها كزوجة، يقضى منها وطَرًا، يَغلبه النُّعاس، تَستدعى العَشيق من الدولاب- كالخطة المرسومة- عَبْرِ «رَنَّة» على هاتفه النقَّال، يخرج بالفوطة المُبلَّلة، يَعتليان السرير، يُجهزان على الزوج، يُقاوم، تُمسِك بخصيَتيه بقوة، تَشل حركته، يَكتُمان بالفوطة المبلَّلة أنفاسه، تَصعَد الروح إلى بارئها.

يلتقطان أنفاسهما، تَنظر فى عينيه، يُبادلها النظرة الماكرة، تُطوِّقه بذراعيها، تَتحرَّك رغبتهما من جديد، يُغادران إلى حُجرة أخرى، يُمارسانِ الرذيلة قبل أن ينصرف.

يَشيعُ النبأ فى الصباح، تبدُل الشرطة جهودها، يَعترفان فى تحقيقات النيابة العامة، يُحالان للمحاكمة، يَحتل المُحامون الصفوف الثلاثة الأولى، تشغل باقى الصفوف بالأهالى والصَّحفيين، تلتصق أجساد الحُضور بعضها بعضًا، تُخيِّم على الأجواء حرارة الأنفاس، يُخفِّف الحاجب حِدتها بتشغيل مَراوح السقف فى عِزِّ الشتاء.

ينتصبان فى قفص الاتهام، يَسألهما القاضى؛ فيعترفان، قتلناه لنَتزوج، تبدأ الإجراءات، يَنبرى أحد المحامين الكبار للدفاع عنهما، يَطلب منه القاضى المرافعة، يَتَململ، يَستأجل للاستعداد، يرفض القاضى الأجل: «المتهمان مُعترفان، ناقش اعترافهما يا أستاذ» يرفض، يَسُوق حِججًا أخرى، يرفض القاضى الحِجج، يدفع المحامى بجنون العَشيقَين، يُثبَت الدَّفع فى محضر الجلسة، ويُصر القاضى على المرافعة.

يَستشعر الحاضرون مَغزَى ما يَحدث، تَسرى فى القاعة هَمهمة رافضة، تَنبعث أصوات مَكتومة تُعرب عن ضَجَر، يَدُق القاضى المنصة بمؤخرة قلمه الرصاص، يَعود الصَّمتُ إلى القاعة.

يَصمُت المحامى، ينظر إليه القاضى مُحدِّقًا للحظات، تمرُّ اللحظات رتيبة، أعين الناس مُصوَّبة كالشَّرر إلى الأستاذ، يبدو الحنق على الوجوه، القاضى يُكرِّر الطلب، يَتفتق ذهن الأستاذ عن حيلة جديدة: ضَم حرز الملابس الداخلية للمتهمة، يُبدِّد القاضى مَأربه، يُثبت فى محضر الجلسة طرْحه للحرز كدليل ثبوت، يَحتدُّ المحامى، يُهدِّئهُ القاضى، يُعيد تَوجيهه إلى الموضوعية، يُصمِّم المحامى على المراوغة، تعود الهمهمة، تنقلبُ إلى زَمجرة مكتومة، يَدُق القاضى فى هذه المرَّة على المنصة بيده، يعود الصمت، لا يَمتثل المحامى، يُجادل من جديد، يَرفع القاضى الجلسة، يدخل القضاة غرفة المداولة، يَتبعهم أمين السِّر، يُبلغهم أنَّ الأستاذ طريح الأرض، يَضربه الأهالى!

3
حكاية بعنوان «هوس»

حكاية أخرى سردها المستشار «المرى»، عن جماعة الإخوان الإرهابية، وكيف أنهم مبرمجون على الهتاف ضد النظام، سواء قضاياهم حكم عليهم فيها بأحكام، أو براءات.

وصف المرى هذه المحاكمة بـ«جراساتٌ مُشدِّدة»، وزحامٌ فى القاعة والقفص، كانوا خمسةَ عشر مُتهمًا، والتهمة: انضمامٌ إلى جماعة إرهابية واستخدام العُنف، أعطوا ظُهورَهم للمَحكمة، راحوا يتفاكهون عامدين ليُحدثوا جَلبة، أسكتهم تحذير القاضى لهم، بأن يسكتوا وإلا أخرَجهم من القاعة.

عددٌ يُجاوز العشرين من جَهابذة المُحامين، مُرافعاتٌ ساخنة امتدت لعدة ساعات، رَفَعَ القاضى بعدها الجلسة، عدَّة ساعات أخرى وانتهت المداولة، وخَلت الأوراقُ من دليل إلا من التحريات، وهى وحدها لا تصلح دليلًا إلا إذا عَضَّدت أدلة أخرى، وجَهَّزَ الحاجب القاعة للنُّطق بالأحكام، لحظات وصاح: محكمة، نَطَقَ القاضى: براءة، وهلَّلوا، وكبروا، وأخذوا يرددون ضد النظام.

4
حتى لا يناله أحدٌ

فى حديث تليفونى أجريته مع المستشار المرى، وأنا أجهز لهذا التقرير عن الكتاب، حدثته عن أبرز القضايا التى يراها الأكثر بشاعة، لكنه قال كل الحكايات لها قصة وحكاية لو دخلت فى المجال الدرامى لم يأت فى خاطر المؤلف ما تم ارتكابه من أحداث، لكنه أشار إلى هذه القضية التى عنونها «حتى لا يناله أحد» والمتهمة فيها أم بقتل ابنها لأنها كانت مَجنونةٌ به، هو كلُّ شَىءٍ فى حياتها، حتى بعد أن تَخرج فى الجامعة، والتحقَ بوظيفة منذ ثمانى سنوات، وكأنَّه لا يَزال ابن العام الواحد حين ماتَ والده منذ ثلاثين عامًا، تُرافقه فى ذَهابه وإيابه، تنتظره أمام محل عَمَله، تخرج معه حتى فى لقاءاتِ أصدقائه، لا تنام إلا وهو فى حضنها.

قال «المرى» أبت على نفسها إلا أن تهبها إياه، رفضت الزواج ممن تقدموا لها من أزواج أرامل أو مطلقين، واصلت الكفاح ليل نهار حتى جعلت منه هذا المهندس الناجح، وتَحرَّكت مَشاعره نحو إحدى زميلاته، حدَّثها فى أمر زواجه منها، لم تَهتم، بَحَث عن غيرها، فلم تُوافقه، فوَّضَها فى أن تختارَ له، فما اكترثت، أعادَ عليها الطَلَب، أمْهَلَتهُ دون رَد، ألمَحَ إلى إحدى قريباتها، قالت: إنها لا تُحبها، يَسألها: لماذا ترفض؟ تقول: ماذا يَنقصك؟ حاولَ إفهامها، فأغلقَتْ عينيها، وصَمَّت أذنيها، ونَحَّت عَقلها.

لم يجد بُدًا من المُواجهة: أمَّاه قرَّرتُ الزواج، ولا أجد مُسوِّغًا لرفضِك، ولا أريد فِعل شىء إلا وأنتِ راضية، تزَمْجَرَتْ، كادت تفقد عَقلها، التزمَت الصَّمت، وأخذت تتحاشاه حتى لا يُحدِّثها، فعاد ليَطرح الأمر مَرات ومَرات، قالت: لن يَحدُث ما دُمتُ حَيَّة، لن تأخذكَ مِنِّى واحدة، يُطمئنها، تَصُمُّ أذنيها.

يَنصحهُ أحدهم بأن يُفاجئها، لن يُجدى معها إلا سياسة الأمر الواقع والمباغتة، أمَّاه خَطبتُ زميلتى ولَسوفَ تُعجبك، تُغادره قبل أن يُكمل، تُغلق عليها حُجرتها، وتُقاطعه عدة أيام، وحاول مرارًا أن يَسترضيها فلم تُعطه فرصة، طمأنَهُ أحدهم إلى أنها الغَيرة المُفرطَةُ عليه، وسوف تتأقلم مع الوضع الجديد رُويدًا رُويدًا.

يبدأ الشاب فى تَجهيز شَقَّته، يُبلغها لعلَّها تَرجع، تتَّسع عيناها إلى حَدِّ الجُحُوظ، تَقومُ من أمامه إلى غُرفتها، تَسيرُ وكأنها مُتخشِّبة، خَاف من نَظراتها، أوَى إلى حُجرته يدعو ربَّه أن يَهدى حالها.

جَنَّ الليلُ- فى هذا اليوم- جُنونه، تَزَيَّنَت، ارتدت ملابسَ فاضحة، اقتحمَت عليه حُجرته، فاجَأته: سأُعطيكَ ما تَبحث عنهُ، خذهُ الآن فورًا، سأمنحكَ إياه كل ليلة، بل كلما تريد.

لم يُصدِّق الابنُ عينيه، يُكذبُ سَمْعَه، ينهض من سَريره مذعورًا، تتسع عيناه، يُحدثُ نفسه: يا إلهى، إنها لوثة عقلية، يُحاول تهدئتها، تحتضنه، تنهالُ عليه تقبيلًا، يدفعها، تَقترب، يَتملَّص منها، تُحكِم عليه قبضتها، تُوالى ما تَفعَل، تَستمر، تَنهار مُقاومته، يَضعف، يصيران كزوجين.

شَهران.. ثلاثة.. يُعود إلى رُشده، يَشعر بندم فادح، يكرَه نفسه، يَرفض العلاقة، تُصمِّم، يَمتنع، تُصرُّ، قال: لن أعودَ ولو كان الجزاء قَتلى.. سأتزوج.

تتركه، تقف مُتصلِّبة، تَسيرُ ببطء إلى غرفتها، تجلس على حافَّة السَّرير بمَلابسها الداخلية، ينبلج الصباح، تتوجَّه إلى حَظيرة الماشية، تفتح علبة سُمِّ آفات القطن «لانيت»، تأخذ منها مِلعقة، تضع الملعقة فى كوب اللبن، تُعِدُّ له الإفطار كالمعتاد، تُقدِّم له اللبن، يُنقل إلى المُستشفى، تَصعد الروح إلى بارئها، يُقبَض عليها، تعترف، تحال إلى المحاكمة، يسألها القاضى: لماذا؟!، تقول: حتى لا يَناله أحد!

> المرى: غايتى التأمل فى فِعال البَشر، سواء ما فعلوه بأنفسهم أولًا أم ما فعلوه بغيرهم وذويهم ثانيًا

عن الذى جرى لـ«كلمتى للتاريخ» بين السجين والطريد

مصطفى أمين يُزوِّر مذكرات محمد نجيب للهجوم على عبدالناصر

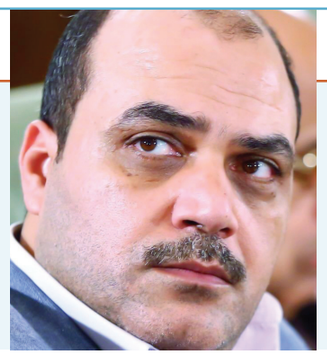

محمد الباز

فى العام 1971 أطلق الرئيس السادات سراح الرئيس محمد نجيب الذى ظل تحت الإقامة الجبرية منذ العام 1954 فى فيلا زينب الوكيل.

قبل ذلك لم يكن متاحًا لنجيب أن يتصل بأحد، أو يتواصل معه أحد، للدرجة التى كان يغسل فيها ملابسه بنفسه، ويجهز طعامه بنفسه، ويطعم قططه بنفسه.

فى الغالب لم يطلق السادات سراح نجيب لأسباب إنسانية، وهذا تحليلى الخاص، كان يعده ليكون جنديًا فى المعركة الكبيرة التى قرر أن ينال فيها من عبدالناصر، دون أن يتورط بشكل مباشر فى ذلك، ففى الوقت الذى أعلن فيه عن أنه يسير على طريق عبدالناصر... كان يتسامح بقصد مع مَن يصنعون الحفر والمطبات فى هذا الطريق.

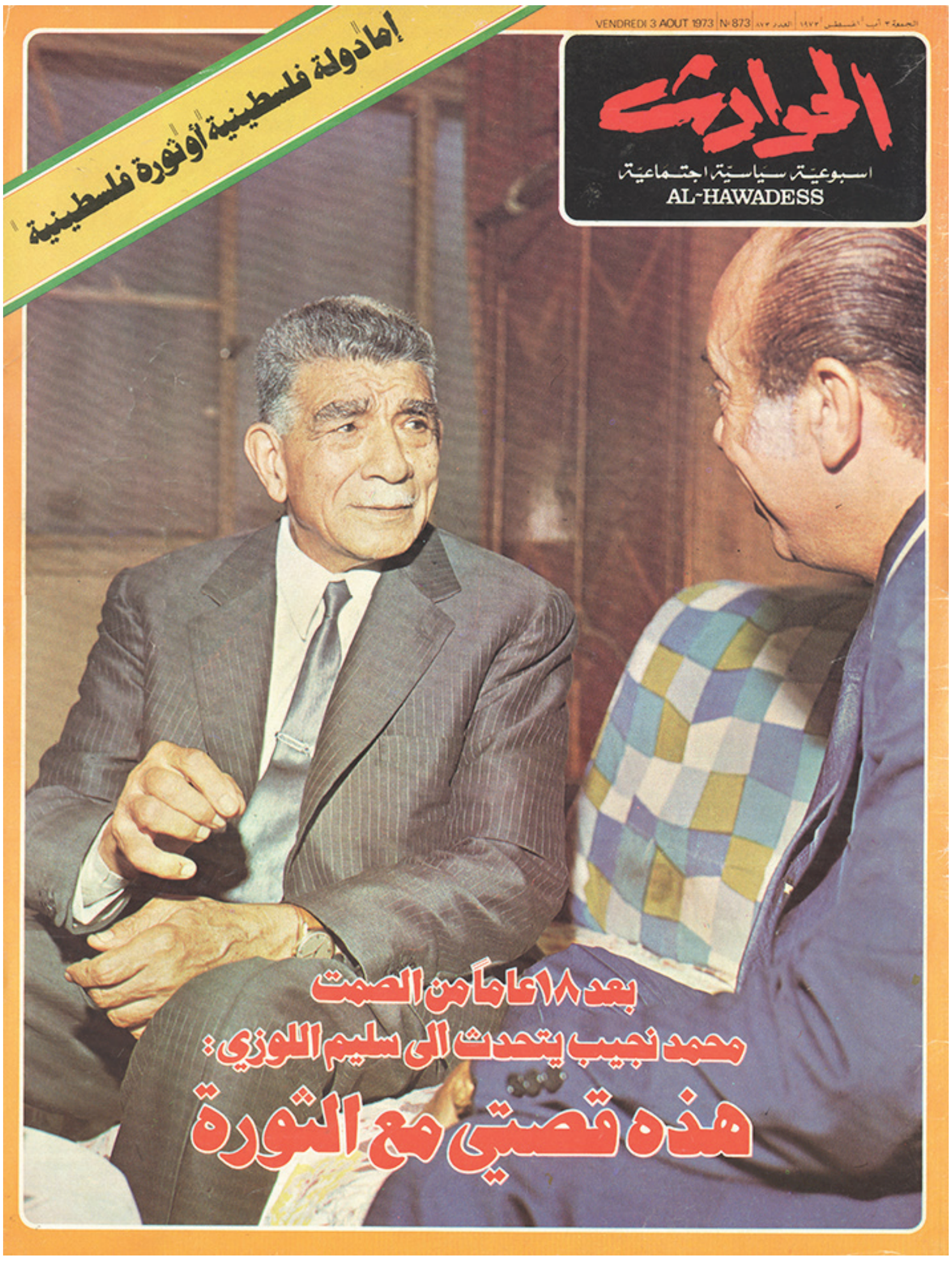

فى بدايات العام ١٩٧٤ صدرت مذكرات محمد نجيب للمرة الأولى واختار لها عنوان «كلمتى للتاريخ».

هناك من يشير إلى أن هذه لم تكن النسخة الأولى من مذكرات محمد نجيب، فقد صدرت نسختها الأولى فى العام ١٩٥٥ وكان عنوانها «مصير مصر»، وهو الكتاب الذى يرجح البعض أن الصحفى الإنجليزى «لى وايت» هو الذى حرره ونشره فى الولايات المتحدة وبريطانيا، وتمت ترجمته إلى اللغة العربية فى نفس العام.

ينفى محمد نجيب ذلك، ويؤكد أن كتاب «مصير مصر» لم يكن مذكراته، وكل ما جرى أن «وايت» كان قد قابله أثناء فترة رئاسته، وسجل معه بعض الأحداث فى حدود المسموح به، وقد طبع هذا الكتاب، وهو قيد الإقامة الجبرية، ولم يتسنّ له مراجعته أو الاطلاع عليه قبل النشر.

يمكننا أن نعتبر «كلمتى للتاريخ» أول مذكرات لمحمد نجيب كتبها بنفسه.

صدَّر نجيب كلمته للتاريخ بالآية الكريمة «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يُطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا».

وقدم لها بقوله: «قررت أن أترك نفسى على سجيتها حتى تتداعى الأفكار، وأسجل كل ما عشته من أحداث، مؤمنًا بأن من بين أبناء شعبنا من قدّم لوطنه تضحيات جليلة بلغت حد البطولة النادرة، وفقدوا حياتهم فى صمت، دون أن يسلط عليهم الضوء، وإذا كانت الظروف تتيح لى اليوم فرصة مخاطبة الجماهير، فإنى أرجو أن يكون هذا حافزًا للعلماء والمفكرين والكتاب لمراجعة تاريخ الشعب المصرى».

اختار نجيب مجلة الحوادث اللبنانية لنشرها قبل أن تنشر فى كتاب مستقل، ولهذه المذكرات قصة أعتقد أنها تستحق أن تروى، وقد جاء الجانب الأكبر منها فى العدد رقم ٨٧٣ الصادر فى ٣ أغسطس ١٩٧٣، أى قبل حرب أكتوبر بما يقرب من شهرين.

أرسل محمد نجيب المذكرات إلى سليم اللوزى، رئيس تحرير «الحوادث اللبنانية» الذى راجعها بنفسه، وجاء إلى القاهرة فى يوليو ١٩٧٣ ليجرى حوارًا موسعًا مع محمد نجيب تمهيدًا لنشر المذكرات، ولمناقشته فى بعض ما جاء فيها من أحداث وآراء.

فى هذا الحوار يتحدث محمد نجيب عن دوافعه لكتابة مذكراته بقوله: «لقد تجاوزت السبعين من العمر، ولم تعد هناك مظنة فى أننى أطمع فى أدوار، ولكنى كنت طرفًا فى أحداث لا تعنينى وحدى، بل تعنى مصر والأمة العربية كلها، وكثيرون تصدوا لكتابة أحداث تلك الفترة، بعضهم لم ينصف الحقيقة، ولا كان بوسعه أن يفعل، فهل كان من الطبيعى أن أمتنع أنا عن تسجيل ما أعتقد أنه الحقيقة؟».

ويجيب محمد نجيب عن سؤال: لماذا يكتب الآن؟

يقول: «لقد بقيت ١٨ عامًا مقيد الحرية، لا أستطيع إبداء رأى فضلًا عن إعلانه، لذلك عندما رُدت إلىّ حريتى رأيت أن أسجل الأحداث التى عاصرتها خلال السنتين والأربعة أشهر، عندما قمنا بحركة ٢٣ يوليو وتوليت فيها المسئولية، فأنا لا أبدى رأيًا فى عهد غير عهدى ولا أتعرض لواقعة لم أشهدها، إنها مجرد ملاحظات لشاهد عيان، وهل يمكن أن تكشف حقائق التاريخ إلا من خلال رواية شهود عيان؟».

بعد نشر الحوار بدأت «الحوادث اللبنانية» فى نشر المذكرات كما كتبها محمد نجيب، وبدأ الحديث يتسرب إلى مصر عن الوقائع التى يدين فيها الجميع، ومن بينهم عبدالناصر وهيكل ومصطفى أمين.

كان عبدالناصر قد مات، ولا يستطيع ردًا ولا صدًا لما كتبه عنه نجيب.

أما هيكل فكان لا يزال يتمتع بنفوذه كاملًا فى الأهرام، فاستخدم سلطاته كاملة فى منع دخول «الحوادث اللبنانية» إلى مصر، وتم له ذلك من خلال التدخل لدى «الرقابة» التى منعت أعداد المجلة التى نشرت حلقات المذكرات من الدخول إلى القاهرة، وإن كان لم يستطع أن يمنع دخول الكتاب نفسه، فقد سمحت الرقابة بدخول ما يقرب من ألف نسخة إلى الأسواق المصرية، فرغم نفوذ هيكل فإنه كان قد دخل خريفه بعد الخلافات الظاهرية مع الرئيس السادات، وبدأ مضمون مذكرات نجيب يتسرب عبر جلسات الصحفيين والسياسيين والمثقفين المصريين.

وفى هذا الوقت كان مصطفى أمين لا يزال سجينًا بتهمة الجاسوسية لصالح الأمريكان.

لم يتحمس سليم اللوزى لنشر مذكرات محمد نجيب لسابق معرفته به، فقد كان من أوائل الصحفيين العرب الذين قابلوه بعد أن أصبح رئيسًا للجمهورية بعد الثورة، وما بين يديه فى النهاية مذكرات رئيس جمهورية ظل قيد الاعتقال ما يقرب من ١٨ عامًا، وهو ما يمنح المذكرات قيمة مضافة، لكن أغلب الظن أن اللوزى تحمس لنشر المذكرات بسبب الهجوم الذى تضمنته على هيكل، فلم يكن الصحفى الذى كان معروفًا بين الضباط الأحرار يحب هيكل أو يأنس إليه، ربما لأنه وقف حائلًا بينه وبين أن يُنمى علاقاته بالضباط الأحرار وتحديدًا جمال عبدالناصر.

فى بدايات العام ١٩٧٤ خرج مصطفى أمين من سجنه بعفو صحى من الرئيس السادات، وبدأ يستعيد بسرعة نفوذه ونشاطه الصحفى، فعل ذلك بشغف ورغبة فى أن يبرئ نفسه من تهمة الجاسوسية ويهيل التراب على من أدخلوه السجن وعلى رأسهم عبدالناصر... وهيكل بالطبع.

التفت مصطفى أمين إلى مذكرات محمد نجيب التى نشرت فى لبنان على حلقات أولًا فى مجلة «الحوادث اللبنانية»، ثم صدرت فى كتاب، فقرر أن يجعل منها سلاحًا فى معركته ضد هيكل وعبدالناصر معًا.

عندما قرأ مصطفى أمين المذكرات وجد أن نجيب لا يهاجم عبدالناصر وهيكل فقط، بل يحمل بشدة عليه هو وتوأمه، وعلى صحف أخبار اليوم أيضًا، فقرر أن يمارس هوايته فى التزوير والتلفيق قبل إعادة نشر المذكرات مرة أخرى فى مصر.

فى العام ١٩٧٤ صدرت بالفعل الطبعة

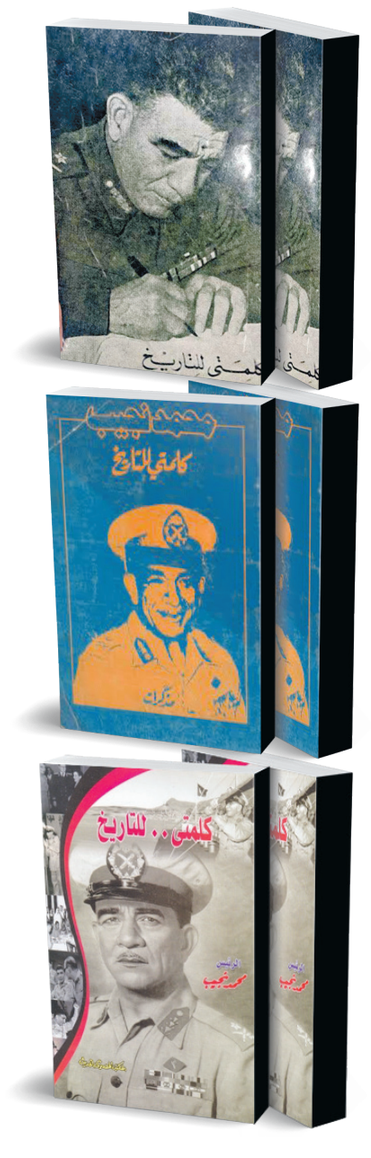

مصطفى وعلى أمين

«هيكل» منع دخول مجلة «الحوادث» إلى مصر لكن مضمون المذكرات تسرب عبر جلسات الصحفيين والسياسيين والمثقفين المصريين

محمد حسنين هيكل

محمد نجيب أصدر أول نسخة من مذكراته «كلمتى للتاريخ» فى عام ١٩٧٤ ونُشرت قبلها فى مجلة «الحوادث اللبنانية»

داروين
باسكال بيك
القومى للترجمة

سفر دانيال
سعديا بن يوسف الفيومى
القومى للترجمة

مبادئ تخطيط وإدارة حالات الطوارئ
ديفيد ألكسندر
القومى للترجمة

القصة العظيمة للرياضيات
ميكائيل لوناى
القومى للترجمة

القادمون
أحمد خالد مصطفى
عصير الكتب

نجيب: أحمد حمروش ساعدنى فى كتابة «كنت رئيسًا لمصر»

لدى 5 دواليب وغرفتان مليئة بالكتب.. وخصصت ربع راتبى لشرائها

فى حوار له مع جريدة «القبس» الكيتية، نُشر فى ٢٠ يناير ١٩٧٤، بدأ الرئيس حديثه بالكشف عن أن الكاتب أحمد حمروش، الذى يعد من أبرز مؤرخى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، هو من ساعده فى كتابة مذكراته، التى حملت عنوان «كنت رئيسًا لمصر»، وأثارت ضجة كبيرة عند نشرها.

وقال «اللواء نجيب»، ردًا على سؤال حول «كاتب» المذكرات: «أنا اللى كتبتها، بإيدى وبلغتى»، مشيرًا فى الوقت ذاته إلى أن أحمد حمروش ساعده فى هذه المذكرات. وشرح: «قالوا من ضمن الدعاية اللى عاملينها إنى إديت لواحد كتبها، ناس قالت سليم اللوزى، لا لا لا، وناس قالت حمروش كمان، أحمد حمروش ساعدنى، ساعدنى بإيه؟ هو شيوعى، وهما مبدأهم الحرية، فعرضتها عليه عشان يحذف منها الحاجات اللى ما يبقاش لها لزوم، وكذلك أحمد عطية الله هو اللى تولى الجزء الأخير من كتابى عن السودان». وواصل حديثه عن المذكرات: «بقول الوقائع اللى حصلت.. FACTS.. كلها وقائع حصلت، ما حدش يقدر ينكرها، لأنها مؤيدة بمستنداتها وكل حاجة، إنما بقى شوونى عليها».

وأفاد «اللواء نجيب» بأنه يخصص ربع راتبه على الكتب، التى كانت تملأ «٥ دواليب»، إلى جانب غرفتين كبار «مليانين كتب»، مشيرًا إلى أن أحد هذه الكتب عن خطب «تشرشل» فى البرلمان، وثمنه يصل إلى ٢١ جنيهًا.

وفى بقية الحوار، كشف عن رفضه السكن فى عابدين، قائلًا: «أنا بيتى الأول كان فى طومان باى، بيت عبدالرحمن فهمى بتاع المعارف، مأجره بـ٨ جنيه ومارضيتش أغيره، حاولوا كتير يقولولى أقعد فى عابدين، قلت لهم لا.. نهار ما أسكن عابدين حيقولوا بقى جلالة الملك.. لا».

الغريب أن أكبر رجال «ثورة ٥٢» رفض الكشف عن رأيه فى حرب السادس من أكتوبر، واكتفى عندما سُئل عنها بالقول: «ما حدش يقدر يبدى رأيه فيها إلا واحد عارف ومطلع عليها، يعنى تقدر تسأل ضابط فى المخابرات يقولك، ضابط فى الميدان يقولك، لكن أنا هنا ما باختلطش بحد، حتى لا أثير الشكوك».

وذكر «اللواء نجيب» أنه جُلد ٣٠ جلدة بسبب «خناقاته مع الإنجليز». وحكى مُشيرًا إلى إحدى الصور: «ده الصول عبداللطيف اللى جلدنى ٣ مرات، فى كل مرة ١٠ جلدات، عشان خناقاتى مع الإنجليز». وأضاف: «فى أيام الكلية كنت بعمل محاضرة عن مدينة الإسلام، جه المشرف وراح شاتم ووصفنا بالحيوانات، وجاب الصول عبداللطيف فجلدنى ١٠ جلدات، المرة الثانية خواجة إنجليزى بيصلح لى موضوع، قام كتب: (الإنشاء ممتاز.. الخط ردىء جدًا جدًا)، وراح حادف الكراسة من الشباك، فضلت واقف قدامه، فصاح اذهب واحضرها.. قلت لأ مش هجبها، عندك الفراش يروح، قال لى إذا ما كنتش هتجيبها تاخذ ١٠ جلدات، وخدت ١٠ جلدات فعلًا».

وعن المرة الثالثة، قال «اللواء نجيب»: «المستر سيمسون بيملينى قطعة إملاء من ضمنها عبارة: (مصر والسودان محكومتان من الإنجليز)، فوقفت معترضًا وصححت له: (مصر والسودان محتلتان بواسطة الإنجليز، وليستا محكومتين من الإنجليز)، قال اسكت، وهو خارج راح واخدنى فى إيده و١٠ جلدات».

لفت نظر مُجرى الحوار وجود كلاب وقطط «كثيرة جدًا» فى المنزل، فسأل «نجيب» عن السر وراءها، فأجاب: «لم أكن أحبها لكنى أصبحت أحبها»، ثم قام وأحضر لوحة معلقة على الحائط، مكتوبًا عليها بخط اليد عدة سطور، وأخذ يقرأ: هؤلاء «يقصد الكلاب والقطط» هم أصدقائى، ١٨ سنة فى محنة المرج، خلقهم الله ليعلمونا معانى الحب والإخلاص والأمانة والوفاء والنجدة والتسامح، فاعتبروا يا أولى الألباب وعاملوهم بإحسان.. دخلت امرأة النار فى هرة حبستها.

بعدها بدأ يعدد أسماء الكلاب التى لديه على النحو التالى:

«ريكس»: أحسن الكلاب وأولهم.

«داكسون»: عاشرنا منذ ١٩٥٥ إلى ١٩٦٩، بعد ما جيت هنا بسنة.

«خروبة»: السوداء شبيهة الدب، التى عاشرتنا من ١٩٥٤ إلى أن نفقت بالموت سنة ١٩٧١.

«أبوطوق»: خليط من «الداكسون» و«الخروبة»، وكان «فيلسوفًا» بمعنى الكلمة، ولد سنة ١٩٥٦ ومات قتيلًا سنة ١٩٦٦، فتحت بطنه الكلاب.

«فرج» الأسود: كان أعمى ولكن تهابه الكلاب، فقد بصره من شظية قنبلة فى حرب ١٩٥٦، وعاش أعمى، لكن فى منتهى القوة يحترمه الكلاب، حتى مات ١٩٥٧.

«فريحة البيضاء»: كانت تخطف منى كرة الجولف ولا تعطيها لى إلا بعد أن أعطيها قطعة سكر، وهرشت لها فى صدرها، قتلها جندى بـ«السونكى» أثناء اشتباكها فى عراك مع كلبته.

«فلة»: الكلبة البيضاء الجميلة التى كانت تتطوع لأخذ حقنة مقوية لقاء قطعة لحم، فكانت تزاحم الآخرين على حقن إضافية.

«الحص»: كان يعطف على الكلاب ويسرق الخبز ليطعم الجائع منهم، خاصة إذا كان كلبًا مريضًا أو جريحًا.

«هدهد»: الذى كان يقود كل هجوم للكلاب حتى لقب بـ«الدكتور»، لأنه كان يعالج الكلاب، مات وعمره ١٠ سنوات سنة ١٩٦٨.

«توتة»: الحمراء الصغيرة الجميلة ماتت بهبوط فى القلب، كانت تمشى خلفى حتى أصابها هبوط فى القلب وماتت.

«بلبلك»: الأحمر الغامق الذى كان يخطف الكرة ويجرى بها ولا يعطيها لى إلا بعد أن أجرى خلفه، داسته العربة «الموسكوفيتش» وهى عائدة بالأولاد من المدرسة، مات وعمره ٦ سنوات.

وتابع: «هذا تاريخ الكلاب اللى ماتت وبعد الشر على الباقيين».

وحسب مراسل «القبس»، كان لدى «نجيب» مدفن مخصص للكلاب، وحظيرة لإقامتها.

اشتريت كتابًا عن خطب تشرشل فى البرلمان بـ21 جنيهًا

الثورة وبعدها، وهو ما يظهر تناقضاتهما وتحولاتهما الكثيرة.

فى طبعة المذكرات البيروتية صفحتى ١٠٥ و١٠٦ قال محمد نجيب وهو يتعرض للظلم الاجتماعى الذى كان سائدًا فى مصر: «كانت (أخبار اليوم) تصور المظالم التى يتعرض لها الناس قبل ثورة ١٩٥٢ على أنها سُنة الحياة، وأنه على النفس أن تقبل ما قسم لها به، بل ونشرت تقول: إن الملك فاروق هو المحسن الأول، وأنه الطارق الذى يطرق أبواب بعض الناس فى ليلة القدر».

فى الطبعة المصرية صفحة ١٩٦ حذف نجيب «أخبار اليوم»، واكتفى بأن قال: «نشرت صحيفة متسترًا على أخبار اليوم، وإخفاء اسمها من هذه الواقعة الثابتة».

فى الطبعة البيروتية صفحة ١٣٣ يقول نجيب وهو يتحدث عن أزمة مارس ١٩٥٤ إن أصحاب أخبار اليوم شاركوا فى صنع ديكتاتورية عبدالناصر بأساليب مختلفة، كان منها تحويل أفكار الناس عن فكرة الديمقراطية.

يقول نجيب: «أذكر أن جريدة (أخبار اليوم) فى هذه الفترة كانت تواصل الإثارة لتحويل أنظار الجماهير عن مشكلتها الحيوية الرئيسية، فنشرت مثلًا فى ٢٢ مارس ١٩٥٤ مانشيتًا يقول: فتاة مصرية تتحول إلى رجل غدًا، ونشرت صورة الفتاة على ٣ أعمدة».

وعن مصطفى أمين يقول نجيب فى الصفحة ٢٠٧ من الطبعة البيروتية: «كان مصطفى أمين حامل رتبة البكوية من الملك، وأحد المقربين له من الصحفيين، وقد تحول بعد الثورة فجأة لمهاجمة الملك والسراى وفضح أخبارهم الشخصية جريًا وراء الإثارة وزيادة التوزيع، وكان هذا يصرف أنظار الناس عن الاهتمام بحاضرهم ومستقبلهم لمتابعة فضائح الماضى، الأمر الذى جعل الصحف تسايرهم فى هذا التيار حتى لا تتخلف عن التوزيع، وكان هذا الموقف اللا أخلاقى لا يرضينى ولا يريح نفسى».

لست فى حاجة إلى أن أقول لك إن كل هذا الكلام شطبه محمد نجيب من الطبعة المصرية، فلا يمكنك أن تجد له أثرًا، ففى الطبعة المصرية من المذكرات لا توجد أى إشارة إلى الإثارة ولا إلى موقف مصطفى أمين الذى لم يكن يرضى اللواء نجيب عندما أصدر طبعته البيروتية من مذكراته، وأصبح يُرضيه بعد شهور قليلة هى الفرق بين صدور الطبعتين.

وفى صفحتى ١٣٥ و١٣٦ من الطبعة البيروتية نشر نجيب واقعة اتصاله بمصطفى النحاس زعيم حزب الوفد، للتأكد من أنه ألغى قرار تحديد الإقامة الذى كان مفروضًا عليه، والذى كان الاتفاق بين محمد نجيب ومجلس الثورة قد تم على إلغائه والإفراج عن جميع الزعماء السياسيين الموقوفين لتهيئة الجو لعودة الحياة الديمقراطية، وقال: «كانت هذه المكالمة فيما بعد سببًا فى إشاعة أراجيف نشرتها صحيفة (الأخبار) عن اتصالات سرية بينى وبين الأحزاب».

وفى الطبعة المصرية فى صفحة ٢١٠ أغفل نجيب اسم جريدة «الأخبار» وأصبح النص: «سببًا فى إشاعة أراجيف نشرتها إحدى الصحف».

فى الطبعة البيروتية صفحة ١٤٢ تحدث نجيب عن جريدة «الأخبار» التى كانت تعارض عودة الديمقراطية فى العام ١٩٥٤، وقال إنه من مظاهر الإثارة المتعمدة فى ذلك الوقت ما نشرته صحيفة «الأخبار» من صورة كبيرة فى صفحتها الأولى لخالد محيى الدين، وهو يسبقنى بخطوات عقب الخروج من جلسة ٢٥ مارس، وكأنها توحى للناس بأن الشيوعيين قادمون لتخفيهم من الديمقراطية.

فى الطبعة البيروتية اختفى اسم جريدة «الأخبار»، ليشير نجيب إلى أن هناك «صحيفة نشرت».

يعلق صلاح عيسى على ما رصده بقوله: «ولا معنى لهذا التغيير الذى حدث فى مذكرات اللواء محمد نجيب إلا أن الرجل خضع للهوى فيما كتب عن عبدالناصر، وأنه شاهد يغير شهادته فى خلال شهور قليلة لأسباب قد لا تهم، وربما لو أصدر طبعة أردنية أو كويتية أو مغربية من المذكرات لعدّل فى صفحات أخرى».

أما أنا فأرى أن ما حدث كان صفقة.

دفع كل طرف ثمنها، والنتيجة تزوير فى مذكرات سياسية.

بشَّر مصطفى أمين مرة أخرى بمحمد نجيب، وأقام له مهرجانًا يعيد إليه اعتباره من خلاله، فى مقابل حذفه كل ما كتبه نجيب يمس ويمس صحفه، وهو ما وافق عليه نجيب وباركه بشكل كامل.

مصطفى أمين حاول إعادة الاعتبار لمحمد نجيب فى مقال حذف «الرئيس» كل ما كتبه عنه وعن صحفه

المصرية من مذكرات محمد نجيب، وتولت النشر دار المكتب المصرى الحديث، وهى الدار التى تخصصت فى نشر الكتب التى تهاجم عبدالناصر، وهى نفسها التى نشرت كتاب «البحث عن الذات» الذى سجل فيه السادات سيرته الذاتية، وكتاب «سيدة من مصر» الذى كتبته جيهان السادات، وكتاب «تجربتى» الذى كتبه عثمان أحمد عثمان... كما نشرت أيضًا كتب مصطفى أمين التى سجل فيها تجربته كاملة فى السجن.

المفاجأة أن مذكرات محمد نجيب البيروتية كانت مختلفة عن مذكراته القاهرية.

فى الطبعة القاهرية من المذكرات تم الإبقاء على كل ما نسبه محمد نجيب إلى عبدالناصر وهيكل، فقد وصل إلى اتهامهما بالعمالة للمخابرات الأمريكية، لكن اختفى أى أثر للهجوم على مصطفى أمين وصحف أخبار اليوم، وهو ما حدث بالطبع بفعل فاعل.

يمكننا أن نعود بالتاريخ قليلًا لنتأكد أن محمد نجيب كان يكره مصطفى أمين بسبب انحيازه لجمال عبدالناصر منذ اللحظة الأولى لثورة ٥٢، وزاد هذا الانحياز خلال أزمة مارس ١٩٥٤ التى خرج بعدها نجيب من كرسى الرئيس إلى كرسى الأسير.

ويذهب صلاح عيسى فى كتابه «مثقفون وعسكر» إلى أنه لم يكن فى هجوم اللواء محمد نجيب على «أخبار اليوم» أمر غريب، فمن المعروف أن «أخبار اليوم» قد وقفت موقفًا معاديًا لمحمد نجيب بكل قوتها، ولم تكن فى مساندتها له تنطلق من أسس مبدئية، ولكنها كانت تعلم أن عبدالناصر هو مركز الثقل الأساسى فى حركة الضباط الأحرار، وأن انتصاره مؤكد على خصم عجوز، وهكذا راهنت «أخبار اليوم» على الجواد الرابح، وفى تلك الفترة هاجمت «أخبار اليوم» اللواء محمد نجيب ولعبت، كما يقول نجيب نفسه فى مذكراته، دورًا مخربًا للإيقاع بين الضباط، ولمنع التوصل إلى قرار يسمح بإطلاق الحريات الديمقراطية.

ويرسم عيسى صورة أوضح للخلاف بين محمد نجيب ومصطفى أمين، يقول: من أطراف الذكريات التاريخية عن موقف «أخبار اليوم» من نجيب ما يرويه أحد الضباط الذين كانوا بالقرب من محمد نجيب، فعندما أقال مجلس قيادة الثورة نجيب الذى كان يتمتع بشعبية هائلة نشرت «أخبار اليوم» الخبر بما يشبه الشماتة.

صدرت «أخبار اليوم» بخبر الإقالة متصدرًا صفحتها، وفى باب حكمة اليوم الذى كان فى الغالب يعبر عن رأى الجريدة وأصحابها أو على الأقل يعكس موقفهم النفسى، فنشرت قائلة: «من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت».

بعد ثلاثة أيام وجد مصطفى أمين نفسه وجهًا لوجه أمام محمد نجيب فى مجلس قيادة الثورة بعد عودته الصورية لمنصبه، حاول أن يهرب منه، أن يتخفى فلا يراه، لكن نجيب أمسك به، وسأله بخبث مَن يعرف مقصد الحكمة المنشورة فى أخبار اليوم: «هو صحيح محمد مات يا مصطفى»؟

لم يجد صاحب الحكمة ردًا مناسبًا، فاكتفى بالصمت ومضى.

مضت السنون ولم ينس نجيب ما فعله به مصطفى أمين، فجعل منه ومن جريدته هدفًا من الأهداف التى قصفتها مذكراته البيروتية، حيث أساء لهما فيها إساءات بالغة.

لكن المفاجأة أن مصطفى أمين الذى انتبه لأهمية مذكرات نجيب كان هو من روّج لهذه المذكرات، وفى الغالب كان هو مَن وقف وراء نشرها فى مصر.

لكن كيف ظهرت مذكرات محمد نجيب بعد تنقيحها وحذف هجومه على «أخبار اليوم» على خريطة «أخبار اليوم»؟

الإجابة نعرفها من سرد صلاح عيسى لما جرى.

كان مصطفى أمين قد أنشأ بعد خروجه من السجن بابًا صحفيًا هو «عزيزتى أخبار اليوم» يرد من خلاله بنفسه على الرسائل التى ترد إلى الجريدة.

لم يكن مصطفى نزيهًا بشكل كامل فى بابه الجديد.

كان يستغله فى كتابة رسائل بأسماء وهمية، لأنه يريد أن ينشر خبرًا بعينه أو يقول رأيًا دون حرج أو مراجعة من أحد.

من بين الرسائل التى وردت إليه كانت رسالة من قارئ يسأل عن مذكرات اللواء محمد نجيب، ولماذا لا تصدر فى مصر بعد صدورها فى بيروت؟

أجاب مصطفى أمين بأن مذكرات محمد نجيب الكاملة والحقيقية ستنشر فى مصر قريبًا، وهو ما يشير إلى أن مصطفى كان عاكفًا على إعداد المذكرات ومراجعتها، والطبيعى أنه لم يفعل ذلك من وراء ظهر محمد نجيب أو رغمًا عنه، بل تم الأمر كله بموافقته ومباركته أيضًا.

لم يكتف مصطفى أمين بإجابته على السائل المجهول، بل فتح صفحات «أخبار اليوم» للدفاع عن نجيب، وهو ما كان دليلًا على أن تحالفًا جرى بين سجين عبدالناصر وطريده.

من بين ما نشرته «أخبار اليوم» كان مقالًا مطولًا لأحمد حسين الذى كان رئيسًا لحزب مصر الفتاة، ذهب فيه إلى أن عبدالناصر سرق الثورة من صانعها الحقيقى اللواء محمد نجيب.

دفع مصطفى أمين ثمن التحالف مقدمًا، وكان على نجيب أن يدفع هو الآخر حصته، فحذف كل الإساءات فى حق أخبار اليوم ومصطفى أمين من طبعة مذكراته المصرية، وحذف كذلك موقف «مصطفى وعلى» قبل

مصطفى أمين حذف كل الهجوم عليه وعلى شقيقه و«أخبار اليوم» من النسخة المصرية من مذكرات محمد نجيب

سليم اللوزى

صلاح عيسى

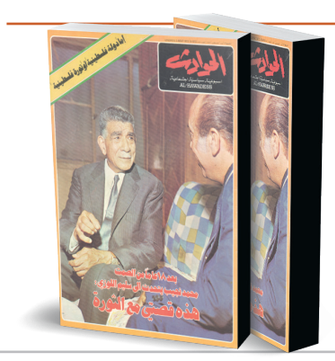

جنة القراصنة
أحمد سليمان
عصير الكتب

حكايات قلب مظلم
ستيفانى جاربر
عصير الكتب

يجعل الله لك مخرجًا
أحمد الصابونى
عصير الكتب

سيروش
حنان لاشين
عصير الكتب

رواد التلاوة فى مصر
أسعد النوبى
النهضة العصرية

أدى اشتعال الحرب النفسية والإعلامية بين إيران وإسرائيل التى تأججت خلال الأشهر السابقة منذ وصول اليمين المتطرف إلى سدة الحكم فى إسرائيل، وفوز التيار المحافظ بكرسى الرئاسة والمتمثل فى رئيس الجمهورية «إبراهيم رئيسى»، وكذلك أزمة الحرب فى غزة، وتبنى إيران محور المقاومة المتمثل فى حماس وحزب الله، ومحاولة إسرائيل نقل ثقل الحرب إلى الخارج باستهدافات صاروخية للحرس الثورى الإيرانى فى سوريا، وإصرار إيران على ضلوع إسرائيل فى تفجيرات كرمان بالتواطؤ مع داعش. كل تلك الأسباب مجتمعة أدت إلى ظهور العديد من الكتب والأبحاث فى المجال العام الإيرانى، تؤرخ لتاريخ اليهود والحركة الصهيونية فى إيران، فى محاولة لتوجيه الرأى العام، وكذلك النخبة الثقافية إلى الإدانة السياسية والتاريخية الكاملة لإسرائيل.

د. أحمد لاشين

وثائق سرية تكشف تاريخ المنظمات الصهيونية فى إيران

أهم تلك الكتب الذى أُعيد طبعه حديثًا هذا العام، هو كتاب «المنظمات اليهودية والصهيونية فى إيران»، الطبعة الأولى للكتاب كانت منذ عشرين عامًا تقريبًا، ورغم أهمية الكتاب لكن تم التغافل عنه خلال السنوات السابقة، لتصدر منه طبعة حديثة خلال الشهر الماضى، وتم الترويج له من جديد على المواقع والصحف الإيرانية.

يُعد هذا الكتاب من أهم الكتب التى تناولت تاريخ الحركة الصهيونية فى إيران، لاعتماده على الوثائق السرية المسربة من جهاز «السافاك» (المخابرات الإيرانية فى عهد الشاه) وكذلك العديد من الخطابات والمراسلات بين قادة الحركة اليهودية فى إيران وإسرائيل، التى أعلنتها الحكومة الإيرانية بعد الثورة.

الكتاب من تأليف «مؤسسة الأبحاث السياسية»التابعة للدولة، ويقع فى حوالى ٨٠٠ صفحة، يتناول بدقة بالغة أغلب تفاصيل المنظمات اليهودية فى إيران وعلاقتها بنظام الشاه قبل الثورة، وموقفها من الثورة الإسلامية، وعمق ارتباطها بالحركة الصهيونية، وأساليب التمويل التى مارستها تلك المنظمات لدعم المهاجرين اليهود من إيران إلى إسرائيل.

فرغم أن لليهود تاريخًا طويلًا فى إيران منذ العهد الإمبراطورى القديم وإلى الآن، ولكن ظلوا غير قادرين على الاندماج الكامل فى المجتمع الإيرانى، بل أنهم تحت طائلة الشك على تعاقب الحكومات فى إيران. يبلغ عدد اليهود فى إيران الآن ما يقارب العشرة آلاف، وهو عدد فى تناقص مستمر من حوالى مائة ألف يهودى، وظهر هذا التناقص بوضوح فى مرحلة السبعينيات والثمانينيات بسبب هجرة أغلب اليهود الإيرانيين إلى إسرائيل.

يرصد الكتاب فى نسخته الجديدة علاقة المنظمات اليهودية بنظام الشاه، خاصة فى عهد رضا بهلوى وابنه من بعده محمد رضا بهلوى، آخر ملوك إيران قبل الثورة، وموقف اليهود من الثورة وما بعدها، فقد كان رضا بهلوى من أكثر الداعمين للأقلية اليهودية فى إيران، وسمح بالعديد من الصحف والمجلات التى تمثلهم، بعضها كان ناطقًا بالعبرية، إلا أن الأجواء تورت بشدة بعد مرحلة الحرب العالمية الثانية والموقف من النازية وغيرها من المستحدثات السياسية فى ذلك التوقيت، ولكن ومع وصول محمد رضا بهلوى إلى الحكم، ومحاولته غلق المجال العام فى إيران، وممارسة آليات الحكم العسكرى شبه العلمانى «تمثلًا لتجربة أتاتورك فى تركيا»، ظهرت مرحلة جديدة من مراحل التقارب بين النظام واليهود فى إيران، واستخدمهم فى مرحلة الغزل السياسى بينه وبين إسرائيل وأمريكا، وفى محاولة للسيطرة على التيار الدينى وآيات الله، سمح بظهور العديد من المنظمات اليهودية، سنحاول رصد بعضها فيما يلى، ولكن ومع الموقف الأمريكى المتغير ضد نظام الشاه، ودعم الولايات المتحدة لبعض التيارات المعارضة فى إيران إرهاصات الثورة الإيرانية، صرح الشاه بمعاداته للسامية بشكل مباشر، واعتبر أن الولايات المتحدة تحت سيطرة لوبى يهودى صهيونى يقود العالم، وانتهت مرحلة الغزل السياسى بين يهود إيران والشاه.

مما أدى إلى انضمام العديد من يهود إيران تحت سقف الحركة الثورية التى كان يقودها اليسار فى البداية ثم لحقها التيار الدينى، وكان لليهود الإيرانيين حضورًا واضحًا فى الترويج للثورة فى الداخل أو الخارج الإيرانى، ولكن وبعد نجاح الثورة، حاول نظام «الخمينى» فى بدايته أن يتعامل مع جميع الأقليات ومنها اليهود بحيادية سياسية ودينية، ومع تصاعد الصراع السياسى بين إيران وإسرائيل، قرر نظام الخمينى التضييق على الأقلية اليهودية تحديدًا، وظهرت حركة من الإعدامات ضد أغلب قادة المنظمات اليهودية التى ثبت تورطها فى دعم إسرائيل أو الحركة الصهيونية، واستمرت حالة التضييق تلك إلى الآن بشكل أو بآخر، رغم محاولة النظام الإيرانى خلال المرحلة الحالية التعامل بمزيد من الحرية مع الأقليات الدينية أو العرقية، والتى تشكل إجمالًا حاولى ٥٢٪ من المجتمع الإيرانى.

يتناول الكتاب فى فصوله الأولى أهم الحركات اليهودية والمنظمات التى تتبع إسرائيل ونشاطها الاجتماعى والسياسى فى إيران، ومن أهمها «اللجنة اليهودية فى طهران» وهى لجنة منوط بها الأمور الدينية لليهود إيران، وتأسست منذ سبعين عامًا تقريبًا، وما زالت قائمة إلى الآن ولها علاقات جيدة مع النظام فى إيران، إلا أن الكتاب يرصد دور تلك اللجنة فى مرحلة ما قبل الثورة وبدايتها، قبل مرحلة إعادة هيكلتها من قبل الحكومة الإسلامية، والسماح بتوجدها تحت شروط متابعة أمنية معقدة، فالكتاب يتهم تلك المنظمة تحديدًا بتعاونها الدائم من إسرائيل، وتمويلها لمختلف حركات الهجرة اليهودية خارج إيران، كما يرصد عن طريق المراسلات التى تمت بين قيادات المنظمة ويهود أوروبا، الدعم المادى المقدم من الخارج الإيرانى فى عهد الشاه، مما استتبع إنشاء صندوق تابع لـ«الوكالة اليهودية»، وبالتالى إسرائيل مباشرة، أُطلق عليه «الصندوق القومى لليهود» لتمويل حركات الهجرة، والعديد من العمليات الاستخباراتية فى الداخل الإيرانى.

كان نشاط الصندوق القومى لليهود واضحًا للغاية فى عهد الشاه، وبدايات الثورة الإيرانية، مركزه الأصلى طهران، ثم انتقل إلى هوندا ثم ألمانيا، إلى أن استقر الأن فى إسرائيل، وله فروع فى عدة دول فى العالم، خاصة بعد إغلاقه فى إيران، وهو المنوط به التنسيق بين رجال الأعمال وجهات دعم إسرائيل فى الخارج وبين النظام الصهيونى فى الداخل.

وطبقًا للوثائق المخابراتية الإيرانية، فمن أهم المنظمات التى تعاونت ضد إيران لصالح إسرائيل فى عهد الشاه، «هيئة نساء يهود إيران»، وهى هيئة تم تأسيسها عام ١٩٧٤ وأغلقت فى إيران عام ١٩٧٩، قبل أن تنتقل إلى نيوجرسى فى أمريكا وما زالت قائمة هناك. رغم أن الغرض من تأسيس الهيئة كان الأعمال الخيرية لصالح المرأة فى إيران عمومًا واليهوديات تحديدًا، ورغم أن الأجهزة الرقابية للدولة أخضعت تلك الهيئة لشروط تأسيسية غاية فى الصعوبة، إلا أن الكتاب يستعرض علاقة تلك الهيئة بالحركة الصهيونية والوكالة اليهودية. عن طريق الأعمال الخيرية المزعومة، راصدًا العديد من المراسلات وتسجيل لقاءات بين مديرات تلك الهيئة وعناصر من جهاز الموساد.

وبعد انتقال تلك الهيئة إلى نيوجرسى، انبثق منها «منظمة نساء همدان» فى إيران، وظلت تلك المنظمة تمارس نفس الأنشطة السابقة، وكانت على علاقة وثيقة وخاضعة لإشراف «اتحاد آليانس» وهو اتحاد يهودى مركزة الآن فى باريس، ومنوط به متابعة حياة اليهود فى الشرق الأوسط.

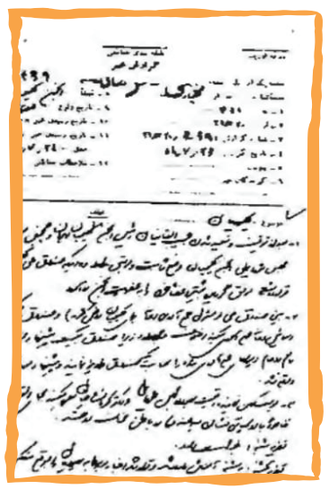

يناقش الكتاب فكرة محاولة المنظمات الصهيونية الوجود بين مختلف شرائح المجتمع، فبعد أن حاولت الوجود فى الإطار الاقتصادى والسياسى، وكذلك وجودها بين النساء، كان من اللازم الوجود بين الطلاب، فظهرت «مؤسسة الطلاب الإيرانيين اليهود»، وهى منظمة كان هدفها المعلن، تثقيف وتوعية شباب الجامعات، عن طريق الندوات وغيرها من أشكال التفاعل الطلابى، ولكن وطبقًا لما نشر من وثائق، رصدت الأجهزة الأمنية فى عهد الشاه، تعاون بين أعضاء فى المنظمة وممثلين للحركة الصهيونية فى فرنسا. ما استتبع القبض على بعض أعضائها وإغلاق المؤسسة.

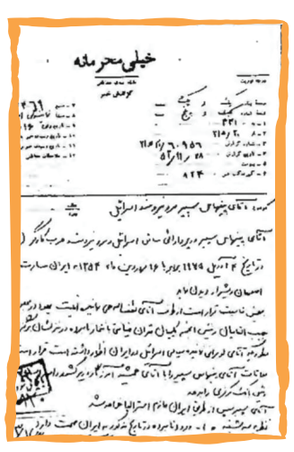

أما بقية فصول الكتاب فتتناول دور تلك المنظمات وغيرها الكثير، فى الهجرة إلى إسرائيل وتمويل الحركة الصهيونية، والدعم الأمريكى الإسرائيلى لتلك المنظات فى الداخل، فقد رصد حوالى ثلاثين منظمة يهودية فى إيران، اُتهمت بالتعاون مع الحركة الصهيونية وإسرائيل.

لاقى الكتاب فى طبعته الأخيرة رواجًا كبيرًا فى إيران، وتناولته الصحف والمواقع بالعرض والتحليل، فى ضوء الصراع الإيرانى الإسرائيلى فى الوقت الحالى. مع الإلحاح على فكرة السلام الذى يعيشه يهود إيران الآن فى ظل الحكومة الإسلامية، وعدم التشكيك فى وطنيتهم، والفصل بين اليهودية والصهيونية، فى محاولة لاحتواء مخاوف الأقلية اليهودية فى إيران الآن فى ظل الصراعات السياسية بين الدولتين.

> كتاب «المنظمات اليهودية والصهيونية فى إيران» لاقى فى طبعته الأخيرة رواجًا كبيرًا فى إيران، وتناولته الصحف والمواقع بالعرض والتحليل

نشرت المنصة الثقافية العالمية «Publishers Weekly» قائمة المؤلفات السياسية والتاريخية الأكثر مبيعًا لهذا الأسبوع، واحتل كتاب «أشباح هونولولو: جاسوس يابانى، صائد جواسيس أمريكى يابانى، والقصة غير المروية لبيرل هاربو» المركز الثانى فى القائمة، بعد كتاب «برقول: معركة أمريكية ضد الفاشية» لاقى «أشباح هونولولو» رواجًا كبيرًا فى المجتمع الثقافى الأمريكى منذ صدوره فى نوفمبر الماضى، حيث يتطرق الكتاب لأول مرة لحكاية الجاسوس الياباني الذى عمل لصالح البحرية الأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية، بعد بحث سنوات من مؤلفى الكتاب بين أكوام وثائق الحرب العالمية الثانية.

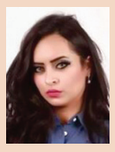

سارة شريف

أشباح هونولولو:

قصة جاسوس يابانى جندته الاستخبارات الأمريكية فى الحرب العالمية

«أشباح هونولولو» من تأليف مارك هارمون، الذى يبلغ من العمر ٧٢ عامًا ويعتبر هذا كتابه التاريخى الواقعى الأول، وشاركه تأليف الكتاب ليون كارول جونيور، الذى قضى ٢٠ عامًا كعميل خاص حقيقى لـ«مكتب الاستخبارات البحرية الأمريكية NCIS».

علق «هارمون» لمجلة «people»: لقد اعتقدت دائمًا أنه يمكنك التعلم من التاريخ، الأشياء تميل إلى تكرار نفسها». وأضاف عن شريكه «ليون»: كان هو المحقق رقم ١ فى الوكالة، كنت أسأله دائمًا عن الطريقة الصحيحة لفعل شىء ما، عندما جاءت لى فكرة الكتاب، قلت إننى لن أنفذ هذا بدونه.

«أشباح هونولولو» يكشف القصة الحقيقية لـ«دوجلاس وادا»، وهو أمريكى يابانى ولد فى جزيرة هاواى وأصبح جاسوسًا للبحرية الأمريكية، ويتطرق إلى سنواته المثيرة التى عمل خلالها متنكرًا كمراسل لصحيفة محلية، يقول هارمون: «هؤلاء العملاء هم فى الواقع من سلالة مختلفة، دائمًا هناك قصة لا تعرفها تحتاج إلى الكشف عنها، هناك عمل مهم كانوا يقومون به، ولم يعلم أحد عنه».

يصف «هارمون «بطل كتابه «وادا» قائلًا: «لقد كان رجلًا محددًا للغاية فى وقت محدد للغاية، كان يتمتع بمهارة وعمل على كشف خبايا المجتمع الأمريكى اليابانى فى الجزيرة التى أصبحت ملعبًا للجواسيس أثناء الحرب».

فى عام ١٩٣٩، أمر الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت مكتب الاستخبارات البحرية، بالتحقيق فى التهديدات المحلية للتجسس والتخريب فى هاواى، تم تجنيد دوجلاس وادا باعتباره عميل الوكالة الوحيد لمكافحة التجسس الأمريكى اليابانى فى وقت كان فيه الأمريكيون اليابانيون يمثلون أكثر من ثلث السكان فى المنطقة.

كانت مهمة «وادا» تتلخص فى «مراقبة السكان «اليابانيين» المحليين»، وكان وزملاؤه من ضباط مكافحة التجسس ينظرون إلى العملاء القنصليين اليابانيين وموظفيهم باعتبارهم جواسيس حقيقيين فى هاواى، وليسوا أعضاءً فى الجالية الأمريكية اليابانية.

بعد الهجوم على بيرل هاربر عام ١٩٤١، أدرك رؤساء الاستخبارات الأمريكية المضادة فى هاواى أن الهجوم كان موجهًا بمعلومات «جاءت من جاسوس يعمل فى القنصلية فى هونولولو»، حيث كان وادا يقوم بعمله الخفى لمعرفة الجاسوس اليابانى فى القنصلية، يتطرق الكتاب للتفاصيل الدقيقة والمثيرة لعمل «وادا» تحت غطاء «المراسل الصحفى» وكيف كان يقوم بالتنصت على المكالمات الهاتفية فى القنصلية اليابانية».

ثم تبدأ معركته الخفية مع وتاكيو يوشيكاوا، الجاسوس اليابانى الذى تم إرساله إلى بيرل هاربر لجمع معلومات عن الأسطول الأمريكى.

حيث تحولت جزيرة هاواى إلى ساحات قتال للجواسيس وعملاء المخابرات والمسئولين العسكريين، وقد أصبح سكان الجزيرة عالقين بينهم، بينما يستمر عمل «وادا» فى الظل دوجلاس، كما واصل «وادا» فى غرب الولايات المتحدة مسيرته المهنية خلال عقود الحرب الباردة، حيث تطور مكتب الاستخبارات البحرية إلى NCIS، وتوفى فى عام ٢٠٠٧.

> كانت مهمة «وادا» تتلخص فى مراقبة السكان «اليابانيين المحليين»، وكان وزملاؤه من ضباط مكافحة التجسس ينظرون إلى العملاء القنصليين اليابانيين وموظفيهم باعتبارهم جواسيس حقيقيين فى هاواى

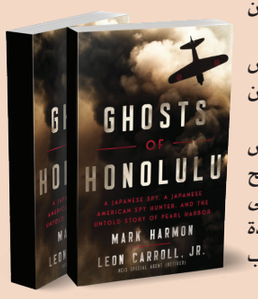

يرسم المؤلفون بشكل لافت للنظر هاواى فى حقبة الحرب العالمية الثانية على أنها ساحة معركة بين جاسوس وجواسيس، ويوضحون بالتفصيل مهام وادا السرية، ولعبة القط والفأر التى غيرت العالم والتى تم لعبها بين عملاء المخابرات العسكرية اليابانية والأمريكية فى هاواى قبل دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية، حيث يصور أشباح هونولولو لعبة الاستخبارات البحرية المذهلة عالية المخاطر والحاجة إلى تحديد ما هو حقيقى وما يبدو أنه حقيقى فقط.

الكاتب «هارمون» ليس بعيدًا عن عالم الاستخبارات والحروب، فقد قاتل والده كطيار فى الحرب العالمية الثانية، وفى شبابه حصل هارمون على ثلاث سنوات من تدريب ضباط الاحتياط فى المدرسة الثانوية.

يقول الكاتب عن شغفه بالاستخبارات البحرية: «كنت أحاول البحث عن معلومات عنها، ولم يكن هناك الكثير من المعلومات حول هذه الوكالة.. بدأت أطرح الأسئلة ومن هنا بدأ كل شىء يتطور».

الآن، بعد قضاء ما يقرب من عقدين من الزمن فى NCIS ، يقول هارمون «إنه يستخدم وقت فراغه لاستكشاف أنشطة جديدة. وإنه بعد عقدين فى متابعة الاستخبارات يفتقد الصداقة الحميمة ووجبات الغداء على الطاولات والاستماع إلى حكايات العائلات.. لأن لدىّ وظيفة أقوم بها».

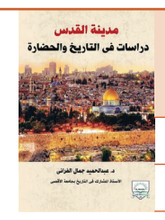

مدينة القدس دراسات فى التاريخ والحضارة

عبدالحميد الفرانى

النهضة العصرية

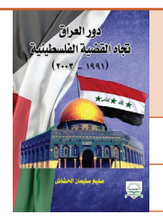

دور العراق تجاه القضية الفلسطينية

سليم الحشاش

النهضة العصرية

موسوعة الآداب والفنون الشعبية العربية

عثمان الأمير

النهضة العصرية

موسوعة متاحف مصر

عثمان الأمير

النهضة العصرية

معارك الود

أحمد غريب رزق

الهالة

تشهد سوق الكتب فى إسرائيل حركة واضحة مع بداية العام الجارى 2024، حيث تنوعت إصداراتها ما بين الروايات والقصص الواقعية، ولكن بحبكة درامية، خاصةً عندما تتعلق الرواية بعالم أجهزة الاستخبارات.

نستعرض فى هذا العدد من «حرف» كتاب «الجاسوس من الداخل»، الذى صدر منذ أيام قليلة، ويتحدث عن وقائع مثيرة لأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، ويسيطر عليها جانب درامى أكبر من «خيالات الأكشن» التى تسيطر، فى المعتاد، على مثل تلك القصص.

سارة الشلقانى

الجاسوس من الداخل

دراما إسرائيلية عن عالم الاستخبارات

وصدر كتاب «الجاسوس من الداخل» خلال شهر يناير الجارى، للكاتب الإسرائيلى «ناثان رونان»، الذى خدم فى الجيش الإسرائيلى، وكان عضوًا فى المؤسسة الأمنية ومجتمع الاستخبارات الإسرائيلى بفروعه المختلفة.

ويحمل الكتاب مزيجًا سريعًا من التحولات المفاجئة والحيل والمطاردات، عبر عدة دول فى أوروبا وأذربيجان، وجيبوتى فى القرن الإفريقى، وأعماق البحر فى خليج عمان، حتى تنفيذ عملية لاغتيال رئيس المشروع النووى فى إيران.

ويتناول الكتاب عدة قصص فرعية تتشابك حتى يجد القارئ نفسه أمام نهاية مفاجئة، فعلى سبيل المثال، تحكى القصة الأولى قصة جاسوس روسى، يقوم بمهمة للمخابرات الخارجية الروسية؛ بهدف تجنيد «أحد كبار العملاء» فى الموساد الإسرائيلى ويصبح عميلًا روسيًا.

أما القصة الثانية فتجسد المطاردة المستمرة ومعركة الذكاء بين أعضاء جهاز مكافحة التجسس فى جهاز الأمن العام الإسرائيلى «الشاباك» بقيادة ناتان هوفمان، الذى يعتقدون أنه خائن وجاسوس مختبئ فى أعماق جهاز المخابرات الإسرائيلى، أى أن «الجاسوس من إسرائيل».

وفى القصة الثالثة هناك قرار لصانعى المستوى السياسى فى إسرائيل، للقضاء على النظام النووى الإيرانى، ولكن هناك مشكلة، فبعد اغتيال قاسم سليمانى، القائد السابق لفيلق القدس الإيرانى، فى يناير ٢٠٢٠، بدأ الإيرانيون فى زيادة الحراسة على محسن فخرى زاده الضابط فى الحرس الثورى الإيرانى والعالم النووى رفيع المستوى.

لذلك، يرافق القارئ عملية القضاء المستهدف لبناء وسيلة لتنفيذ عملية قنص عن بعد، وآلة قتل تتضمن الابتكارات التكنولوجية، واستخدام الذكاء الاصطناعى، واستخدام الأقمار الصناعية وعدة مفاجآت أخرى تطرح تحديات تكنولوجية تبدو مستحيلة التنفيذ، حتى تم التنفيذ الفعلى لعملية اغتيال فخرى زاده فى نوفمبر ٢٠٢٠.

ويرى النقاد فى إسرائيل أن كتاب «الجاسوس من الداخل»، هو كتاب مثير للاهتمام سريع الوتيرة، فهو يندرج تحت بند دراما التجسس، وعن الجواسيس والعملاء الأجانب، الذين يعملون ضد إسرائيل.

> كتاب «الجاسوس من الداخل» يندرج تحت بند دراما التجسس، وعن الجواسيس والعملاء الأجانب الذين يعملون ضد إسرائيل

من جانبه، يقول الكاتب الإسرائيلى رونان، عن كتابه: «الوسائل كلها التى استخدمتها إسرائيل من اختراع عقلى.. وفى هذا الكتاب، هناك تركيز أكثر على الدراما وأقل على الأكشن والمطاردات التى تحبس الأنفاس، أى أن هذا كتاب ستفهمه النساء أكثر، لأنه بلطف يكشف قصة حب مستحيلة، دراما إنسانية تتطور تحت الأرض ورغم كل الصعاب، وعلاقة معقدة بين عميلة تجنيد محترفة وضحيتها وهى عضو كبير فى المؤسسة، والتى من المفترض أن تجندها وتلجأ إليها».

وأوضح الكاتب الإسرائيلى أنه حرص على وجود جملة باللغة الروسية على غلاف الكتاب، والتى تعنى «واحد منا»، وهو الشخص الذى هاجر إلى إسرائيل من البلدان الناطقة بالروسية، وكان لشعب هذه الهجرة مساهمة كبيرة فى مجالات التكنولوجيا العالية والطب والعلوم والتكنولوجيا، والبحث الأكاديمى فى العلوم الدقيقة، وكذلك فى العلوم الإنسانية والثقافة المعاصرة والرياضة والأوساط الأكاديمية والبحث العلمى والأمن والاقتصاد فى إسرائيل.

ويدافع الكاتب الإسرائيلى عن نفسه ضد اتهامات أنه يتهم هؤلاء بالخيانة، قائلًا: «لم يكن لدى أى نية، ولا حتى ضمنيًا، للتعبير عن عدم الثقة فى هؤلاء الممتازين أيها الناس، والعكس هو الصحيح، ولكن من المعروف أن إسرائيل هى الهدف المفضل لأجهزة الاستخبارات الروسية، بسبب قربها من الولايات المتحدة الأمريكية، وأيضًا بسبب الصناعات العلمية والتكنولوجية العالية، التى تجذب التجسس العلمى والتكنولوجى من الجميع حول العالم».

وتابع: «لذلك هناك جزء من الحبكة يدور حول هذا القطاع، لقد حصلت على الكثير من المساعدة من اثنين من أصدقائى الأطباء اليابانيين، الذين أصبحت قصص طفولتهم فى الاتحاد السوفيتى وتجاربهم هناك عندما كانوا مراهقين، بمثابة قصص خلفية لبعض الأبطال الموجودين فى الكتاب».

«أصدقائى»

رواية جديدة للكاتب الليبى البريطانى هشام مطر

وُلد الكاتب الليبى البريطانى هشام مطر «53 عامًا»، فى نيويورك لأبوين ليبيين، ونشأ فى طرابلس والقاهرة ولندن، والأخير هو المكان الذى عاش فيه كثيرًا منذ منتصف مراهقته. كان والد هشام؛ جاب الله مطر، يعمل فى الوفد الليبى فى الأمم المتحدة. عادت الأسرة إلى طرابلس عام 1973، ثم انتقلت إلى القاهرة نهاية السبعينيات. وأصبح جاب الله، وهو ضابط سابق فى الجيش الليبى، معارضًا عنيدًا لنظام القذافى. واستخدم ثروته ونفوذه لتمويل الخلايا النائمة داخل ليبيا، وتنظيم المقاومة المسلحة فى تشاد المجاورة.

حنان عقيل

1 الأعمال الأدبية لهشام مطر

وصلت رواية مطر السابقة «فى بلد الرجال» إلى القائمة المختصرة لجائزة بوكر لعام ٢٠٠٦، كما نال جائزة بوليتزر عن مذكرات له حملت عنوان «العودة» لعام ٢٠١٦، وله رواية أخرى بعنوان «تشريح الاختفاء»، وهى أعمال تدور حول السجن السياسى والقتل المحتمل لوالد مطر، الذى عارض معمر القذافى.

فى عام ١٩٨٦، غادر هشام مصر إلى مدرسة داخلية فى إنجلترا، حيث انتحل، مثل راوى روايته الأحدث «أصدقائى»، هوية مزيفة حفاظًا على سلامته. وفى عام ١٩٩٠، عندما كان هشام طالبًا فى لندن، اختطف والده من شقة العائلة فى القاهرة واختفى فى فم الدولة الأمنية الليبية. وتعرف العائلة أن جاب الله قضى بعض الوقت فى سجن أبوسليم المخيف فى طرابلس. ثم توقفت جميع الاتصالات. وادعى أحد السجناء أنه رآه فى أواخر عام ٢٠٠٢.

وفى عام ٢٠١٢، عاد هشام إلى ليبيا، على أمل معرفة ما حدث لوالده، وهو المسعى الذى اشتمل أيضًا، على نحو مؤلم، على أمل ضعيف بأن جاب الله لا يزال على قيد الحياة. لكن فى مذكراته عن تلك الرحلة بعنوان «العودة» يخلص إلى أن والده توفى على الأرجح فى ٢٩ يونيو ١٩٩٦، وأنه أحد ضحايا عملية التطهير التى أُعدم فيها ١٢٧٠ سجينًا.

فى أعماله، وجد مطر طرقًا مختلفة لسرد آثار هذا الجرح الحاسم. تقول إحدى شخصيات رواية «فى بلاد الرجال» إن أحد ضحايا القذافى «اختفى مثل حبة الملح فى الماء. لكن مرارة عدم المعرفة هى الشراب الذى يجب أن نبتلعه مرارًا وتكرارًا». وتنتهى رواية «فى بلاد الرجال» بالراوى اليتيم، البالغ من العمر ستة وعشرين عامًا ويعيش فى القاهرة، وهو يستعد للقاء والدته التى تزوره أخيرًا من ليبيا، ويشعر «كأنه كلب مخلص لا يزال ينتظر، واثقًا من أن صاحبه سوف يأتى لاستعادته».

فى كل روايات مطر السابقة، يتم إرسال الراوى بعيدًا، وهو مراهق من ليبيا إلى مدرسة فى بلد أجنبى «مصر فى «فى بلد الرجال»، وإنجلترا فى «تشريح الاختفاء»»، أما «العودة» فتروى المغامرة المثيرة للشفقة التى عاشها الشاب هشام، الذى وصل من القاهرة إلى مطار هيثرو، واستقل سيارة أجرة سوداء فى لندن إلى مدرسته الداخلية فى الريف، لأن والديه طلبا منه ذلك.

رواية مطر الجديدة «أصدقائى» تجعل المهاجر أكبر سنًا ببضع سنوات، مع مغادرة خالد ليبيا للالتحاق بالجامعة بدلًا من الذهاب إلى مدرسة داخلية. لكنه لا يعود أبدًا إلى وطنه، حتى وهو يشاهد مصطفى وحسام يعودان وينضمان فى نهاية المطاف إلى القتال ضد القذافى فى عام ٢٠١١.

> فى عام 1986 غادر هشام مصر إلى مدرسة داخلية فى إنجلترا حيث انتحل مثل راوى روايته الأحدث «أصدقائى» هوية مزيفة حفاظًا على سلامته

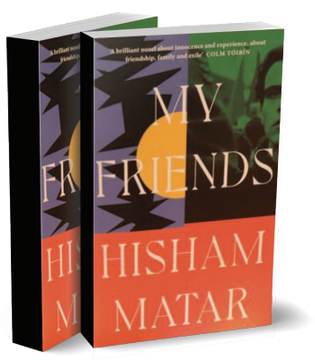

2 رواية جديدة بعنوان «أصدقائى»

فى أوائل الثمانينيات، كانت ساحة «سانت جيمس» فى لندن موطنًا للسفارة الليبية، أو المكتب الشعبى الليبى. فى صباح يوم ١٧ أبريل ١٩٨٤، تجمع حشد من المتظاهرين المناهضين للقذافى عبر الشارع الذى يقع أمام السفارة، وواجهتهم مظاهرة مضادة أصغر حجمًا للموالين للقذافى خارج المبنى، وكانت الأجواء مشحونة بالأعمال العدائية وانعدام الثقة فى السنوات السابقة، فقد قصف نظام القذافى وقتل المنفيين الليبيين فى لندن الذين اعتبرهم أعداءه؛ وقبل يوم واحد من مظاهرة ١٧ أبريل، شُنق اثنان من الناشطين الطلابيين علنًا فى طرابلس.

وفى ساحة سانت جيمس، بالكاد بدأت المظاهرة عندما أطلقت أعيرة نارية من نوافذ السفارة. أصيب أحد عشر متظاهرًا، وقُتلت شرطية تدعى إيفون فليتشر، كانت فى الخدمة ذلك الصباح مع خطيبها الشرطى. أخليت الساحة وحاصرت الشرطة المسلحة السفارة لمدة أحد عشر يومًا، حتى سمحت حكومة تاتشر لبقية المسئولين الليبيين بمغادرة البلاد. قطعت بريطانيا وليبيا علاقاتهما الدبلوماسية، واستمر العداء العميق بينهما حتى نهاية القرن. أصبح اسم إيفون فليتشر تعويذة فى بريطانيا. وفى الساحة، يوجد نصب تذكارى حجرى صغير يشير إلى المكان الذى سقطت فيه. تقع تلك الحادثة، حسبما تشير المراجعة التى نُشرت بمجلة «ذا نيويوركر»، فى مركز رواية هشام مطر الجديدة «أصدقائى»، الصادرة عن «دار راندوم هاوس»؛ إذ ترتبط جميع أحاديث قصة مطر بهذا الحدث المتغير.

«أصدقائى» يرويها ليبى منفى يُدعى خالد عبدالهادى، غادر بنغازى عام ١٩٨٣ إلى جامعة إدنبرة، ويعيش فى لندن منذ اثنين وثلاثين عامًا. فى مساء يوم ١٨ نوفمبر ٢٠١٦، قرر خالد العودة إلى منزله سيرًا على الأقدام من محطة سانت بانكراس، حيث كان يودع حسام، صديقه القديم المتجه إلى باريس.

إن مسيرة خالد، التى تبنى السرد ولا تنتهى إلا بانتهاء الرواية، تقوده من سانت بانكراس إلى مسجد ريجنت بارك المركزى، ومن هناك إلى سوهو، ومن سوهو إلى ميدان سانت جيمس، وأخيرًا إلى شبيردز بوش، حيث عاش فى نفس الشقة الصغيرة المستأجرة طوال حياته فى لندن.

هذا المساء، ينجذب خالد إلى العودة لساحة سانت جيمس، لأنه كان أحد المتظاهرين خارج السفارة عام ١٩٨٤، إلى جانب رجلين ليبيين أصبحا أقرب أصدقائه «أعطوا الرواية عنوانها»، أحدهما حسام، الذى تركه للتو فى سانت بانكراس، والآخر هو زميل طالب من إدنبرة يدعى مصطفى التونى. أثناء سيره، يستذكر خالد تاريخ صداقتهما المثلثة القوية، وتموجات حياتهما، وشكل منفاهما.

أدى وجود خالد فى مظاهرة عام ١٩٨٤ إلى جعل عودته إلى ليبيا مستحيلة. يوضح السرد أنه فى ذلك اليوم من شهر أبريل، أصيب خالد برصاصة فى رئته اليمنى، وأمضى ستة أسابيع يتعافى فى أحد مستشفيات لندن، وتم استجوابه من قبل محققى سكوتلاند يارد، وحصل على حق اللجوء السياسى فى بريطانيا، ودخل المنفى إلى جسده بشكل مصيرى وحاسم، مثل الرصاصة التى أصابته. وحسبما جاء فى «الجارديان»، ففى رواية «أصدقائى» يتجول ليبى منفى فى أنحاء لندن ويتحدث عن شبابه ومتوسط عمره، منذ أيام دراسته فى الثمانينيات حتى سقوط القذافى فى عام ٢٠١١.

وفى كلمة له عن الرواية، قال المؤلف الكولومبى خوان جابرييل فاسكيز إنها «أكثر روايات مطر سياسية»، ولكنها أيضًا تأمل حميم فى الصداقة والحب وكل شىء بينهما.

يتحدث خالد بطل الرواية كيف أن «الريح الليبية التى دفعتنا شمالًا عادت لتجرف أطفالها إلى ديارهم؟». لكن يبدو أنه ليس واحدًا من هؤلاء الأطفال. إنه رجل غير قادر على العودة إلى وطنه، وغير راغب فى كشف الوجود المتناثر والحذر الذى بناه لنفسه فى لندن. ويتأمل ذلك قائلًا: «إن الخط الذى يفصلنى الآن عن ذاتى السابقة، هو الهوة التى لا أزال غير قادر على سدها. لا يمكنك أن تكون شخصين فى وقت واحد».

3 فكرة الرواية القديمة عاودت الظهور

فى حوار أجرته معه صحيفة «الجارديان»، يقول هشام مطر عن الرواية الجديدة: «منذ سنوات مضت، عندما كنت فى باريس أكتب (بلد الرجال)، كتبت على ظهر ظرف فكرة بسيطة جدًا من سطرين لكتاب عن ثلاثة أصدقاء ذكور ينتهى بهم الأمر فى أماكن مختلفة. بدأت أفكر فى الأمر أكثر فى عامى ٢٠١١ و٢٠١٢ عندما كنت محاطًا بأصدقاء شاركوا بشكل كبير فى (الربيع العربى)، ليس فقط فى ليبيا ولكن فى مصر وتونس. لقد كان من المثير للاهتمام بالنسبة لى أن أرى أن الطريقة التى نتصرف بها فى مثل هذه المواقف قد لا تتعلق بالقناعة السياسية بقدر ما تتعلق بالمزاج الشخصى. أردت استكشاف تلك الفكرة فى رواية، ولكنى كنت بحاجة إلى الوقت والمسافة العاطفية من تلك الأحداث؛ فى ذلك الوقت لم أكن لأتمكن من كتابة مشهد مثل ذلك الذى ورد فى الكتاب عن مقتل القذافى».

وردًا على سؤال: «حدث إطلاق النار عام ١٩٨٤ على مظاهرة السفارة الليبية فى لندن هو مفتاح الحبكة، وكان عمرك ١٣ عامًا حينها. هل جعل ذلك من الصعب الكتابة عنه؟»، قال مطر: لقد شعرت دائمًا أننى قريب من هذا الحدث، رأيته فى نشرة الأخبار أثناء إقامتى فى القاهرة، وقد ترك أثرًا عميقًا فى نفسى. لم أنس أبدًا منظر الشباب الليبيين الملثمين وهم يتلوون على المدرج. أتذكر أننى سمعت أحدهم ينادى على والدته، وبعد خمس سنوات، أثناء دراستى فى لندن، أصبحت صديقًا لنفس الرجل، ولم أكن أعرف لفترة طويلة أنه كان هناك. وأصيب صديق آخر «التقى به مطر لاحقًا» فى ذلك اليوم. واستطرد: «لا أذكر أننى جلست معهم يومًا وقلت لهم: أخبرونى كيف كان الأمر. لكن على مدى ٣٥ أو ٤٠ عامًا من معرفة شخص ما، يمكنك جمع أجزاء من المعلومات الأكثر أهمية. كنت قلقًا بشأن جعل الأشخاص الذين أعرفهم يشعرون بأننى أستحوذ على تجربتهم، لكن هذا هو ما أراد الكتاب أن يصل إليه».د

> اختطف والده من شقة العائلة فى القاهرة واختفى فى فم الدولة الأمنية الليبية

أسطورة أحمد خالد توفيق

اللَّيْلُ وقتٌ مناسبٌ للكتَابَة وظهور العفَاريت، ويظنه أغلب الكتاب مناسبًا للإلهام. مِنْ بينِهِمُ الدُّكْتُور أحْمَد خالدْ تَوْفِيق، الَّذِى اعتَادَ أنْ يكتُبَ لمُدَّة ٤ سَاعَات بعدَ مُنْتَصَف اللَّيْل، تحديدًا بعدَ أنْ ينَامَ الجميعُ، ففى اللَّيْل تسكُنُ حركَةُ البَيْت، تتوَقَّفُ السَّيَّارَاتُ عَنْ نِدَاءَاتِهَا، يخْفُتُ صَوْتُ الجيرَان وأطفالِهِمْ، ومِنْ ثَمَّ تخْرُجُ شخوصُهُ آمنَةً مِنْ رأسِه إلَى الورَقَة البيضَاء.

جلَسَ العرَّابُ أمَامَ مكتبِه شَارِدًا. دقَّت السَّاعَةُ مُعْلنَةً الثَّانيَةَ عشرَةَ صبَاحًا، فَانتَبَهَ إلَى أنَّ ثمَّةَ شيئًا طَارِئًا. الْوَقْتُ يمُرُّ كحبَّات رَمْل بينَ أصابُعَيْه، بينمَا الأفكَارُ تُطلُّ مِنْ رأسِه مبتورَةً.. فسَدَّةُ الكَاتِب أو writer block الَّتِى أصَابَتْهُ، تجْعَلُ الأمْرَ فِى رأيِه «شبيهًا بجفَاف عصَارَةِ الحيَاة فِى جسدِه».

استعَدَّ الدُّكْتُورُ أحْمَد خَالد تَوْفِيق لتِلْكَ الحالَة مُسْبَقًا. أعدَّ ملفًا للأفكَار عَلَى جهَاز الكُمْبُيُوتَر الخَاصّ به، سجَّلَ فيه ملَاحظَات كَانَ قدْ دوَّنَهَا فِى ورقَة لَا تفَارقُهُ أبدًا. ملَأهَا بجُمَل قصيرَة، كُتبَتْ بخطٍّ سيِّئ، لَا يُمْكِنُ لغيرِه قرَاءَتُهَا، وربمَا لَا يستَطيعُ هُوَ أيضًا إنْ مرَّ وقتٌ طويلٌ دُونَ نَقْلِهَا. الآنَ لمَّا أصَابَتْهُ سَدَّةُ الكَاتب، انتبَهَ إلَى كنزِه المُخبَّأ فِى جهَازِه الخَاصّ، فتحَهُ وأخَذَ يقرَأُ لسَاعَة أخْرَى، وعَلَى ضخَامَة الملَفّ الَّذِى تجَاوَزَ المئَتَىْ صفحَة، إلَّا أنَّهُ لَمْ يُسْعفْهُ.

بَقِىَ العرَّابُ يستَجْدِى الأفكَارَ، ينْظُرُ فِى سَاعتِه كأنَّهُ عَلَى موعِد، يَمْشِى فِى الغرفَة دُونَ وجهَة، ثمَّ اتجَهَ إلَى النَّتيجَة المُعَلَّقَة عَلَى الجدَار، لِيَنْتَزِعَ ورقَةَ اليوم؛ ليقرَأَ الحكمَةَ المكتوبَةَ أسفلَهَا، علَّهَا تَصْلُحُ مدخلًا لقصَّة أوْ مقَال. لكنَّهُ وبعدَ أنْ نزَعَ ورقَةَ يَوْمَ «الإثنَيْن» المُنْتَهى مُنْذُ سَاعَات، فوجئَ بأنَّ الورقَةَ التَالِيَةَ كَانتْ ليوم الأربعَاء، دُونَ خَطأ فِى ترتيب توَاريخ الشَّهْر، فقَالَ بعدَمَا تأكَّدَ أنَّهُ انتزَعَ وَاحدَةً فقَطْ، إنَّ ورقَةَ «الثُلَاثَاء» ربمَا سقطَتْ سهوًا أثنَاءَ إعدَاد النتيجَة، فغيَابُ ورقَة اليَوْم لَا يَعْنِى شيئًا بالتأكيد.

يُحبُّ العرَّابُ التَّشَكُّكَ، يُؤْمِنُ بأنَّ الثقَةَ الكَاملَةَ هلَاكٌ كَامِلٌ، ومِنْ ثَمَّ جلَسَ يمَارِسُ لعبَةَ الاحتمَالَات، فقَدْ يكُونُ غيَابُ ورقَة النتيجَة صُدفَةً، أو رُبَّمَا مزَّقَهَا شَخْصٌ وهوَ يعْبَثُ فِى مكتبِه، لكنَّهُ لَمْ يمنَعْ نفسَهُ مِنَ الشعور ببَعْض القَلَق. فالصُّدَفُ تُخبِرُنَا بأشيَاءَ لَا ندركُها إلَّا بَعْدَ فَوَات الأوَان، فثمَّةَ علَاقَةٌ بَيْنَ الصُّدَف واللَّيَالِى الَّتِى تحْمِلُ أنبَاءً غَيْرَ سَارَّة.

رَنَّ هَاتفُ المنزِل، نظَرَ إلَى سَاعَة الحَائط، فوجَدَهَا الثَّانيَةَ صبَاحًا. لَمْ يعْتَدْ أنْ يتَّصلَ بِه أحَدٌ فِى وَقْت مُتَأخِّر مِنَ اللَّيْل، تردَّدَ لحظَاتٍ ثمَّ سرعَانَ مَا وضَعَ السمَّاعَةَ عَلَى أذنِه:

- ألُو
- إزيك يا دكْتُور أحْمَد
- مينْ حَضرتَك؟
- أنت مَا تعْرَفْنِيشْ، لكنْ أنَا أعْرَفَكْ كوَيْس
- طيِّبْ مُمْكِن أعرَفْ مِين حضرتَكْ ومتَّصِلْ ليهْ فِى الوَقْت دَا؟
- التِّليفُون مِشْ مكَانَ مَنَاسب نتْكَلَّمْ فيهْ، بكرَهْ هَسْتَنَّاك بعْدَ أذَانِ العَصْر عندَ استَاد طنطَا.. مكَانْ مَا بتْقَفْ بعرَبيتَكْ لوَحْدَكْ
- وأنْتَ ليهْ مُتَأكِّد إنِّى هَاجِي
- هتيجِي.. الأمْر خَطِيرْ يَا دكتور، ولَازِمْ نتقَابل فِى أسرَعْ وَقْت.

شَعَرَ الدُّكْتُور أحْمَد أنَّهُ يَعْرِفُ صوتَ المُتَّصل، وإنْ لَمْ يُمَيِّزْ صَاحبَهُ، لكنَّ ذلكَ لَمْ يُطَمْئِنْهُ إلَى الذهَاب فِى المَوْعد المُحَدَّد. قَالَ إنَّهُ لَنْ يذهَبَ للقَاءِ شخص يَجْهَلُ هُوِيَّتَهُ، لكنَّ المُتَّصلَ أكَّدَ لهُ أنَّ الأمْرَ خَطِيرٌ، وحضورُهُ ضرورِىٌّ، كذلكَ فلَنْ يُعَطِّلَهُ كثيرًا، فغيَابُ يَوْم عَنْ عمَلِه الجَامعِىِّ لَا يَعْنِى نهَايَةَ العَالَم. انتَبَهَ العرَّابُ إلَى معرفَةِ الآخِر بمَوَاعيد عَمَلِه، لكنَّ هذَا أيضًا أمرٌ معروفٌ بالنسبَة للكثيرِينَ، فمَا كَانَ مِنَ العرَّاب إلَّا أنْ قَالَ لَهُ فِى توجس:

- أكيدٌ أنَا مِشْ فَاضِى لهزَار حَضرتَكْ.. وأتمنَّى مَا تتَّصِلْشْ فِى وَقْت مُتَأخِّر تَانِى.

لَكِنَّ الآخرَ أنْهَى المكَالمَةَ مَعَهُ قَائلًا: هستنَاك بكرَهْ يَا بَدَوَّرْ عليكْ.. أنَا بسْ عَايزْ أكَّدْ لَكْ إنَّ وُجُودِى مَالُوشْ علَاقَة بفرضيَّة التَّوْأمْ أو التَّوْأمْ السِّيَامى، وإنْ كَانَتِ النسخَةُ الجينيَّةُ هِىَ الفرضيَّةُ الأقرَبُ للصَّحّ.

تحرك العراب خطوات نحو سيارته، ثم التفت له قائلًا:

- فلْنَفْتَرِضْ إنِّى اقتنَعْت بكلَامَكْ.. أنتَ عَايزْ منِّى ايه؟

نظَرَ الآخَرُ فِى عينَى أحْمَد خَالد تَوْفِيق لثوَان. اقتَربَ منْهُ كأنه يتحَسَّسُ موضِعَ الكلَام فِى نفسِه، ثمَّ سرعَانَ مَا أدَارَ ظهرَهُ مَاشيًا بضْع خطوَات، وهُوَ يَقُول:

- بُصْ يَا دُكْتُور أحْمَد، كُلُّ وَاحد فينَا بيعيش حَيَاةْ مُمِلَّة، حَيَاة أسْرِيَّةْ عَادِيَّة جدًا، ويُوم وَظِيفِى بيتْكَرَّرْ.. حتَّى الكتَابَة بقَتْ فعْل مُمِل.. لكنْ فِى نَفْس الوَقْت كُلّ وَاحدْ فينَا بالنسبَة للتَّانِى حيَاةْ مُخْتَلفَة، عالَمْ جَدِيد، فيهْ مفَاجَآتْ وَاختيَارَاتْ غَرِيبَة.. عَلشَان كدَا فكَّرْت إننَا نبدِّلْ الأدوَار، أنْتَ هتْسَافرْ للعَالَمْ بتَاعِى هتْعيشُه بكُلّ اللِّى فيهْ مِنْ مغَامرَات.. وأنَا هفْضَلْ مكَانَكْ هنَا.. وبكدَا نقْدَرْ نكْسَرْ حالَةَ المَلَلْ اللِّى عَايشينْهَا.

وقَفَ العرَّابُ مشْدُوهًا مما سَمِعَ، قَدْ فَارقَت البسمَةُ وَجْهَهُ، ولَمْ يبقَ غيرُ الغَيْظ يكْسُو ملَامحَهُ. تذَكَّرَ أنَّهُ فِى عَام ١٩٩٨ جَعَلَ رفْعَت إسْمَاعيل يوَاجِهُ نَفْسَ الأمْر، أرسَلَ إلَيْه نسخَتَه تطَالبُهُ بالرَّحيل إلَى عالَم آخَر، فرفَضَ، وَهُوَ لَا زوجَةَ لَهُ ولَا أبنَاء. فكيفَ يتخيَّلُ ذلكَ الآخَرَ، إنَّهُ سَيَتْرُكُ أسْرَتَهُ ويسَافرُ؟

- لكنَّ نسخَةَ العالَم الآخَر منْ رفْعَت إسْمَاعيل مَا نجْحتْش فِى خُطَّتهَا، وفِى النهَايَةْ كُلّ وَاحدْ منهُمْ فضِلْ فِى العالَمْ بتَاعُهْ.

قَالهَا الدُّكْتُور أحْمَد خالدْ تَوْفِيق، وهُوَ يحَاولُ مجَارَاتَهُ فِى الحديث. حينهَا انفرجَتْ أسَاريرُ الآخَر وهُوَ يقولُ: صَحيح، وأنَا اتَّعلَّمْت منْ أخْطَائه.. علشَانْ كدَا اختَرْت أقْصَر الطُّرُق عَلشَانْ أوصَلْ لَكْ. مَا حاوْلتْش تَدْمير حيَاتَكْ زَىْ مَا عمَلَ قَرِينْ رفْعَتْ.. وخلِّينَا نتَّفقْ عَلَى مُسَمَّى القَرِين، وإنْ كُنْت شَايفْ إنْ أقْرَبْ توصِيفْ هُوَ الآخَرْ، فأنَا أحْمَد خَالد تَوْفِيق زَيْكْ بالظَّبْط.. عَلَى أىْ حَالْ أنَا مشْ حَاببْ أجْبرَكْ عَلَى حَاجَة، وشَايفْ إنْ الأفْضَلْ نحْتكمْ للعَقْل.

سَأَلَهُ العَرَّابُ عَنْ سرِّ تأكُّده منْ قَبُولِه بالسيناريُو الَّذِى رسَمَهُ، فقَالَ لأنَّهُ ليسَ أمَامَهُ غَيْرُ هذَا، كمَا أنَّهُ الأحَقُّ بحيَاة أحْمَد خَالدْ تَوْفِيق. ففِى العالَم الآخَر، سبَقَهُ وقتُ الميلَاد بدقَائقَ، أىْ إنَّهُ قرينُهُ الأكْبَرُ وحرِىٌّ بِه أنْ يُطيعَ أوَامرَهُ، فَإنْ شئْنَا الدِّقَّةَ فهُوَ الدُّكْتُور أحْمَد خَالد تَوْفِيق الحقِيقى. أحَسَّ العرَّابُ أنَّ المَسْألَةَ أكبرُ منْ تَبْديل الأمَاكن فِى عوالمَ مختلفَة، بَلْ هُوَ صرَاعٌ عَلَى الهُوِيَّة، أىُّ مَنْ فيهِمُ الحَقِيقىُّ ومَنِ المُزَيَّف.

رَغْمَ طيبَةِ قَلْبِه، طالَتْهُ نيرَانُ الغَضَب، وهُوَ مَا ظهَرَ عَلَى عينَيْه الجَاحظَتَيْن، وقبضَةِ يدِه المضمومَة استعدادًا للقتَال، لولَا أنَّ نُصْحَهُ الآخَرَ أنْ يَتَعَلَّمْ منْ أخطَاء رفْعَت إسْمَاعيل أمَامَ قرينِه، فخُطَطُ القَتْل بالخَنْق والرمى بالرصَاص، والقَتْل منْ عَل، أو حَتَّى بالسُّمّ، لنْ تُجْدِىَ نفعًا. لَا سيمَا وأنَّهُ يَقْرَأُ أفكَارَهُ بمجرَّد النظَر إلَى عينَيْه.

- لَا.. أنتَ مُجَرَّد شَخْص نصَّابْ.. وأنَا هَبَلَّغْ الشُّرْطَة.

قَالهَا الدُّكْتُور أحْمَد خَالد تَوْفِيق محَاولًا تهدِيدَهُ، فردَّ الآخَرُ فِى ثبَات:

أظنُّ إنَّكْ محتَاجْ تهْدَا يَا دُكْتُور.. تفْتكرْ دكتور.. أهُو عَلَى الأقلّ أردُّ لَكَ ورقَةَ النتيجَة.

- آسف يَا دُكْتُور.. عَارفْ إنَّك بتْحبّ الالتزَامْ بالمَوَاعيد.

بعْدَ أذَانِ العَصْر، كَانَ العَرَّابُ يَقفُ أمَامَ استَاد طنطَا. لَمْ يَقْطَعْ شُرودَهُ سوَى ذلكَ الصوت. الَّذِى سَرْعَانَ مَا استدَارَ نَاحيتَهُ، عَلَى وجْهِه ابتسَامَةٌ انزَوَتْ تَحْتَ هَوْل المفَاجَاة. فهُوَ لَمْ يَجِدْ أمَامَهُ وحشًا قبيحًا، أوْ عفْرِيتًا تخرُجُ النَّارُ منْ أذْنَيْه. لكنْ حَسَبَ قَوْلِه فِى «أسطورَة رفْعَت»، إنَّ «أشنَعَ مسخ يُمْكِنُ للمَرْءِ أنْ يلقَاهُ هُوَ نفْسُهُ» وهذَا بالضَّبْط مَا وُجِدَ!

كَانَ يُشْبِهُهُ تمَامًا، بأنْفِه الكُمَّثْرِيَّة الَّتِى تحْمِلُ نظَّارَةً سميكَةً، وعَيْنَيْه الضيقَتَيْن اللتَيْن يعلُوهُمَا حوَاجبُ عَرِيضَةٌ، حَتَّى تَسْرِيحَة شَعْرِه الَّتِى تُشْبِهُ موظَّفى المصَالح الحكومية، وكذلك هيئَتُهُ الَّتِى تنَاسبُ مدرِّسَ أوَّل لغَة عربيَّة. الآنَ عرَفَ أحْمَد خَالد تَوْفِيق أنَّ الَّذِى وَصَّلَهُ عبرَ الهَاتف كَانَ صوْتُهُ، لكنَّهُ خرَجَ منْ حنجرَة رَجُل آخَر.

- أنت مين؟

لَمْ يَتْرُكِ العَرَّابُ نَفْسَهُ كثيرًا أمَامَ تِلْكَ الحيرَة، فسرعَان ما خرج سؤاله عفويًا،

فالسؤَالُ عَنْ هُوِيَّة ذلكَ الشخص كَانَ بَدِيهيًا، حَتَّى إنَّهُ خَرَجَ عفويًا مُنْدَفعًا: إنْتَ مِينْ؟

فجَاءَهُ الرَّدُّ غيرَ متوَقَّع: أنَا أحْمَد خَالدْ تَوْفِيق.

ضَحِكَ العَرَّابُ بصَوْت عَال، وهُوَ يحَاولُ استجمَاعَ الرَّدّ المنَاسبَ، لكنَّ سُعَالَهُ الَّذِى خرَجَ مُتَحَشْرجًا جعَلَهُ يَضْحَكُ ضحكَات متقطعَةً، وهُوَ يَقُولُ: عمَلْتهَا قَبْلَكْ.. أظنُّ هَتْقُولْ إنَّ «ضخَامَةَ حَجْم الكَوْن غَيْرُ المتنَاهيَة، خَلَّتْ مجرَّات عَديدَةً تَمُرُّ بنَفْس الظرُوف اللِّى مَرَّتْ بيهَا مجَرَّتْنَا، والمجَرَّات دِى فيهَا شُمُوسْ، وحَوْلْ كُلّ شَمْس كَوَاكبْ، يُمْكِنْ كَوْكَبْ فيهِمْ مَرّ بنَفْس ظُرُوف الأرْض، وبكدَهْ بَقَى فِى الكون ألْف «رفْعَت».. أقْصدْ ألْف أحْمَد خَالد تَوْفِيق فِى الكَوْن فِى اللحْظَة دِى.

- دا بالظبط اللى كنت هقوله.. بس مش غريبة.. ما إحنا يعتبر واحد.

الردّ الآخَرُ جَعَلَ الدُّكْتُور أحْمَد خَالد تَوْفِيق يَضْحَكُ مرَّةً أخْرَى، وهُوَ يَقُولُ: خلِّينِى أقول لَكَ عَلَى حَاجَة.. القصَّةُ اللِّى انْتَ بتْقَلِّدْهَا دلْوَقْتِى أنَا اللِّى كتَبْتهَا، مقَابلَةُ رفْعَت إسْمَاعيل لنَفْسه فِى العَام ١٩٧٠، كَانتْ فكْرتِى فِى الأسَاس، أنَا اللِّى خَلِّيت الشَّخْص يتَّصلْ بيه عَلَى الهوَاء فِى الإذَاعَة، ويقُولْ إنَّهُ هُوَ رفْعَت الحَقِيقى، ويحْكِى ذكْرَيَاته، وأنَا اللِّى نسَجْتُ الصرَاعَ والمشَاكلَ اللِّى اتْعَرَّضْ لهَا رفْعَتْ، وأنَا برْضُو اللِّى خلَقْتْ لهَا الحلّ.. فهَلْ تفْتكرْ إنِّى هَصَدَّقْ كدْبتَكْ دى؟

- مِشْ هنْختلفْ فِى كُونَكْ إنْت اللِّى كَاتبْ القصَّة.. لَكِن اللِّى مَا تعَرْفُوشْ إنَّهَا فكْرتِى فِى الأسَاس.. كَانتْ مُحَاولَةْ للتوَاصُلْ معَاك.. كتيرْ كُنْت بمَلِّى عَليكْ الأفكَارْ وأنْتْ نَايمْ، علشَانْ تقبَلْ بَعْدَ كدَا فكرَةْ وُجُودْ عَوالمْ موَازيَةْ، وَوُجُودْ نُسْخَة مِنْ كُلّ شَخْص، وإنْ مُمْكِنْ نُسْخَة مِنَ النُّسَخْ دِى تيجِى فِى أيْ وَقْت وبأىّ شَكْل، وتحَاولْ تَسْتَبْدِلْ العَوَالمْ مَعَ نسخَةْ تَانيَةْ!

قَطَّبَ العَرَّابُ جَبِينَهُ غَاضبًا، هُوَ قَدْ يَقْبَلُ بوجُود نسخَة تطَابقُهُ، تشَارِكُهُ الملَامحَ، أو تقْتَربُ منْ طبَاعه، أمَّا الحَديثُ بشأنِ أنَّهُ يُمْلِيه أفكَارَهُ فهذَا مرفوضٌ. حذَّرَهُ مِنْ تَكْرَار كلَامِه مرَّةً أخْرَى، فلَمْ يحَاولِ الآخَرُ تأكيدَ القَوْلِ أوْ نَفْيَهُ، بَلْ تجَاوزَهُ متسَائلًا:

- دُكْتُور أحْمَد.. أنت بتُؤْمنُ بوُجُود عَوَالمَ موَازيَة ولا لأ؟

- آهْ أؤمنُ بوُجُود عَوَالمَ أُخْرَى غَيْر عَالَمْنَا.. لكنْ مَبَدَوَّرْش عَليهَا.

- يبْقَى مُمْكِن تُؤْمن إنَّ فِى بَشَر عَايشِين هنَاك، عَارفِين بوُجُودكم وبيِّدَوَّرُوا عليكُمْ.. وأنَا عشْت سنِينْ هيَصَدَّقُوك.. وحَتَّى لَوْ الشُّرطَةْ صَدَّقتَكْ هتعْمَلْ إيهْ مَعَ الصَّحَافَة والتِّليفزْيُون.. مَا أظُنّشْ إنَّك هتبْقَى مَبْسُوطْ بخَبَرْ التَّشْكيكْ فِى قُوَاك العقليَّةْ.. تقدَرْ تقُولْ لى هتقْنعْهُمْ إزَّاى؟ هتُطْلُب تحليلْ دى إنْ إيهْ مثلًا، هيلَاقُوهْ مُتَطابقْ.. هتْأكَّدْ لهُمْ إنَّكْ الشَّخْص اللِّى هُمّ يعْرَفُوهْ وهتحْكى لهُمْ عَنْ ذكْرَيَاتكْ معَاهُمْ، بسيطَةْ، سَبَقْ وَقُلْت لَكْ إنِّى أعْرَفْ كُلّ حَاجَةْ عَنَّكْ.. كُلّ وَاحدْ فينَا يعْرَفْ عَنِ التَّانى اللِّى مَا حدّشْ يعْرَفْهُ غيرُه، دَا باستثْنَاءْ رفْعَت إسْمَاعيل، طبعًا هُوَ أكْتَرْ شَخْص يعْرَفْ أحْمَد خَالدْ تَوْفِيقْ.

لمَعَتْ عَيْنُ الآخَر، وكأنَّهُ اكتشَفَ الحلَّ لتوِّه، ثمَّ قَالَ: عنْدِى فكْرَةْ.. إيه رَأْيَكْ لَوْ خَلِّينَا الشَّخْصيَّةْ الرِّوَائيَّةْ هِىَ اللِّى تقرَّرْ مَصيرْ كَاتبْهَا ولَوْ لمرَّةْ وَاحدَةْ؟

- مِشْ فَاهمْ؟

- أقُول لَكْ.. دَايمًا إحْنَا اللِّى بنْحَدِّدْ مَصيرْ أبْطَالْنَا، نخْلقْهُمْ عَلَى الوَرَقْ ونصْنَعْ لهُمْ العَالَمْ اللِّى إحنَا شَايفينْهُ مَنَاسبْ ليهُمْ، نكُونْ لهُمْ أسرَة.. أوْ نخَلِّيهُمْ يعيشوا فِى وحدَةْ، ومُمْكِنْ كمَان نقْتلْهُمْ لَوْ حَابِّين.

- بَرْضُو مَفْهمْتشْ تقصْدْ إيْه؟

- ببَسَاطَة.. إيهْ رَأْيَكْ لو خَلِّينَا الحلّ فِى إيدْ رفْعَت إسْمَاعيل؟ وهُوَ اللِّى يقَرَّرْ مينْ فِينَا يَسْتَحقّ إنُّه يفْضَلْ فِى العالَمْ الأرْضى، ومينْ اللِّى يرْحَلْ للعالَمْ الآخَرْ.

بدَا على العَرَّاب استحْسَانُه الفكرة، رغم أنَّه يخَافُ رفْعَت إسْمَاعيل وتَصَرُّفَاتِه الحمقَاءَ. قالَ الآخَرُ إنَّهُمَا سيتفقَانِ عَلَى موعِد يذهَبَانِ فيهِ إلَى منزِل رفْعَت، يَعْرِضَانِ عليْه الأمْرَ، ويطلبَانِ مِنْهُ أنْ يُقيمَ لهمَا مُنَاظرَةً، أىْ يَطْرَحُ عَلَى كُلّ منْهُمَا أسئلَةً متعلقَةً بحيَاة أحْمَد خَالد تَوْفِيق، يستَطيعُ مِنْ خلَالهَا أنْ يحْكمَ بينَهُمَا.

استنَدَ الدُّكْتُور أحْمَد خَالد تَوْفِيق إلَى سيَّارَتِه، صمت لدقَائق، ثم سأَلَ عَنْ وسيلَة السَّفَر إلَى العالَم المَوَازِى. قَالَ الآخَرُ إنَّهُ سيَتَدَبَّرُ الأمر وَقْتَهَا. رَاحَ العَرَّابُ يُفَكِّرُ فِى عوَاقب قرَارِه، فإنْ رفَضَ لا يدرِى مَاذَا سيفعَلُ ذلكَ المخبُولُ فِى حيَاته، وإنْ قَبِلَ فَقَدْ يفقدُ هُوِيَّتَهُ إلَى الأبد. كمَا أنَّ هَزِيمَتَهُ فِى المنَاظرَة تعنِى خسَارَتَهُ لحيَاته فقَطْ، أمَّا رَفْضُهُ فقَدْ يُعَرِّضُ أبنَاءَهُ وزوجتَهُ للخَطَر. أيضًا تذَكَّرَ السَّاعَاتِ الَّتِى قضَاهَا يُعَانِى سَدَّةَ الكَاتب، وَاحتيَاجَهُ لمغَامرَة تَصْلُحُ أنْ تكُونَ عملًا أدبيًا. فتحَرَّكَتْ دَاخلَهُ روحُ المغَامرَة، وأحَسَّ برغبَة فِى كَشْف سرِّ القَادم مِنْ عَالَمِه المُوَازِى.

سأَلَ العَرَّابُ عَنْ مَوْعد المنَاظرَة، فقَالَ الآخَرُ: يُوم الثَّلَاث.. يعْنِى بعْدَ أسْبُوعْ مِنْ دلْوَقْتِى.

اتفَقَ الاثْنَانِ عَلَى أنْ يَلْتَقيَا يَوْمَ الثلَاثَاء فِى نَفْس المكَان، ليَذْهبَا معًا إلَى رفْعَت إسْمَاعيل وتعَاهَدَا عَلَى ألَّا يذهَبَ أحَدُهُمَا بمفْرَدِه، ثمَّ انصَرَفَ كلٌّ منهمَا فِى طَرِيقِه. رَكِبَ أحْمَد خَالد تَوْفِيق سيَّارتِه عَائدًا إلَى منزِلِه، بينمَا رفَضَ الآخَرُ أنْ يَنْقلَهُ إلَى محلّ إقَامتِه، قَائلًا إنَّهُ سيَتَدَبَّرُ أمْرَهُ بنفسِه. ولكنْ قَبْلَ أنْ يتحرَّكَ أحْمَد خَالد تَوْفِيق، نظَرَ إلَى الآخَر متسَائلًا:

- فينْ ورقَةِ النَّتيجَةْ؟

فأجَابَ الْآخَرُ: خليهَا للمرَة الجَايَّة.

فِى الطَّرِيق بَقِىَ العَرَّابُ يُفَكِّرُ فِى ذكْرَيَاته الَّتِى قَدْ يسْأَلُهُ عنهَا رفْعَت إسْمَاعيل، عَازمًا عَلَى أنْ يَسْتَعِينَ بذَاكرَة مَنْ عَرَفُوهُ. هُوَ يَعْرِفُ أنَّ مَصيرَهُ الآنَ أصبَحَ فِى يد رجل ثرثَار لَا يَمَلُّ الكَلَامَ عَنْ نفسِه، فعصَا مكنسَة صلعَاءَ تدخُّ كبرْلِينَ حينَ دخَلَهَا الحلفَاءُ، هِىَ مَنْ ستُقَرِّرُ وجودَهُ أو فنَاءَهُ.

جابر

> لمَعَتْ عَيْنُ الآخَر، وكأنَّهُ اكتشَفَ الحلَّ لِتوِّه، ثُمَّ قالَ: عِنْدِى فِكْرَة.. إيه رَأيْكَ لَوْ خَلَّينَا الشَّخْصيَّةْ الرِّوَائيَّةْ هِىَ اللِّى تقرَّرْ مَصيرْ كَاتبْهَا ولَوْ لِمرَّةْ وَاحدَةْ؟

> سَأَلَهُ العَرَّابُ عَنْ سِرِّ تأكُّدِهِ مِنْ قَبُولِهِ بِالسيناريُو الَّذِى رسَمَهُ، فقَالَ لأنَّهُ ليسَ أمَامَهُ غَيْرُ هذَا، كمَا أنَّهُ الأحَقُّ بحيَاة أحْمَد خَالدْ تَوْفِيق. ففِى العالَمِ الآخَر، سبَقَهُ وقتُ الميلَادِ بدقَائقَ، أىْ إنَّهُ قرينُهُ الأكْبَرُ وحرِىٌّ بِه أنْ يُطِيعَ أوَامرَهُ، فَإنْ شِئْنَا الدِّقَّةَ فَهُوَ الدُّكْتُور أحْمَد خَالِد تَوْفِيق الحَقِيقِى

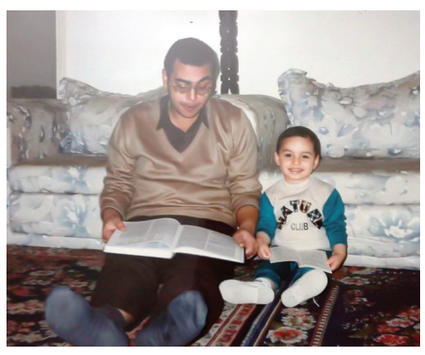

أروى

بقلم: د. صفاء النجار

من رواية مقامات الغضب

طيور الأسى والمرح الرسام الروسى: فيكتور فاسنستوف (1848-1926)

مثل كثيرين أفعل كل يوم أشياء عديدة، لكنى فى الحقيقة لا أفعل شيئًا.. أبدد طاقتى فى كل الأفعال؛ أصحو، أذهب للعمل، أحب، مثل كثيرين أفعل كل يوم أشياء عديدة، لكنى فى الحقيقة لا أفعل شيئًا .. أبدد طاقتى فى كل الأفعال؛ أصحو، أذهب للعمل، أحب، أكره، لكن لا أثر، لا نتيجة. كل ما أفعله صاخب، مشتعل، منفجر؛ بوم.. بوم، ثم لا شىء.. هدم.. هدم.. معول يسقط على كتلة، بناية، علاقة، رابطة، فتطير أجزاء الكل دون اعتبار لأى قانون أو قاعدة، ينهار المتماسك، يتفتت الصلب. تتطاير شظايا، أجزاء مشوهة، منبعجة، لا يمكن تجميعها تلقائيًا، قد يتمكن الضغط، أو التحوير من تجميع المتشظى، حيث تتوالد المخلوقات الخربة، الرعب المجسد لعدم الانسجام، عدم التوازن.

أنا واحدة من الكائنات التى تتشظى طوال يومها، وفى الصباح التالى تعيد تركيب أجزائها.

أقرب ما أكون للعروسة «تشاكى»، «أنا تشاكى.. هل تريد أن تلعب؟».

لا. ليس اسمى «تشاكى»، اسمى أروى.. أسمانى أبى أروى، كيدًا فى أمى التى كانت ترغب فى تسميتى «منة»، لكنه سجل اسمى فى الشهادة أروى، وفرض اسمى عليها.

لا يعرف أبى معنى اسمى، فهو يختار الأشياء اعتباطًا، لا يعرف عالم المعانى أو الدلالات، لكنى أعرف، المعرفة الآن متاحة إلى حد التخمة، ضغطة على الموبايل تقدم لك معرفة العالم، ضغطة تختزل كل الجهود وتقدمها لك كى تتباهى أكثر وأكثر بما لم تتعب فيه..

اسمى أروى، أنا: النعومة والخفة والرشاقة.

اسمى أروى: العطوفة والحنونة، الطيبة القلب والمتسامحة فى أغلب الأوقات.

اسمى أروى: المحبة للتسلية والمرح. الذكية جدًا والتى تعرف متى تتكلم ومتى تصمت، ويسهل عليها إقناع الناس بما تريد.

إذا رأيتنى، ستجذبك براءة شابة جميلة تعانى منذ أصبحت فى الصف الخامس من تفتيش الراهبات وإصرارهن على مسح رموشها الطويلة للتأكد من أنها لا تضع ماسكارا، أهدابها الطويلة تلقى ظلالًا على خد بارز الوجنتين، تجعلك تدرك أن سحر نظرتها يتأكد بهذه الإغماضة والكثافة التى تحمى سرًا، لا تريد لأحد أن يطلع عليه.

تحترف اللعب بالكوتشينة، تعلمتها من جدتها «هانم»، جدتها لأبيها.

الجدة.. قوية، واسعة الحيلة، لكنها سهلة الخديعة، متقلبة المزاج تنتقل بين الضحك والصراخ فى لحظة، هى امرأة بلا قوانين غير قانون مزاجها، تتغير القواعد وفقًا لحدته، تعكره، روقانه، فيمكن للصغيرة أن تهمس لها وهى تشير لورقة كوتشينة: تيتة، البنت الجميلة الحلوة دى هى اللى تكوش. تفقد الجدة العجوز موروثها، وتهز رأسها ضاحكة: البنت اللى بتكوش.

تبتسم البنت وهى تضع قواعد وتهدمها، يومًا وراء يوم يشتد عودها وتمارس ألعابًا أكثر دربة وخبرة، وتخترع ألعابًا جديدة، لم يسمح بها أحد، وهى التى ستتحكم فى قواعدها قربًا وبُعدًا، بداية ونهاية. مع ماما، بابا، جدو، كل مدرس ومدرسة وكل زميل، وعندما تتخرج ستجد السيرك الأكبر منصوبًا.. المسألة هى اللعب.. ليس المرح أو التهريج أو المزاح. لكنه اللعب فحسب.. كأنه يتيح لها/ لك، الهروب من المسئولية، الخروج عن القواعد، ليس القواعد فلكل لعبة قوانينها التى يجب أن يعرفها اللاعبون قبل أن يبدأوا اللعبة، لكن ماذا عن تغيير القوانين، ماذا عن الألعاب الارتجالية، عن مهارة اختراع ألعاب جديدة تحوير، القواعد المتفق عليها، طمسها، تشويشها؟

يبدأ الأمر بتحريف صغير فى القاعدة بتغيير لون، موضع البداية: إحنا بنكوش بالبنت.

ليس عليها إلا أن تكرر العبارة بثقة وضغط على كل مخارج الحروف اللاهثة والشفهية.. وهى تصوب عينيها لمن يلعب معها، ثم تغلق الكادر برموشها كأنها تأتمنه على سر خاص بينهما.

ترفض ماما هذه الألعاب، تصر على أن أحترم القواعد والأصول رغم أننى لم أعد طفلة، وهى نفسها ذاقت المر من قواعدها وأصولها.

ها أنا أعيد تركيب وجهى وألطع عليه ابتسامة تناسب الرضا الذى يغمر ماما حتى لا أعلق فى دروس التنمية البشرية التى تحرص على حضورها؛ كيف تحافظين على رشاقتك؟ تساؤل يليق بالسيدات الفارغات، لذا لا بد من تطعيمه بشىء من: كيف تكسبين الثقة بالنفس، كيف تتحكمين فى غضبك؟ كيف تطورين علاقاتك؟ الجيم وصالات اليوجا، حلقة من الحلقات المفرغة التى تتوه فيها النساء، لا بد من التفخيم وإضافة دبلومة التغذية الخلوية، دبلومة المهارات الاتصالية، حتى تعبير التنمية البشرية، أصبح «أكلشيه» مستهلكًا، باليًا، يشبه الشعارات السياسية التى لم يتحقق منها شىء.

كل دروس التنمية الذاتية لم تستطع أن تغير علاقتى بماما، دائمًا هناك اعتراض منها على شىء، ودائمًا هناك طلب منى لشىء، أى منا لم يتغير رغم تجاوزى مرحلة المراهقة.. الخلافات المتكررة، تستنزف طاقتى، أهرب لسريرى، أهرب لشاشتى الصغيرة، الفرق الموسيقية الجديدة، العالم يتجه شرقًا لليابان، لكوريا، الشجار لا ينتهى بينى وبين ماما حتى إنى أسميها «السيدة التى تقيم فى الغرفة المجاورة»، أحاول أن أبتعد بعالمى عنها، بالصراخ، بالمراوغة.. لكن أعود وأحتاج إليها؛ علاقتنا باليومية، بالقطاعى. تتهمنى بالسطحية، بالتسرع، هذه حقيقة، لكنى لا أراها صفة سلبية، من يريد العمق؟ من يريد هذا الحكمة فى زمن اللا عقل؟

عرضوا علىّ أن أعمل مذيعة رفضت، أخشى مواجهة الكاميرا.. درست الإعلام فى الجامعة الأمريكية، لا توجد لدىّ موهبة محددة، أعمل منتجًا فنيًا فى قناة تليفزيونية، دخلت الإعلام لأنها مهنة ودراسة سهلة، أعرف أننى لم أحقق طموح أمى عندما أدخلتنى «الباك» كى أكمل تعليمى فى فرنسا، لكنى لم أكن أريد السفر فى تلك السن، لا أعرف ماذا أفعل وحدى، لا أستطيع أن أعيش فى نُزل للشباب أو مع عائلة فرنسية، لى صديقات يدرسن الاقتصاد فى سويسرا، أو السياسة أو القانون فى القسم الفرنسى فى جامعة القاهرة، لكنى أردت شيئًا سهلًا، لا أريد تعقيدات، حتى العمل بالإعلام لا يحتاج إلى دراسة. لكنها شهادة أرضى بها ماما. أو عمل الحد الأدنى مما هو واجب، ما فائدة أى شىء؟ إذا كانت الحياة تعود لتبدأ من جديد، من نقطة الصفر، ما الجدوى إذا كنا عرضة دائمًا للخسارة ولا شىء مجانيًا؟

اقترحت ماما كلية الألسن واللغات قسم لغة فرنسية كى أستفيد من دراستى، لكننى رفضت، الترجمة تحتاج لإعادة بناء التراكيب وضبط اللغة، الترجمة تحتاج لصبر، وأنا لدىّ غضب.. يملؤنى غضب هائل ضد نفسى، ضد ماما، ضد بابا، ضد جدى، ضد فادى.. غضب من استخدام الآخرين لى، غضب من استغلالى للآخرين.

ما الذى يقضى على الغضب؟ يفرغه من طاقته، يحوله لشىء أبله بلا معنى؟ لا شىء يعادى الغضب كالملل والتكرار، الغضب دائمًا طازج، فى كل مرة تفور الدماء، تتسع الشرايين وتعمل مضخات القلب بأقصى قوتها وتدفعك الهرمونات لحافة الهاوية، ويتحول العالم لحفرة، هوة، صراخ من السقوط المفاجئ، الذى لم يحدث بعد، أو ربما يحدث فقط فى خيالك، لعبة المحاكاة.. أحبها فى أفلام الرعب، لكنى لا أحب لعبة القطارات حيث تتحرك القضبان بسرعة تفوق السرعة العادية آلاف المرات.. تسبب قطار «إنديانا جونز» أو قطار الموت فى «ديزنى باريس» فى خصام دام يومين بينى وبين أمى. شاركتنى اللعبة لكنى كنت وحدى تمامًا فى الصعود الخاطف والانحدار السحيق، أربع دقائق قضيتها فى الصراع، فى المباغتات، عدم الاتزان المطلق، ما إن توقف القطار، حتى أفرغت ما فى معدتى على بوابة الخروج وعلى الممر، أخذت أجرى، وأمى تجرى خلفى، تحاول أن تلمسنى، أن توقفنى وأنا أنفر منها، أهرب لا أعرف أين أسير، أتخبط ولكن على الأرض.. مجرد الجرى على أرض صلبة كان يريحنى، استمررت فى الحركة والصراخ.. صراخ لم يقطعه البكاء أو تهدئه الدموع، احتجت لساعة حتى أستطيع الوقوف واستعادة توازنى.

ظلت ماما تهرول خلفى، تحافظ على مسافة بينى وبينها، وعندما نظرت لها كان وجهها محتقنًا من الدموع وكان صوتى محتقنًا من الصراخ.. الصراخ طاقة، طاقة انشطار.. والغضب طاقة.

ليس ذنبى أن وعيى تشكل من الغضب الممزوج بوجع وألم أرصده من خلف زجاج سيارتنا «الفيميه» وأنا فى طريقى يوميًا من البيت للمدرسة.. فى الصباح تكون الحياة هادئة والمرضى لم يصلوا بعد لمستشفى قصر العينى القديم، فى طريق العودة بعد الظهيرة، يكون المرضى الذين لم يحصلوا على الدواء المناسب قد أجهدهم الوقوف فتنحنى ظهورهم أكثر ويظهر على وجوه ذويهم إحباط غاضب، وعلى وجوههم غضب متألم، يمرون من أمامنا بلا مبالاة، بتجاهل لكل الإشارات، والكلاكسات، يرمون بأجسادهم على «كبوت» السيارة، يصرخ وليد السائق: أنت يا بنى، ابعد، أنت يابا، وسّع طريق.

يشيحون بأيديهم وشفاههم الملتوية وقد يبصقون على السيارة ويواصلون طريقهم، مستنزفين من كل طاقة.

الطاقة لا تفنى ولا تستحدث من العدم.. لو أن هناك اختراعًا يتمكن من تحويل كل البشر إلى مفاعلات للطاقة، السعرات المحترقة من الأجساد السمينة، الأجساد المترهلة، كل الشحوم.. تتحول إلى طاقة، الكلام، الصراخ، الاحتجاجات، تتحول لطاقة.

الفضاء يكاد ينفجر من الكلام، «فيس بوك» المقهى العالمى الكبير، يتحول الصراخ إلى غضب دائم مكتوم.. وهذا البيت مصدر كبير للغضب، نوافذه الزجاجية التى تجعل الشمس تسكن فى غرفتى، أشعتها تهاجم وجهى، فأنهض من السرير غاضبة لأغلق الستائر «بلاك أوت»، وأحاول العودة للنوم، ومع تقلبى فى السرير وهروب النوم منى ومطاردتى له.. يزداد تدفق الغضب، الحمم البركانية تتناثر وتسيل وتحفر أخاديدها فى رأسى، النوم الغاضب يقذفنى فى أحلام فلاشية، غير مترابطة، تتداخل الأصوات التى تستطيع أن تخترق أدوارًا عدة وتتسلق أشجارًا عتيدة، أصوات المتظاهرين فى كل الجمع، طلقات الرصاص، انفجار مبنى مديرية الأمن، الجلبة الصباحية لركن سيارات أساتذة وطلبة طب الأسنان أمام المتحف المواجه لفيلتنا، الصوت النشاز للمرأة التى تركن السيارات وتفرض إتاوة يومية للركنة، لقد بلغت من الوقاحة أن جاءت تستأذن جدى فى أن تركن السيارات بجوار سور الفيلا، كيف تمالك جدى نفسه من الغضب؟! وهى تخاطبه: «يا باشا أنا مأجرة الجراش من الحى وأنا هنفعك، بالنص يا باشا».

كل الثورات والاحتجاجات تعود بنا للدائرة ذاتها، ويصبح أكبر إنجازات ثورة يناير أنها أتت بالإخوان إلى الحكم وإنجازها الأعظم أنها جعلت بعض التكاتك تجرؤ على دخول «المنيل»، كل ذلك لكن ماما لا تريد الاعتراف بالواقع، وتتجاهل كم المنغصات والإزعاج الذى يحاصرنا؛ رنات الموبايل، رسائل الفيس، الواتس، التكات التى لا تصمت، الاهتزازات التى لا تتوقف. يبدو أن لا شىء يدعو للراحة كل ما داخلى وما حولى غاضب، مضطرب.. الملاحظات الدائمة: «فيه آنسة تضع مونيكير أسود؟! عمرى ما شفت شعر بصبغة زرقاء! هو عقل أدفع فلوس فى البناطيل المقطعة دى! فرقة BTS بنات ولا صبيان؟».

كل ما أريده أن تعاملنى كإنسان بالغ عاقل راشد ولست طفلة، لقد كبرت وهذه الحماية والمتابعة الدقيقة تخنقنى، طوال الوقت شكوى من تصرفاتى، وإحساس بالخيبة والإحباط وأننى أقل من مستوى توقعاتها، طوال الوقت نصائح، ألا يوجد غير الكلام فيما يصح؟ المذاكرة، المدرسة، حتى الشتيمة التى لا تسمح بها نحن نعتبرها أداة إقناع، وأحيانًا أحل بصراخى مشكلة مع نفسى. تحاول السيطرة على وقتى، تنظمه وفق ساعتها البيولوجية واهتماماتها، أين ماما التى كانت تدللنى وتستمع لحكاياتى وخرافاتى وتضحك عليها؟ الآن صار كل شىء جادًا وعقيمًا.

وجدّى لا يكف عن النصائح الاستراتيجية على شاشات التليفزيون أو فى الحياة «أنا ضد ترقية أمين الشرطة لضابط شرطة بعد حصوله على كلية الحقوق من التعليم المفتوح، هل سنضحك على أنفسنا أغلب هؤلاء الأمناء يحصلون على الشهادة بالغش من مذكرة يشتريها من مكتبة خارج الجامعة قبل دخوله الامتحان، أنا مع ترقية الأمين الذى حصل على الثانوية العامة وأن يدرس القانون فى الجامعة، وأن يصبح ضابطًا، لأنه أكثر وعيًا وكان متفوقًا فى دراسته».

بعد سنوات من يناير يمكن لجدّى أن يردد شعاره على شاشة التليفزيون «ارفع رأسك فوق أنت ضابط شرطة»، يمكنه أيضًا أن يشير بأصابع الاتهام للثوار الغر السذج، إشاراته تحقر من يقين تمسكنا به لأيام، تبدد ثقة أننا حقًا نستطيع، لا أحد يتخلى عن دوره، كل يتمسك بمكانه على المسرح، ويزاحم الآخرين كى يكون فى المنتصف حيث دائرة الضوء، الوجوه تلمع، تبتسم وخلف الكواليس الكل غاضب، الغضب يغسل زيف وجهنا. فى الغضب تكتسى وجوهنا تعبيرات حيوانية بدائية تعود بنا لصراحة وعرى الغابة.

لماذا غضب جدى عندما اكتشف أننى المنتج التنفيذى لبرنامج تسجيلى عن «التفريعة الثانية للقناة» وتمت إذاعته على قناة دويتشه فيله؟

– أنت أسهمت واشتريت شهادات استثمار فى المشروع؟

– نعم يا جدى، اشتريتها لأنها ستكسب، ولكن الديون والقروض.. تضخمت.

– هذا عمل عظيم والدولة تحتاج لمشروع يلتف الناس حوله.

– يا جدى، محافظ البنك المركزى نفسه قال: إن مشروع قناة السويس وإنشاء محطات كهرباء جديدة تكلفت مليارات.

– يا أروى، ليس كل ما يُعرف يُقال، وأنتِ وأصدقاؤك لا تعلمون شيئًا.

الموضوع أبسط مما يتصور جدى، كل ما فى الأمر كانت لدىّ مواد فيلمية وتسجيلات، وكل متحدث تكلم بما يعرف وعن اقتناع، الجزئيات كلها صحيحة، المهم الرؤية الكلية، قدمت ما يريد جمهور «دويتشه فيله»، أن يشاهده ويسمعه.

– لا بد أن يكون عندك ولاء للبلد أكثر. واحد من تلاميذى سيتكلم معك بخصوص شغلك الأخير.

– أمن الدولة؟

– اسمه الأمن الوطنى.

– جدى، لن أخبرهم بشىء.

– لا يحتاجون لمعلومات منك، المتطوعون كثيرون.

لم يتم حبس أو توجيه اتهام لأى من فريق البرنامج. كان وجودى بينهم كافيًا لحماية الجميع، شريطة تعلم الدرس وعدم تكرار الخطأ: «نحن نثق فى حسن نيتك. لكن بعض العناصر تحاول استغلال أبنائنا».

أيها الضابط.. نحن من صنع آلهة من الأحلام والأمنيات.. نفخنا فيها من أرواحنا، من براءتنا، من الشغف بالحياة، من الرغبة فى التغيير، لسنا تافهين، لسنا مرفهين، لسنا العيال اليويو، الكلبوبة، فى يناير نزلنا الميدان، نتجمع عند السفارة الإيطالية فى كافيه «كاكاو» قبل موعد الدرس، ونخترق الشوارع اللولبية لجاردن سيتى، لم ننتبه أن براندات ملابسنا، أو أن الهيدفون وموبايلات الأى فون ستكون محط انتباه، لكن بمجرد دخول الميدان يتم الالتقاط والفرز، مبهورين بجرأة لم نعتد عليها.. تقول ماما إن جسدى يستقيم وأصير أشبه ما أكون بجندى مداومة بمجرد اقترابى من سور مدرستى «الميرديديو».

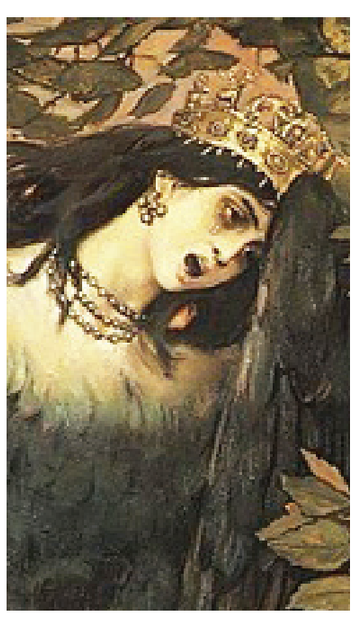

يتولى وليد السائق الذى يصر على مرافقتنا مهمة تسهيل دخولنا: أروى، فادى، جيسيكا، جيروم، فاتيما. سبق أن دخلت الميدان مع ماما بعد أن علمت باقتحام المتحف المصرى، وقفنا متراصين فى سلاسل حول المتحف، كنا فى حماية الجيش. ظننت أننا بعيدون عن نفوذ جدى، كنت أتوهم، فصفة حفيدة اللواء يسرى صالح، يمكنها أن تظللنى مهما ادعيت غير ذلك.

الغريب.. كيف تحملت ماما كل أذى بابا ولم تلجأ لجدى أبدًا؟

ألا يكفى هذا؟ علىّ أن أستيقظ الآن، أمدد عضلات ذراعىّ وساقىّ ليكتسى جسمى بملامح الهمة والنشاط بما يسمح لى أن أتدلل على جدى كيفما أشاء وربما يوافق على قيادتى سيارته الجديدة اليوم.

أنزل على مهل، الساعة العاشرة.. جدى فى مكتبه، ماما فى الجيم، تركت لى رسالة: «سيأتى مسيو ماهر وفريقه، كل حاجة مضبوطة» ماذا تقصد؟ عادى، ماما تنثر تعليماتها فى كل مكان.

تجهز دادة سهاد الحمام وبعده فنجان نسكافيه بلاك.

– أضيف عليه لبن؟ يا حبيبتى أنت صغيرة على البلاك.

– يا دادة أنا كبيرة.. كبيرة جدًا، أنا عجوز بنزق شابة.

– المهم لا تتأخرى.

– يعنى سأتأخر عن الديوان يا دادة؟!

– لا. ستتأخرين على فرحك!

فرحى! يالله، اليوم الخميس.. يوم زفافى.

أى وجه علىّ أن أرتدى؛ المتوترة، المرهقة، أم أظهر لهم وجهى الحقيقى؟ اللا مبالية التى استيقظت فى الصباح وقد نسيت يوم زفافها، كيف نسيت؟ وأنا المشغولة بتفاصيل المفروشات والفستان والشقة، ستة شهور منذ أعلنا الخطوبة، وأنا لا أفعل أكثر من كتابة قائمة المشتروات التى أحتاجها، أدخل على صفحات ومواقع تجهيز العرائس، آخذ رأى جدى، يشجع المنتجات الأمريكية، الأوروبية، يمتعض عندما أخبره عن المنتجات التركية، يقول:

– كيف نشترى من دولة تدعم الإرهاب وتريد هدم الدولة المصرية؟

– يا جدى، هذه خلافات عارضة، إنجلترا احتلتنا، فرنسا احتلتنا، هل يوجد شعب لم يمر علينا؟

طبعًا موقفه لم يجعلنى أقترح أن نقضى شهر العسل فى إسطنبول رغم أنها شعبية جدًا.

عند اختيار قاعة الأفراح، اخترنا قصر محمد على، القصر الذى تطل عليه فيلا جدى، منذ يومين والشركة المنظمة لحفل الزفاف تستعد بتجهيز الجانب الشمالى من حديقة القصر.

> عندما نظرت لها كان وجهها محتقنًا من الدموع وكان صوتى محتقنًا من الصراخ.. الصراخ طاقة، طاقة انشطار.. والغضب طاقة.

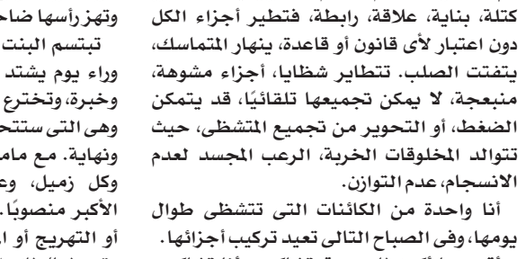

> إذا رأيتنى، ستجذبك براءة شابة جميلة تعانى منذ أصبحت فى الصف الخامس من تفتيش الراهبات وإصرارهن على مسح رموشها الطويلة للتأكد من أنها لا تضع ماسكارا

أماكن منسية فى القاهرة الخديوية
عادل سيف
إنسان

أشباح مرجانة
محمود عبدالشكور
دون

نعمة الألم
نشوى صلاح
دون

الأشجار ليست عمياء
شيماء هشام
دون

كفن حرير
أمل العشماوى
دون

إبداعات الجنوب

أشعار وقصص أدباء أسوان

تتميز أسوان بحالة متفردة ثقافيًا وإبداعيًا، اكتسبتها من حال الطبيعة؛ حيث مزيج من القسوة والرقة، وحيث الجبال والصخور، النيل والنخيل والأشجار، وتنوع التراث والموروث، والعادات والتقاليد، وتأثير ذلك على الحراك الثقافى والإبداعى؛ إذ تنوعت روافد كتابات الأدباء، من الشعراء والروائيين وكتاب القصة القصيرة وشعراء فن النميم والواو، وكل رافد تمثله مجموعة متميزة من المبدعين. ويمكننا سريعًا الإشارة إلى أن الحركة الأدبية فى أسوان تكونت فى ستينيات القرن الماضى، ونمت وتطورت عبر أجيال متعاقبة، وقد وضع جيلا الستينيات والسبعينيات معًا البنية الأساسية للمشهد الجديد على خلفية أدبية وثقافية عميقة؛ حيث أسهمت قلة من المبدعين والمثقفين فى دعم تلك البنية، وكان على رأسهم الشاعر حجاج البابا «عاشق الكلمة والغناء»، وقد أسهم بشكل كبير فى إثراء الحركة الثقافية هناك، وفى جانب موازٍ كان القاص سيد جاد من أبرز الأسماء التى شكلت بواكير المشهد السردى هناك.

وإذا كان حجاج البابا قد حفر اسمه كرائد من رواد شعر العامية، واتسمت قصائده بالبساطة والعمق، فقد لحق به رفقاء فى درب الشعر، منهم الشاعر محمد هاشم زقالى، وهو يكتب العامية والفصحى، إلا أنه أكثر إنتاجًا فى العامية، وأهم ما يميز شعره تصوير الواقع من حوله وظهور المكان ورصد تفاصيل حياتية دقيقة، وكذلك الشاعر فنجرى التايه الذى تميز شعره بالجرأة الشديدة والتحم بالبسطاء للتعبير عن همومهم وآلامهم، وتطرق أيضًا للقضايا القومية فى كثير من قصائده، بينما تميز شعر محمد شاهين بتوظيف التاريخ بصورة جيدة، والاعتماد على الجملة السريعة واللعب بالألفاظ للتعبير عن الموقف، وتنوعت أشكال الكتابة الشعرية فتميز الشاعر محمد حسن العمدة بكتابة القصيدة العمودية بروح العصر الجديد، كما أبدع فى قصيدة التفعيلة؛ إذ نرى فى قصائده المزج بين الشعر والفلسفة، وهناك أيضًا الشاعر عمر صابون الذى يكتب العامية والفصحى والشعر الحلمنتيشى.

ثم جاء جيل ضم كوكبة من الشعراء الذين أثروا المشهد وأثّروا فى مسيرة الحركة وكانت لهم بصمة واضحة فيها، وقد تباينوا ما بين الفصحى والعامية، وكان لهم دور مهم فى وضع الشعر الأسوانى على خارطة الحركة الشعرية والمحافل الأدبية فى عقدى الثمانينيات والتسعينيات، ومن بينهم الشعراء حسن عبدالمعطى، حسين صالح خلف الله، محمد كرار، محمود عباس، عبدالرءوف مصطفى، الروبى جمعة، محمد الطاهر برعى، إبراهيم الفيراوى، محمد الكاتب، النخيلى رفاعى، أحمد الخلفابى، فضلًا عن الشاعر الأقصرى أسامة البنا «الزائر المقيم» الذى أضفى حيوية فى المشهد، ومع هؤلاء جيل ثالث حظى بقدر أكبر من الاهتمام بإبراز إبداعه بشكل جيد، وساعدهم فى ذلك تعدد وسائل النشر سواء الورقية أو الإلكترونية، ولا شك كان هذا الجيل امتدادًا طبيعيًا للسابقين، وقد استفاد شعراؤه من تجارب الآخرين وعملوا على تطويرها، فكانت لهم ملامحهم المتميزة، ومن هؤلاء مصطفى عباس مدنى، عبدالناصر أبوبكر، ياسر عبدالجليل، سيد عيسى، محمد الطاهر السايح، محمود السانوسى، جمال عدوى، عباس حمزة، حسنى الإتلاتى، عبده الشنهورى، علية طلحة، نجوى عبدالعال، دلال يحيى، أميرة محمود، عادل بهنسى، عماد النعيمى، محمد يوسف حامد، كمال عبيد، الشاذلى عباس، محمد الريفى، عبدالله عبدالشافى، وخلال السنوات القليلة الماضية ظهرت أسماء مبشرة ولديها الموهبة الحقيقية أمثال أحمد الجميلى، أحمد فخرى، عبدالله عبدالصبور، حامد عامر، أحمد جمال مدنى وغيرهم.

وعلى مستوى فن النميم؛ وهو واحد من فنون القول الذى تتفرد به أسوان، فمن أبرز شعرائه «سعيد الطونابى، يس عبدالكريم، محمد أبوحجير، أبونصار، عوض الله الزعواط، حسن أبوالرجال، عبده أبوحديدة، أحمد أبوالأمين، الليثى محمود». ومن الشعراء المعاصرين «جمال حداد، حسن عبدالرحمن، عبدالباسط عبدالحميد، محمد سنارى».

أما المشهد القصصى والروائى فقد تميز بخصوصية المكان كبطل مركزى على التعيين من خلال ذكر حدوده ورسم شخوصه وإبراز الطقوس والمعتقدات واستخدام اللغة الخاصة به، وكان القاص الراحل سيد جاد- كما ذكرت سابقًا- من أبرز الأسماء التى شكلت المشهد السردى فى أسوان، وكان هناك بدر عبدالعظيم ومدثر سليم وأحمد ربيع الأسوانى، وبرز اسم يوسف فاخورى بمشروعه السردى الخاص، كذلك أحمد أبوخنيجر بمشروعه السردى المتنوع فى القصة والرواية والمسرح والتراث الشعبى، وعصام راسم بإنتاجه القصصى والروائى المتميز والمؤثر، وهيام عبدالهادى بروايتها المتعددة.

كل هؤلاء منحوا الحالة الإبداعية روحًا متوثبة، وأسهموا فى خلق حالة حراك أدبى وثقافى، تحفل الآن بأسماء تقوم على استمرار الحركة الإبداعية عبر الأنشطة المتعددة، ومنها الصالونات الثقافية، والمنتديات، وأندية الأدب، ومثال ذلك ما يقوم به القاص ياسر سليمان باشرى والقاصة صابرين خضر عبر جهد متميز فى إنشاء «ورشة المصطبة» بمدينة دراو وهى ورشة تهتم بالسرد، وداخل المشهد أيضًا عدد من المبدعين المميزين من الشعراء وكتاب القصة، ومنهم «يوسف أحمد حامد، عبدالرحمن أبوالمجد، عماد عزت، جمال فتحى، قسمة كاتول، أسماء عجلان، تيسير النجار، عمرو عاطف» وغيرهم. وإذا كان كل هؤلاء المبدعين هم من شكلوا الحالة الثقافية فى أسوان ووضعوها على خارطة الثقافة فى مصر، ويواصلون مسيرتهم من مواقعهم، فإن آخرين من أبنائها المبدعين أسهموا فى هذا المسار- بشكل أو بآخر- رغم استقرارهم بعيدًا عنها، ونشير هنا إلى أسماء «عبدالوهاب الأسوانى، إدريس على، يحيى مختار، حجاج أدول، حسن نور»، وكذلك أسماء هاشم، هدرا جرجس. وكذا الشعراء أشرف عويس، أحمد المريخى، محمد عبدالمنعم، فيصل الموصلى.

وما زال نهر الإبداع يتدفق مع تدفق النيل حابى من أسوان ليشكل حالة متميزة ذات خصوصية فريدة.

أحمد الليثى الشرونى

ريشة وأشعار: محمود الشنقرابى

من «مدونات تجريد الواقع»

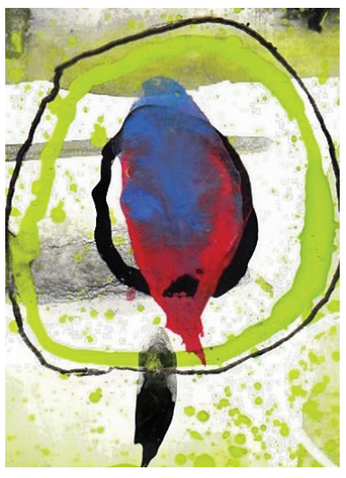

سحابة ممزقة
تمرّ فوق ما كان بيتى
والسماء الخضراء
أقمارها تشع أضواءً معتمة
فى السماء مدّ وجزر
يتلاطمان كبيت قصيدة من زبد الماعز
فى الحلم الأقل اتفاقا معى..
تحدثنى الأقمار السوداء بلغة غير متزنة
سأستمع لها غدا.. أو بالأمس!

متى يمكننا أن نجد قيمة للصورة؟
قد نجدها عندما ترجع جذور أشجار
المانجو من رحلتها
فى الشوارع الحلزونية الرائحة
جميعها تدل على صفات سلبية
جميعها تصر إصرارًا غريبًا على أن
الصورة المتحركة
لا يقابلها شىء يتقدم إلى.. الخلف!

نسيج رمادى للشمس يسعل بشدة
النسيج مثل ثلج يلتف حول الليل
الذى يجلس القرفصاء فوق العشب
المحترق
فى تعرجات الشوارع الزرقاء المتباعدة
الأعمدة
حلم يتقوس كظهر قط يخيف خصمه
ينفش شعره.. يزمجر فى موائه
الشارع ينام فى الحلم
ينام مثل الثلج غير الرمادى.

فى سماء..
كأنها زبرجدية اللون
صبى يجلس القرفصاء يصيد النجوم
النجوم التى كانت تحكى للناس
حكايات تعرفها ولا تعرفها
فجأة.. تعلق فى سنارة تعبيرات قوس
قزح
السيدة التى ترضع صغارها من
العزف المنفرد لمواء القطط
علقت فى سنارة الصبى المستهتر!

سفن تتحدث مع البحر بلغة النحاس
والأشواك
تهجع فوق شاطئ غير عابئة بالنوارس
ممزقة الثياب
رغم إن النوارس هى الحارس القديم
للفكرة الايجابية للرمال الناعمة
قد تستخدم النوارس الأساليب
المختلفة للسباحة
كالآلآت الموسيقية التى تعزف نهجًا
دقيقًا مثقلا بالهموم
سأجمعها بالصياغات الأخيرة
السفن تموت كما مات البحر سابقًا.

المدينة المبنية من نحاس وموسيقى
تعيش الآن فى صمت أزرق
العالم الغريب الذى يحيط بأسوارها
يقبضُ على دوامات النهر الزمردى
ملابس السور البيضاء
تفيض فجأة بالدوامات
فى المدينة المزعومة
كان النحاس يدوّنُ جموحًا نادرًا
لدوامة غير قادرة على الكلام!

قابلت رجلًا ما
منسوخا من الخطوط والحركات
المباغتة
كان ينشد قصائد عمياء كأصداف
البحر
ثم يلقيها فى التعرجات المتكررة للنهر
القصيدة الواحدة
كفازة ذات لغز محير
النهر يصب كل مهاتراته فى البحر
الرجل يلغى كل محاولاته المستميتة
لقتل العشب الجالس فوق جلد البحر
لم نسمع من قبل عن زهور تنمو فوق
الموج
وتهدد حرية النمل الأبيض!

رجل ما
كان يغنى فوق نهر يلهث
أغان كمصاصة أعواد القصب
مات الرجل اليوم.. أو غدًا
قال قبل أن يموت: إن الظلام البارد
هو الملجأ الأخير للتخلص من
الأشياء التى تدير ظهرها لك
لتنجو من محاولاتك العبثية للبقاء
حيا
الرجلُ مدّ يده وهو فى لحده المنمق
فأمسك بقصيدة ثارت على الواقع
المغضن
كجلد فرس النهر
القصيدة فى ملامح النزوع إلى
الأسرار
عود من القصب كان يخلو من
الخواطر المتناثرة
لم يسترع انتباه الموت
عاد الرجل من الموت متخمًا بنهر
يلهث!

الأقمار السوداء التى تشع بموسيقى
معتمة
تنظر إلىّ ببلاهة متناهية
السماء الأرجوانية الألوان.. تضحك
البحر الذى يقارن مسوداته ذات
الخطوط اللولبية بموسيقى العتمة
يحدثنى بلهجة مبتكرة الغرابة عن
هذه الأقمار
الناى ذو المثالية المتباعدة
أصبح ملكًا على الحد الأخير للسماء
العصية عن الضحك
عند حدود الصمت
أنت نهر واقف.. أو نائم
أو نص أدبى يحمل صيغة أخيرة
للعتمة!

كلما جاء الليلُ أو ذهب
العمارة التى تسكن بجوارنا
تموء مواءً غريبًا
القطط تكره الحداثة فى الأدب
البيانات النادرة للعمارة العدم
تفصح عن أن شعاعًا أزرق اللون
سينسكب من الأرض إلى السماء
الظلام الغامض فى صوت القطط
يتحرك بانفعال غريب
السماء تسأل نفسها:
متى بنيت تلك العمارات الأخرى التى
لا تموء؟!

أسماء هاشم

بيت وشجيرة

كانت سماء وكانت أرضًا وقال سنمكث هنا. بحثت عن النهر فكان بعيدًا جدًا، وكان علىّ أن أجلب الماء، أنزلت الصُرة من فوق رأسى وأسندت بطنى الممتلئ باليد الأخرى. وجلست على رمل يابس انغرست ذراته فى جلدى. ما إن استرحت حتى فككت البذور المربوطة فى طرف منديل رأسى، غرستها لأحدد معالم مكانى الجديد وهكذا كلفت نفسى عناء ملئ جرة مياه إضافية من النهر البعيد جدًا. حين صارت البذرة شجيرة أمام البيت يحبو تحت ظلها الطفل الوحيد، قال الأب سنرحل الآن. سريعًا خلع الألواح الخشبية الأربعة فانهارت الجدران وسقط السقف معانقًا الأرض. تجمعت الدموع فى عينى، قمعت خروجها، وفرطت التراب الذى قبضت عليه يدى، لملمت الأشياء فى صُرة كبيرة ووضعت الصُرة فوق رأسى والطفل فوق كتفى، وأسندت البطن الممتلئ للمرة الثانية وانسقت للريح التى كنست أثر المكان إلا من شجيرة صغيرة لوحت لنا أغصانها المهتزة مودعةً.

ثم كانت سماء وكانت أرضًا وقال سنمكث هنا. بحثت عن النهر فكان بعيدًا جدًا وكان علىّ أن أجلب الماء منه. أنزلت الطفل وألقيت الصُرة وأسندت البطن الممتلئ. للمرة الثانية وبركت على رمل يابس انغرست ذراته فى جلدى وصنعت تجاويف بحجم البذور المصرورة فى منديل رأسى. ما إن التقطت أنفاسى حتى مسحت ذرات الرمل وفككت البذور المربوطة فى طرف منديل رأسى وغرستها لأحدد معالم البيت، وكلفت نفسى عناء ملئ جرة ماء إضافية من النهر البعيد جدًا. حين صارت شجيرة يحبو تحت ظلها الأصغر ويبنى الأكبر بيته الرملى قال الأب سنرحل الآن. بعافية رجل ثلاثينى خلع الألواح الأربعة فانهارت الجدران وسقط السقف معانقًا الأرض. لملمت الأشياء فى صُرة وصُرة. صُرة صغيرة حَمَلتها رأس الطفل الأكبر ليسندها بيد ويعلق اليد الأخرى بذيل جلبابى. حملت الصُرة الأكبر فوق رأسى وحملت الطفل الأصغر فوق كتفى وأسندت بطنى الممتلئ للمرة الثالثة باليد الأخرى. وتبعت الريح التى أزالت بيت طفلى الرملى وكنست أثر المكان إلا من شجيرة صغيرة لوحت لنا أغصانها المهتزة مودعةً.

ثم كانت سماء وكانت أرضًا وقال سنمكث هنا. تحررت من يد الطفل الأكبر المسكة بذيل جلبابى وأنزلت الأصغر من فوق كتفى ورميت الصُرة على أرض يابسة، حاولت إسناد بطنى الممتلئ وأنا أتهاوى لاهثة على رمل لم أستشعر خشونته، فقد استقر فى تجاويف قديمة فى جلدى. بحثت عن النهر فكان بعيدًا جدًا وكان علىّ أن أجلب الماء. ما إن هدأت أنفاسى حتى فككت البذور المربوطة فى طرف منديل رأسى وغرستها لأحدد معالم بيتى الجديد، وكلفت نفسى عناء ملئ جرة ماء إضافية من النهر البعيد جدًا. فلما صارت شجيرة يحبو تحت ظلها الصغير ويجلب الأوسط الطين ليبنى الأكبر بيتهم قال الأب سنرحل الآن. بقوة رجل شارف على الأربعين خلع الألواح الخشبية الأربعة فانهارت الجدران وسقط السقف معانقًا الأرض. لملمت نثار الأشياء فى صُرر عديدة وحمّلت كل طفل صُرة. وتعلقت أياديهم الطليقة بذيل جلبابى. حملت الطفل الأصغر فوق كتفى والصُرة الأكبر فوق رأسى، وانسقت للريح التى أزالت بيت الصغار وكنست أثر المكان إلا شجيرة صغيرة لوحت لنا أغصانها المهتزة مودعةً. ثم كانت سماء وكانت أرضًا وقال سنمكث هنا. تحررت من كل حمولتى دفعة واحدة، أيادى الصغار المعلقة بذيل جلبابى، الطفل الأصغر من فوق كتفى والصُرة الأكبر من فوق رأسى، لم أتمهل لأسند البطن الممتلئ فقط تهاويت على أرض يابسة ورمل خشن يعرف مكانه فى ندوب جلدى. لم أبحث عن النهر أيقنت أنه بعيد جدًا، ولكن علىّ أن أجلب الماء وعلى أن أفك البذور المربوطة فى طرف منديل رأسى وغرستها وكلفت نفسى عناء ملئ جرة ماء إضافية من النهر البعيد جدًا. حين صارت شجيرة قال سنرحل الآن، وبقوة رجل أربعينى خلع الألواح الخشبية الأربعة فانهارت الجدران وسقط السقف معانقًا الأرض، هممت أن أقول لن أبرح مكانى غير أننى ابتلعت كرة الحنظل التى روتها دموعى الحبيسة، ونظرت لمساحة شاغرة فى جلدى تنتظر ندوبًا جديدة ما دام طرف منديلى معقودًا على بذور جديدة تصلح للغرس.

> كنست أثر المكان إلا من شجيرة صغيرة لوحت لنا أغصانها المهتزة مودعةً

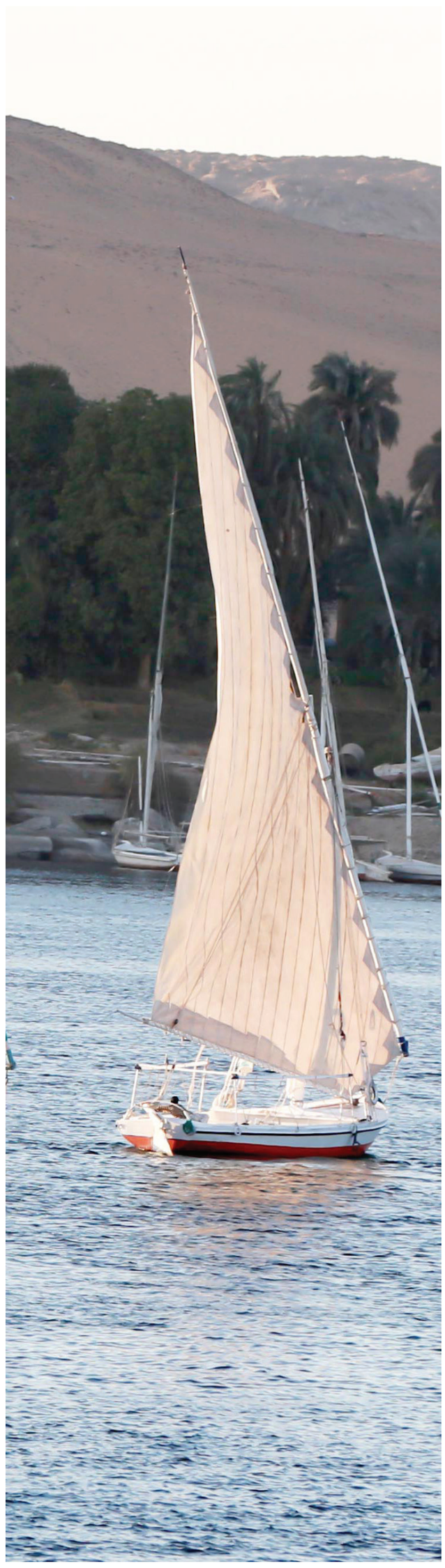

حسنى الإتلاتى

بردية الغريب

من على الباب؟
قلت: الغريبُ أنا
فافتحوا للغريبْ
: استرحْ يا الغريبُ..
استرحتُ
أرحتُ الفؤادَ الصغيرَ
على حَمل هذا الأسى واحدا
والحنينِ الرهيبْ
: استرح يا الغريب..
استرحتُ
نثرتُ على رمل بسمتها
ن زف روحى
استسغتُ على كفها القمحِ..
شايا له
طعم ذاك النشيد القديم..
النشيدِ الحليبْ
: لم تقل أنتَ من
لكنّنى قلتُ:
يا أنتِ يا
ست هذا الجمال المحال
الجمال الرهيبْ
عابر
أثخنته الجراحُ..
الرياحُ التى يشتهيها الشراعُ..
الزمانُ الذى غدرهُ.. رمية لا تخيبْ
فارسٌ مثقلٌ
بالحكايا الرجالِ..
الذين قضوا عمرَهم
فى انتظار الصباح المتاحِ الصباحِ
الرطيبْ
البلاد التى اقترفت
على أول الصبح
ملح الغروب وجرح الهروب
وجرم المغيبْ
مثقل بالرخام
البيوت الحياد
القلوب الجماد
جئتكم يا
بلا ذهبِ
وبقلبٍ تكسَّر مثل الزجاج
وثوبٍ له
لون هذا الحداد الظلام النجيب
جئتكم من بعيد
ولا شىءَ لى
غيرَ هذا الصدى
إننى مذ خرجتُ
تركت المياهَ الرواءَ
السرابُ انتقانى
اصطفانى له
فاتبعت السرابَ
شربت الظما
وارتديتُ اللهيبْ

ارجعى يا بلاد ارجعى يا بلاد
هنا لا الرفاق يجيبون لى لهفتى
والصدى لا يُجيبْ
والبلادُ التى نحن منها لها
ناصبتنا العداءَ
فالغناءُ بُكا
والحداءُ نحيب

ثم قلتُ لها
ثم قلتُ وقلتُ
قالت: هنا يا فتى سدرةُ المتعبينَ
استرحْ/ واسترحْ/ واسترحْ يا
الغريبْ

ما استراح الغريب
ما استراح الغريب

حسين صالح خلف الله

عيون أمهاتنا

تركنا لهم الباب مواربًا
وانتظرنا
لكنهم لم يأتوا أبدًا
كنا أبناء قرية واحدة
نتقاسم ما يُطبخ فى قدورها
ونعرفُ ما يدور فى مخادعها
الصباح يبعثرنا على الحقولِ
كحبات الندى
والليل يلملمنا على مصاطب
الونس
نحن الذين تركنا آباءنا المقتولين
يتقلبون فى قبورهم
ولم نأخذ بثأرهم
وقُتنا بالهواتف النقالة
والوجبات الجاهزة
ولا وقت لدينا لحشو البنادق
حتى نظرات أمهاتنا المكلومات
كنا نتحاشاها
وكالمقامرين الهواة
كنا نلعب على ورقة واحدة
ماذا لو أتى إلينا القتلة
وهم يحملون أكفانهم
وعفونا عنهم
ماذا لو...
لكنهم لم يأتوا أبدًا
كانوا يتسكعون فى دروبنا
ويقهقهون
يتبولون فى حقولنا
ويقهقهون
يتحرشون بنسائنا
ويقهقهون
ومع كل قهقهة
كان آباؤنا المقتولون
يستيقظون فى دمائنا
وتعوى الذئاب
لم نكن فى حاجة لحشو البنادق
كانت البنادق محشوة سلفًا
آن لبنادقنا الآن أن تقهقه
وآن لأبائنا المقتولين
أن يرتاحوا فى قبورهم
وآن لنا أن ننظر
فى عيون أمهاتنا.

عصام راسم فهمى

هذه البنت

تلك الأنثى أقدمها للناس لعلهم يعرفون ويفهمون حالى وتجوالى كقاطع طريق فى زحمة الليالى وتربصى فى عتمة السكك المقطوعة لأقتنص فرص ما سانحة.. وحين يفهمون ويعرفون «رجاء» لسوف يجدون الذريعة لكل أفعالى التى قد لا تصدق، وسيجدون لى ألف مبرر لانصرافى إلى هوامش المدينة، كمسكين يبحث عن صدقة تخصه وحده..

إنها دنيا صغيرة، فى قلبها «رجاء».. إنها «رجاء» العادية البسيطة وفى قلبها الصغير دنيا كبيرة.

من أجلى تستيقظ كل فجر جديد، وتتمطى فتلين الأشياء العصية أمامى.. تفتح باب بيتهم الطينى الضيق، وتطلع للفجر الرخامى الملامح، وتكتب بأقدامها الناصعة فوق أرض الحارة، أول أحداث نهارى.. وتتمطى فتتثنى وتنفرد مفاتن الروح والجسد أمامى، ويستقر الصباح الجديد فى المسافة القصيرة الفاصلة ما بيننا.. وتروح بحماسة المحبين نحو «عشة الفراخ» الرابضة قرب باب بيتهم، وتطمئن على سكانها المشاغبين، وتطعمهم وتسقيهم بمهل وهى تناغيهم، ثم توارب الباب القصير ليخرج دجاجها وهو يقأقئ مستريبًا، ويشرع الدجاج فى اكتشاف العالم ببطء، غير مصدق أنه امتلك حرية مجانية بغير مقابل.. وهى تتابعه بروح نظيفة.. وتتمطى فى جلبابها المنزلى.. ترنو إلى فوق، وتكلم السماء بهمس بالكاد أسمعه، فينساب شعرها الفحمى، ويلمس وجه النور القادم من عند الرب.. تفرد ذراعيها وتعانق صدر العالم، وكالعادة تفور «قهوتى» الموضوعة على الموقد، وينزل بعض منها من حافة «التنكة» الصغيرة.. أشم رائحة شياطها، وأسمع وشيشها وهى تناقش النار التى انطفأت.. أترك النافذة الصغيرة المطلة على الحارة، وأسرع إلى عتمة البيت، وأنشغل بتفاصيل مزمنة غير مهمة، تاركًا الحديث الخافت بين البنت الحلوة وبين السماء.. أرتشف قهوتى وأنا أعرف أن فى مثل هذا الوقت حتمًا الدجاج قد استدار حول البنت، ليشوف معها نقاء الصباح، وبهجة القادم من بعيد.. «رجاء» أول خبر يأتينى من الخارج.. نور صافى يدخلنى كل فجر.. وطمأنينة تكفينى حتى أعبر هذا اليوم بسلام.. هى آخر نبأ يُدهشنى قبل أن يقفل الليل بابه علىّ ويسجننى.. والبنت الحلوة «رجاء» باستمرار تمنح البهجة لى وللدجاج.

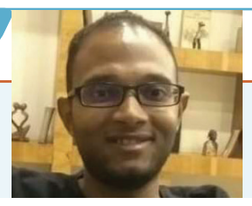

أحمد علاء الدين

بَيض بالبَسْطِرْمة

لتَلبية الدعوة، مساءً اصطحب زوجته وابنته صاحبة الأربع سنوات، وطِفله الرَّضيع النائم إلى شقة زميله المتزوّج حديثًا، حمل فى يده عُلبة شوكولاتة كبيرة وفاخرة، تبادلا التحيَّة والسلام، ثم جلس الرَّجلان يَتجَاذبان الحديث، يتطرقان من مشكلات عملهما فى البنك إلى تصرُّفات العُملاء الطريفة المُضحكة أحيانًا، والتحوُّل السريع الخانِق لأسوان، بثلاثية من البشر والسيَّارات والأَرصِفة الضيِّقة، مما جعل مدينتهما أسوأ مَسخ مُصغَّر من مَسخ سيئ كبير يُسمى القاهرة.

التقاؤُهما لأول مرة لَم يمنع الأحاديث الودية بين الزوجتين؛ فبسؤالٍ بسيط من العروس، قدمتْ الضَّيفة خبرتها من النصائح والحِيَل التى تَكسب بها قلب ووِدَّ زَوْجها وأهله.

بعد الكَاكاو الساخن، جاء دور العشاء الساخن، مائدة متوسطة الحجم، امتلأت بمأكولات خفيفة تصلُح كطعام للعشاء- حسب الاتِّفاق المُسبق- جلستْ الأسرة تُبسمل وشَرعوا فى الأكل، ولكن عندما رأت الابنة طَبق البَيض بالبَسْطِرْمة- كبير الحجم- صاحتْ فجأة: «بابا يأكل البَيض باللانشون»، أربكتْ الصغيرة الحِسابات؛ وبإشارة من الزَّوْج المُضيف هَمَّت زَوْجته بالقيام، لكن إصرار وتأكيد الضَّيْفين بأنه لا مشكلة لديهما فى أى مأكولات، خاصة البَسْطِرْمة، أثناها عن القيام.

إفراغُ الأطباق- تقريبًا- كان دليلًا ملموسًا على حُسن المذاق، واستمتاع الضُيوف بالدعوة، فى النهاية أحضرتْ الزَّوْجتان كُوبين من الشاى بالقُرنفُل للرجلين. عند الاستئذان بالرحيل انتابَهم جميعًا شعورٌ بالارتياح وإحساس بصداقة أُسرية قوية ستجمعهم بعد هذه الليلة.

فى طريق العودة، بمجرد أن دخلتْ الطفلة السيارة غاصتْ فى النوم، أما الرجل فراح يَقُود وهو لا يَنبس بحرفٍ طَوال الطريق، على غير عاداته، الزَّوْجة لاذَت بصمتٍ عميق هى الأخرى، وكأنها اطَّلعت على الدائر برأس زوجها، وتفهمتْ أمره، وتَمَنتْ ألا يَستيقظ الطفلان حتى لا تُثار أعصابه؛ بالتأكيد هو يختلى بنفسه، مع ما حدث لها منذ أكثر من ثلاثة وعشرين عامًا، فى الصف الخامس الابتدائى عندما أحضر صديقه ساندوتشات البَيض بالبَسْطِرْمة، أما هو فقد اعتادَ جلب ساندوتشات الجُبن الأبيض معه، ليلًا أخبر أمه برغبته فى أكل ساندوتشات مثل التى يَجلبها رَفيقه، وسألها عن ماهيَّة البَسْطِرْمة، أجابته ووعدته بتنفيذ رغبته قريبًا.

فى اليوم التالى طلب من صديقه أن يتذوَّق طَعامه، فرفضَ، انفطر هذه المرة قلبه من البكاء فى البيت أمام أمه، التى وضَعتْ طرحتها السوداء، وذهبتْ فى الحال، إلى بقَّال بعيد عن بيتها، مُستفسرة عن ثمن كيلو البَسْطِرْمة، وعندما صدَمَها السعر، قررتْ العودة وشراءها عند قَبض المَعَاش، ولكن ثَمَّة فكرة ما بادرتها، واستوقفتها؛ بما أن البَسْطِرْمة تُصنع من لَحم مُتبل قبل أن يتم قَليُه، فلماذا لا تقوم بقلى اللانشون؟ وتضَعه فى ساندوتشات البَيض لابنها. فوضعتْ شرائح اللانشون فى الزيت الساخن حتى اسودَّ لونها، وتَماسك قوامها، ووضعتْ عليهم البَيض الأصفر المَخفوق، تذوَّق ابنها هذا الخليطَ، فأعجبه طَعمُه، أخبرته أن هذا هو البَيض بالبَسْطِرْمة.

فى أول الشهر أحضرتْ الأم ربع كيلوجرام من البَسْطِرْمة، وجَهَّزتْ ثلاثة ساندوتشات لابنها، ولكنه للغرابة، لم يُعجبه طَعمُها، وطَالبها بإعداد السندوتشات التى اعتاد عليها بعد ذلك، ضحكتْ الأم، واعترفتْ له أن ما لَم يُعجبه للتّو هى بَسْطِرْمة حقيقية، صارحَته بضيق حالتهم، وعن مَعَاش أبيه الذى يُنفق قبل أن يَنتهى الشهر، وأنه أصبح رجل البيت وعليه تَحمُّل المسئوليات، فلا يَنبَغى تَقليد زملائه فى كل شىء، فلكل أسرة ظُروفها، وهى بالكاد تَتدبَّر أمور المَعيشة حتى لا تَمد يَدها لأحد، وإنها تنتظر الوقت الذى ستتزوَّج فيه أخته، ويَدخُل هو كلية الشُّرطة كما تَمنى أبوه.

هذا اليَوم أصبح فارقًا فى كل تصرُّفاته بعد ذلك؛ عاد لا يَطلُب أى شىء تقريبًا؛ حذاؤه المُهتَرئ الذى بات يُعيق حركته، لَم يُفكر حتى فى إصلاحه، حتى اشتَرتْ له أمه آخر جديدًا، أصبح يكتفى بسندوتشات الجُبن والفول ولا يَطلُب أبدًا بديلًا عنهما، يَرقُب صديقه على دَرَاجته الجديدة، فتُداهمه رغبةٌ بضربه، يمسك نفسه ويتجنب الحديث أو اللَّعب معه لئلَّا يَطيش لُبُّه، ومن ثم ابتعَد شيئًا فشيئًا عن صُحبته، وكيف مرت الأيام بعد ذلك عليهم، لتَتزَوج أخته، ويلتحق هو بكلية التجارة، ثم يتم تعيينه ببنك خاص، فيشترى من أول مرتب كيلو كامل من بَسْطِرْمة، قبل أن يُناول ما تبقَّى من مرتبه لأمه، ويأخُذ هو مَصروفه منها، كيف فشل بعد ذلك فى إقناع ثلاثة من أصدقائه، وأخته وأمه وزوجته أن طَعمَ البَيض باللانشون أفضل من طَعم البَيض بالبَسْطِرْمة، وحَديثه أن البَسْطِرْمة تُرسب الأملاح على الكُليتين، ووصفه لها باللاذعة المُضرة.

فى بداية زَواجه كان أهم ما يسأل عنه البَسْطِرْمة، لَم يسمح لها أن تنفد قط من بيته، رغم أنه لا يأكلها! عندما فقد أمه من سنتين، كل ذلك تغيّر وأضحى لا يشتريها ولا يُحب الكلام عنها، ولا حتى ذكر اسمها أمامه. عندما وصلت السيارة إلى العمارة ذات المدخل الرخامى المصقول رَكَنها، وراح يَحمل ابنته على كَتفه إلى المصعَد، وبدخولهم الشَّقَّة، نطق بأول كَلماته أنه ما زال يَشعر بالجُوع، وطَلب من زوجته طَبقًا صغيرًا من البَيض باللانشون.

> جَهَّزتْ ثلاثة ساندوتشات لابنها ولكنه للغرابة لم يُعجبه طَعمُها

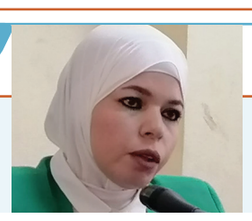

صابرين خضر

هواية وصاية

جدتى لا تجيد صناعة الأطباق «١»، رغم أنها أغلى ثمنًا، لم تكن تعرف وقتما اختارت «الهواوى» «٢» أن أسبوعًا متواصلًا من العمل لا يكفى لشراء الخضار والفاكهة يوم السوق، لا تذهب جدتى لبيع الهواوى فى السوق كما تفعل فاطمة ونعيمة، فالحرفية التى تتقنها جدتى فى صناعة الهواوى كانت كافية أن يبتاعها كلها العم أحمد بجنيهين ونصف الجنيه للزوج، أى بزيادة نصف جنيه على زوج «هواوى» سيدات النجع.

عم أحمد رجل طيب، طويل القامة، نحيف الجسد، لم ينادنى باسمى قط رغم ثرثرته المتواصلة معى والتى لم أفهم منها شيئًا، وهو رجل سوق يعرف جيدًا أنه سيكسب ضعف ما دفعه وهذا ما يجعله يأتى باكرًا يوم الثلاثاء قبل أن تأتى سيدات المعبد ليشترين هواوى جدتى.

يوم نجاحى قررتْ جدتى أن تصنع لى «هَواية وصاية»، سحبتْ «جرباحة» «٣» مستقيمة ونظيفة، أتتْ بسكين «حاند» «٤» يفصل جسد الجرباح دونما شقوق، حدَّتها «٥» بتؤدة ثم اختارت من الصوف الفوشيا والأزرق لعلمها بحبى لهما، ساوت عصيان الجرباح، وأخذت تشقها بالخيط نصفين بالعرض، قبيل العصر كانت قد انتهتْ من التحدية متجاهلة تلك الشوكة اللئيمة التى أرادت أن تفسد علينا اليوم، لكن جدتى لم تلق لها بالًا، أزاحتْ الهواية جانبًا بعد أن أصبحتْ هيكلًا منتظرًا خيوط الصوف الملونة، وهمت باختيار بكرات الصوف من الرف الأعلى من الدولاب- دائمًا ما تخبئها هناك بعيدًا عن يدى- شاركتُها اختيار الصوف وعمل «الرهط» «٦» بعد أن ربطتْ لى الخيط بين «رجلين سرير الصالة»، حبل الرهط طويل سيصلح لعمل زوجين من الهوايات، أكملتْ ملء فراغات الجرباح بالصوف لترسم صورة لأربع جِمال صغيرة فى برواز واحد كبير، لم يجهدها العمل، ربما لم تشعر به وهى تتبادل الحديث مع جارتنا على مصطبة الدار.

المغرب جاء سريعًا اليوم وهى لم تُكمل هوايتى، الليل طويل فى قريتنا وأنا أنتظر الصباح لتكتمل هديتى، رأيتُ فى المنام عم أحمد وهو ينادى باسمى لأول مرة مبتسمًا، يمد يده ليأخذ هوايتى، لكننى أمسكتُ عليها وقلتُ غاضبة «دى بتاعتى» واستيقظتُ على ذات الجملة لأسمع جدتى تقول مفيش «تفتة» «٧»، أسرعتُ قائلة «هروح أجيب من كابوجا»، قالت جدتى «هاتيها حمرا إوعى يديهالك لون تانى».

الجد كابوجا ابن عم جدتى، رجل عجوز يتكئ على عصا متآكلة، دكانه الصغير يفوح بروائح عطرة، فهو أول عطار بالقرية، تساءلتُ كثيرًا لمَ يبيع لنا الصبغة بنقود كالغرباء؟! انتظرتُه فى لهفة حتى تعكز من الديوان المقابل لدكانه، طيب هو لا ينسى اسمى ولا أن يرسل السلام لجدتى.

علىَّ أن أنتظر جفاف الصبغة التى غيرت لون بنطالى القطنى القديم للأحمر لكسوة الهواية والجريدة «٨»، الشمس ساعدتْ فى جفاف القماش سريعًا، ها هى «هوايتى» قد بدت ملامحها تتضح فى نعومة وانسجام، «الرهط» كثيف يخبئ نسمات باردة رغم حرارة الجو، الباب يُطْرَق، تُرى من صاحب النصيب أن يرى هوايتى، إنه العم أحمد، هذا هو صوته ولهجته المميزة التى لا أفهم منها شيئًا، أسرعتُ أُريه إياها، من مثله سيقدر قيمتها ويدهشه تناسقها، لأول مرة يبتسم حين يحدثنى، لكنه أيضًا لم ينادنى باسمى، يطلب منى الهواية ليريها لأصحاب البازارات، أمسكُ عليها كالحلم تمامًا وبذات الغضب أقول له: «لا.. دى بتاعتى» لترد جدتى «سيبهالها هعملك واحدة توريهالهم بس دى الجوز منها بـ٥ جنيه».

تمر هند- صديقتى وبنت العم عمران من نبتاع منه الجرباح- أناديها أُريها هديتى، نادتها جدتى قائلة «هند.. قولى لأبوكى وين الجرباح»..

قالتها جدتى وهى تغلق الباب بعد رحيل العم أحمد، هكذا كانت تستعد لأسبوع جديد من العمل وقد بدأ بـ«هواية وصاية».

«١» الأطباق: تصنع من الجرباح والخيط، الحجم الكبير منها يُغطى بها صوانى الطعام والحجم الصغير منها يُعلق على الحائط.

«٢» الهواوى: تصنع من الجرباح والخيط والجريد تستخدم للتهوية أو الرقص فى الأفراح أو تُعلق على الحائط.

«٣» الجرباح: جزء من النخل.

«٤» حاند: حاد

«٥» التحدية: تقطيع الجرباح إلى عيدان صغيرة ومساواتها ببعضها البعض وربطها من المنتصف بالخيط بطريقة معينة.

«٦» الرهط: يقص الخيط الصوف ويوضع على خيط طويل كحبل بطريقة معينة ثم يُخيط فى الهواية من الناحية اليسرى للمساعدة فى التهوية.

«٧» التفتة: الصبغة.

«٨» الجريد: جزء من النخل، يوضع فى الهواية من الناحية اليمنى ليتمكن الشخص من مسك الهواية.

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

رئيس مجلسى الإدارة والتحرير محمد الباز

الأربعاء 24 يناير 2024
12 رجب 1445
15 طوبة 1740

حكمة فرج فودة

فى العام 1992 صدر للكاتب الدكتور فرج فودة كتابه «الإرهاب» عن الهيئة المصرية للكتاب، وهو الكتاب الذى أهداه إلى روح العميد العظيم الدكتور طه حسين، وفند خلاله الأسس والمنطلقات الأساسية لأفكار الجماعات الإرهابية، ونعتقد أننا الآن فى أمس الحاجة إلى استعادة بعض ما جاء فى هذا الكتاب، لنكون دائمًا منتبهين إلى ما تقوم به هذه الجماعات ولا تريد أن تكف عنه.

1

مَن منا يتذكر من قطع أطراف ابن المقفع وأجبره على أكلها بعد شيها، لأنه تجرأ على إزجاء النصح للحاكم فى كتابه «رسالة الصحابة»؟.. تقريبا لا أحد، بينما تنتقل كتب ابن المقفع كليلة ودمنة والأدب الكبير والأدب الصغير من الأجداد إلى الأحفاد وأحفاد الأحفاد، ويرتفع ذكره بقدر صدقه مع نفسه ومع الناس، ولو تفرغ لكتابة عرائض المديح وقصائد الثناء لاندثر ذكره فيمن اندثروا، وما زاده عذابه فى النهاية إلا ارتفاعًا فى المكانة وخلودًا فى الذكر.

2

كان ترتيب اسمى الثالث فى قوائم الاغتيال التى ضبطت لدى تنظيم «الناجون من النار» كما أسموا أنفسهم، أو «الساعون إلى النار» كما أسميهم، ولو لم يحدث ذلك لشعرت بأسى شديد، فالشجاعة تقاس بعداء الجبناء، والسمو يقاس بعداء الوضعاء، والرصاص هو التعبير العنيف عن منتهى الضعف، وعندما سألونى عن تعليقى، أبديت منتهى الحزن والأسى على أن ترتيبى تأخر إلى المركز الثالث، ووعدت أن أبذل قصارى الجهد حتى أحتل الموقع الجدير بى.. فى المقدمة.

3

أن يفقد الواحد منا حياته وهو يدافع عن وحدة الوطن، أشرف كثيرًا من أن يعيش فى وطن ممزق، وأن يضحى بالسنوات الباقية من عمره أشرف كثيرًا من أن يقضيها تحت حكم من يفضلون ركوب الناقة على ركوب السيارة لأن الثانية «لتركبوها»، بينما الأولى «لتركبوها وزينة»، كما يذكر أحد أمراء الجماعات فى أسيوط، أو من يذهبون فرادى وجماعات لقضاء الحاجة فى الخلاء وفى يد كل منهم حجر وبوصلة، الحجر للاستنجاء والبوصلة لضبط المؤخرة عكس اتجاه القبلة، كما يفعل أعضاء الجماعة الإسلامية فى المنيا.

4

لا يعيش الإرهاب ولا ينمو إلا فى ظل الديماجوجية، وإلا عندما تفقد العين القدرة على التمييز بين الإرهاب والشرعية، وإلا عندما يتنادى البعض بأن هناك إرهابًا مشروعًا، وإرهابًا غير مشروع، وإرهابًا مستحبًا وإرهابًا غير مستحب، وهو ما يحدث فى مصر للأسف الشديد، فقاتل السادات- لأن البعض يكره السادات- شهيد، وقاتل رجال الشرطة فى أسيوط إرهابى، بينما هذا من ذاك.

5

للإرهاب أنياب ومخالب، تتمثل فى إطلاق الشائعات الكاذبة والمدروسة، التى تمثل ستار الدخان الذى يحمى الإرهابيين، سواء فى إقدامهم على الفعل، أو فى هروبهم بعده بأقل قدر من الخسائر، وبأكبر قدر من تجميد وتحييد الاستنكار الشعبى، ولست أدرى تحت أى مبرر دينى تبرر الجماعات الإسلانية هذا الأسلوب، ولست أدرى كيف لم ينتبه أحد إلى أنها أصبحت سمة أساسية للعمليات الإرهابية، وكيف لم تصل درجة التنبه إلى دراسة كيفية مواجهة هذه الشائعات إعلاميًا وسياسيًا وأمنيًا.

6

بدأ الإرهاب السياسى الدينى مع نشأة جماعة الإخوان المسلمين، حيث كانت البيعة تتم على المصحف والمسدس، وقد ذكر ذلك المرشد العام محمد حامد أبوالنصر فى مذكراته، بل أشار إلى أن حسن البنا قد لمعت عيناه وسعد سعادة بالغة حين أخرج أبوالنصر مسدسه، مؤكدًا أن المسدس هو الحل، والمراجع لاعترافات عبدالمجيد حسن قاتل النقراشى ينزعج أشد الانزعاج لما سرده عن دروس الوعظ فى التنظيم السرى، وكيف درس لهم الفقهاء أن الاغتيال السياسى سنة، وأن دليلهم على ذلك قتل كعب بن الأشرف والشاعرة العصماء والشاعر أبوعفك، وحاشا لله أن يكون ذلك صحيحًا، وأن من يحتج عليهم بآية «ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق»، كان الرد عليه أن هذا وأيم الله هو الحق، ومن لا يصدق عليه أن يرجع الى اعترافات عبدالمجيد وإلى حيثيات الحكم عليه فى قضية قتل النقراشى.

7

الشائعات هى المدخل الآمن لتنفيذ العملية الإرهابية، ولو قدر للمتطرفين أن ينشئوا مدرسة للإرهاب، لكان الدرس الأول فيها: لا تتسرع بإطلاق الرصاص، وابدأ أولًا بإطلاق الشائعات، اتهم الضحية بتمزيق المصحف أو بدهسه بالأقدام، أو بأنه شتم سيدنا الحسين، أو أنه يتباهى بالكفر والإلحاد، أو بأنه شتم الدين الإسلامى، وسوف تنتشر الشائعة كالنار فى الهشيم، وبعدها لك أن تقدم آمنًا مطمئنًا على إطلاق النار، وسوف تجد طريقك ممهدًا، وإرهابك مؤيدًا، فأنت أمام الرأى العام مدافع عن الإسلام، ومنتقم ممن داس المصحف بالأقدام أو شتم سيدنا الحسين.

8

جهاز الإرهاب لا يقتصر فقط على حملة السلاح ومصوبى الطلقات، بل يشمل فيما يشمل بعض الخبراء فى إعداد الشائعات، وبعض القادرين على تمريرها، وأن الشائعات شأنها شأن كثير من السلع الاستهلاكية، بعضها صناعة محلية، حين يتعلق الأمر بتصفية حسابات فردية، وبعضها مستورد، تصنعه أجهزة متخصصة، حين يتعلق الأمر بتهديد الأمن القومى الداخلى والخارجى لمصر، وإهمال هذا الجانب يفقد تحليلنا ظاهرة الإرهاب جانبًا من جوانبها الأساسية، والخلاصة أن الشائعات المدروسة قد أصبحت جزءًا لا يتجزأ من عملية الإرهاب المتكاملة، وأن مواجهة هذه الشائعات يجب أن تتوازى مع مواجهة الطلقات.

9

هناك مقولة شائعة تحتاج إلى مراجعة وهى من كثرة ما شاعت، كادت تصبح من المسلمات، والمقولة تذكر أن الإرهاب السياسى الدينى كان نتيجة مباشرة للتعذيب فى سجون عبدالناصر، والمحتجون بذلك يدللون عليه بأن فكرة تنظيم التكفير والهجرة اختمرت فى ذهن شكرى مصطفى تحت جلدات السياط، وأن كتاب سيد قطب الصغير الشهير «معالم فى الطريق» الذى وضع الأساس النظرى لفكر أغلب الجماعات الإسلامية، قد كتب أغلبه فى هذه السجون، والحجة للوهلة الأولى قد تبدو وجيهة، لكن محاولة التعامل معها بالمناقشة والتحليل قد تثبت العكس، وقد تقود إلى نتيجة مختلفة، فلو جاز لنا أن نسلم بما سبق، فكيف يمكن لنا أن نبرر حوادث الإرهاب السياسى الدينى فى نهاية الأربعينيات، وهى حوادث شديدة العنف متوالية الحدوث متصاعدة التأثير.

10

تنامى ظاهرة التطرف العنيف المتسربل زورًا بشعارات الدين والمهدد للنظام العام للمجتمع على أيدى الملتحين، يرجع إلى تهاون الدولة فى مواجهتهم، وليس إلى العنف فى المواجهة، وتخاذلها فى التصدى لهم، وليس إلى التجاوز فى التصدى، والشواهد على ذلك قائمة وجلية، ودونكم وضع اليد على حدائق القاهرة وبناء المساجد فيها، رغم أنف السلطة والقانون والنظام والجمال، ودونكم أيضًا صب أعمدة الخرسانة فى ترع الرى الرئيسية وبناء المساجد عليها، وكلا الأمرين ليس من الإسلام فى شىء، فالإسلام ليس ضد الإسلام، والجمال من الإسلام، والتخطيط من الإسلام، ومنفعة المواطنين من الإسلام، وليس من الإسلام فى شىء أن تحرم المواطنين من متعة راحة النظر، وانشراح الصدر والترويح عن المرضى بالمنتزه المحيط بضريح النقراشى، والمواجه لمستشفى دار الشفاء، الذى تحول إلى مسجد خرسانى ضخم، بينما القاهرة بحمد الله ملأى بالمساجد ومعظم العمائر الجديدة تحول دورها الأرضى إلى مساجد سعيًا للإعفاء من ضريبة العوائد، ولو كنا فى احتياج إلى مزيد، فأهلًا بها ونعمت، ولنلجأ للدولة، ولنتبع الأساليب القانونية ونحترم التخطيط العمرانى ولنلتزم بحقوق الإنسان، لأنها إسلام فى إسلام.

حكمة الأيام

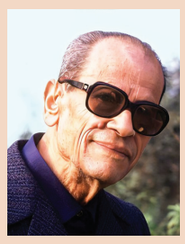

أريدها لا تعرفنى ولا أعرفها، لا من شىء إلا لأنها تعرفنى وأعرفها.. تتكلم ساكتة وأرد عليها بسكوتى. صمتٌ ضائعٌ كالعبث ولكن له فى القلبين عمل كلام طويل.

نجيب محفوظ

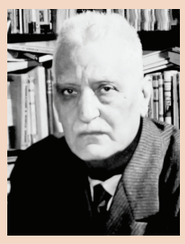

إذا ميز الرجل المرأة لا لأنها أجمل النساء، ولا لأنها أذكى النساء، ولا لأنها أوفى النساء، ولا لأنها أولى النساء بالحب، ولكن لأنها هى هى بمحاسنها وعيوبها؛ فذلك هو الحب.

عباس العقاد

أنا لا أريد أن أموت وأنا مخدر. أريد أن أكون مفتوح العينين وأنا أودع الدنيا. ولا أريد أن أودعها باختيارى. لم أجر الجراحة لأنى لا أريد أن أفرط فى يوم يمكن أن أعيشه. لن أفرط فى هذه الهدية باختيارى.

بهاء طاهر

حرف

صوت الثقافة فى مصر

دعوة لكل الكُتاب والنقاد والمبدعين.. شاركونا بإبداعاتكم

Email:dostornews@dostor.org